بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

المحسّن بن علي التنوخي، حياته ودراسة تحليليه لآثاره

إعداد الطالبة

سلوى عبد الفتاح درويش

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف

الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

آب / ١٩٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسماء أعضاء لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٩ وأجيزت

أعضاء اللجنة: **التوقيع**

١- الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم ---------- مشرفاً

٢- الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي ---------- عضواً

٣- الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن ---------- عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى

من كان عطاؤهما فوق كل عطاء

إلى

والدي الكريمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتقدم بعظيم الشكر، ووافر الامتنان إلى الاستاذ، الدكتور محمود ابراهيم على ما أولاني من رعاية أثناء إعداد هذه الرسالة، وعلى ما قدم لي من نصح وإرشاد.

وأقدم شكري الجزيل إلى الأستاذين الدكتورين الفاضلين: الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، والأستاذ والدكتور نصرت عبد الرحمن على تفضلهما بقراءة ومناقشة هذه الرسالة.

واقدم شكري وامتناني إلى زوجي الفاضل الأستاذ الدكتور حسين محمد الموسى وإلى كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

	الصفحة
* قرار لجنة المناقشة	ب
* الإهداء	جـ
* شكر وتقدير	د
* المحتويات	هـ
* الملخص	و
* الفصل الأول	١
* تمهيد	٢
١- الخلافة في القرن الرابع للهجرة	٣
٢- الكتابة والتأليف المعرفي	٨
٣- سيرة القاضي المحسِّن بن علي التنوخي	١٧
الفصل الثاني	
مؤلفات القاضي التنوخي	
١- نشوار المحاضرة	٣٠
٢- الفرج بعد الشدة	٧٢
٣- المستجاد من فعلات الأجواد	١٣٣
٤- شعر التنوخي	١٤٦
الفصل الثالث	
أسلوب التنوخي	١٥٢
خاتمة البحث	١٦٤
فهرس المصادر	١٦٧
ملخص باللغة الإنكليزية	١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

المحسّن بن علي التنوخي. حياته ودراسه تحليله لآثاره

إعداد الطالبة

سلوى عبد الفتاح درويش

إشراف

الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم

في هذه الدراسة، الخاصة بالمحسن التنوخي، تحدثت في الفصل الأول، عن الخلافة العباسية في القرن، وما طر عليها من تغير وتبدل، فقد بدأت الخلافة بالتزعزع، وسيطر الأتراك على شؤون الحكم، وساد الاضطراب الحياة عامة.

وفي هذا القرن، تقسمت أراضي الخلافة الاسلامية الى دول صغيرة مستقلة، ولم يبق في يد الخليفة، غير السواد والعراق ، ونتيجة لهذا الاضطراب، أصيبت االبلاد بعامة، وبغداد بخاصة، بالتدمير والنهب والقوى ، وقطعت الطريق على القوافل، ثم استولى البويهيون على العراق، واستأثروا بالحكم أيضا دون الخليفة ، وأقاموا لهم حكما وراثيا، وحاول عضد الدولة إغراء الخليفة الطائع، بمصادرته، لتنقل الخلافة من العباسيين اليهم، وقد تميز هذا العصر،بكثرة المصادرات التى لجأ اليها الحكام، نتيجة اسرافهم في الانفاق.

وكان الوزير على جانب عظيم من الأهمية، وقد تولى الوزارة، بعض الوزراء الأكفياء، كابن العميد والصاحب بن عباد، والحسن بن محمد المهبلي.

أما الكتابة والتأليف المعرفي، فقد اتسعتا، وشملتا مختلف العلوم وكان من أكبر أعوان الخليفة، وكان للأمراء وعمال الأقاليم، وسلاطين بني بويه، كتاب يساعدونهم في ادارة شؤون الحكم، وكان هؤلاء من اساتذة البيان وأعلامه.

وقد ظهر نشاط فكري وثقافي مميز في القرن، ونشطت الترجمة وأتسع التأليف، وتنوعت موضوعاته، حتى شملت جميع مناحي الحياة، ورفد هذا النشاط العلمي الجم، المكتبات الخاصة المناظرة ومجالس الأدب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا الجو العلمي المميز، ولد المحسن التنوخي ، في عائلة عرفت بالعلم والأدب، فقد كان والده ضليعا في علوم مختلفة، وعرف بكثرة الحفظ ، وكان نديما للوزراء وقد نشأ المحسن، في محيطين ثريين بالعلم والمعرفة، محيط بيته، ومحيط مجتمعه، وتلقى علومه على يدي علماء أفاضل.

وفي العشرين من عمره ، عمل بالقضاء وظل فيه ، حتى وفاته وقد تعرض في حياته لمحن أشار اليها في كتبه، منها أغتصاب الوزير محمد بن العباس ضيعته، ومنها عزل عضد الدولة له عن القضاء.

وقد تحدثت في الفصل الثاني عن مؤلفات التنوخي الثلاثة :(نشوار المحاضرة) و(الفرج بعد الشدة)و (المسجاد من فعلات الأجواد).

وكتاب (نشوار المحاضرة) هو أشهر مؤلفات التنوخي، وقد وضعه المؤلف في أحد عشر مجلدا، وكل مجلد له نقدمة خاصة به، وما هو موجود الآن من أجزاء النشوار، يبلغ ثمانيةأجزاء أربعة منها أصلية، كما وضعها المؤلف، وأربعة، جمعها المحقق من بطون الكتب عن (النشوار).

وكتاب (النشوار)، وثيقة جامعة لأحوال الحياة في القرن الرابع الهجري، في العراق وما جاوره، وقد كتب كل ذلك بأسلوب أدبي راق، وبسهولة وعذوبة، يستشعرهما القارىء، فقد كان التنوخي متمكنا من اللغة تمكنا عجيبا، فنراها بين يديه طيعه منقادة، ونراها تفيضُ حيوية وإشراقا، ونرى التنوخي يستقبلنا، بمحاسن كلامه، بداية في مقدمه (النشوار) الطويلة، وقد بين فيها أنه لم يصنف الكتاب على نهج لأسباب ذكرها، ثم ينطلق ليقدم الخبر تلو الخبر، والقصة تلو القصة، ويمنحها خلال ذلك ، معلوما ثمينة عن واقع الحياة في عصره، ولم يدع مهنة، أو حرفة، إلا وقد تحدث عن منتسبيها، وحظي القضاة بقسط وافر من الأخبار. أما القصص الشعبي، فقد احتل حيزا في كتاب التنوخي هذا، وقد عرفنا من خلاله على بعض عادات القوم ومعتقداتهم واحتفالاتهم وحيلهم وكفاحهم في سبيل العيش.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تحدث التنوخي أيضا ، في هذا الكتاب، عن رجال الدولة العباسية، ونقل لنا صورا حية، عن أفكارهم وتصرفاتهم.

أما كتاب (الفرج بعد الشدة)، فقد ألفه التنوخي ، بعد المحن التى تعرض لها ،ليكون تعزية لكل ذي مصاب.

وقد اعتمد فيه التبويب والتصنيف، بدأه بذكر الله تعالى في القرآن، من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان، واختار لتسمية الأبواب عبارات مسجوعة، وقد تحدث التنوخي عن محن الأنبياء أولا للكلام، عن أشخاص تعرضوا لمحن أو حوادث، فنجاهم الله منها بفضله.

وقد تضمن الكتاب في ثناياه معلومات قيمة أيضا عن العصر وغيره من العصور العربية حيث إنه لم يختص بزمان دون زمان، وهذه المعلومات تتناول مختلف مناحي الحياة أيضا من سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية.

وقد أظهر التنوخي مقدرة وكفاءة في تصوير الأحوال والمواقف، وكان يمزج الشعر بالنثر، كما هي طريقة المؤلفين في عصره.

والكتاب الأخير للمحسن التنوخي، هو كتاب (المستجاد من فعلات الأجواد)، وقد قدم فيه المؤلف أخبار عن الكرماء في الجاهلية والاسلام،غير أنه لم يعن بالكرم المادي فقط ، وإنما قدم صورا للكرم المعنوي، كرم النفوس والخصال، وقد ذيله بنكت من الأجوبة المصيبة، فهي تستجاد كما استجيد ما قبلها من الافعال، وقد امتزج فيه الشعر بالنثر أيضا.

وتحدثت في الفصل الثالث عن أسلوب التنوخي في كتبه الثلاث، وقد كان أسلوباه خاليا من التعقيد، بسيط العبارة ، أخذ من سماته كتاب عصره بعضا ، فقد أخذ منهم فكرة جمع الأخبار ، وتدينها، ولكنه انفرد بتدوين أخباره في كتاب واحد يحمل سمات الكتاب الأدبي الراقي، وقد تركالاستعانة بالمحسنات اللفظية والسجع وغيره، الا ما جاء عفو الخاطر.

وقد قدم كتاب (الفرج بعد الشد ة) مبوبا، كفعل كتاب عصره،واتسم أسلوبه بالاستطراد والاقتباس من الثقافة العامة لعصره، واعتمادا أسلوب الواقعية والحوار ، في معظم أخباره وحكاياته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

مسيرة الحياة والقرن الرابع للهجرة

ولد التنوخي في العصر الذي ازدهرت فيه الثقافة الاسلامية ، ونضجت ، واستطاعت أن تحتوي مختلف علوم الأمم المعروفة آنذاك ، وأن تمنحها حياة جديدة باضفاء سمة عربية اسلامية عليها ، كما يتضح مثلا من كتاب (الفهرست) لابن النديم ، الذي حاول أن يحصي فيه الكتب العربية المؤلفة في مختلف أنواع العلوم ، وأن يورد الكتب المنقولة من لغات الأمم الأخرى الى اللغة العربية .

وقد بلغت الحضارة الاسلامية أوجها في هذا القرن واتسم الانتاج بالغزارة وشمل التاليف مختلف العلوم .

إن صورة القرن الرابع الهجري ، بما يحويه من تناقض وتصارع ونشاط واضطراب ، أصبحت معروفة لكثير من الباحثين والدراسين ، ولكن الأمر يقتضي عند دراسة شخصية من شخصيات هذا العصر أن نظهر صورة العصر الذي نشأت فيه هذه الشخصية .

وقد يكون الحديث عن المؤسسات التي أثرت في حياة الناس في عصر ما شيئا واجبا . وحين نتحدث عن القرن الرابع الهجري ، وعن المشرق الاسلامي بصورة خاصة ، ولا سيما بلد الخلافة الاسلامية ، يتوجب أن نبدأ الحديث عن المؤسسة السياسية الأولى وهي الخلافة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلافة في القرن الرابع للهجرة

بدأت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري بالتزعزع، وقد بدأ الاضطراب السياسي يسود الحياة في العراق، مقر الخلافة ومركزها، منذ أن أقدم الأتراك على التدخل في شؤون الخلافة معتمدين على الجيش في تأييدهم ودعمهم، وبلغ الأمر أن الخليفة نفسه كان لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا منهم[١].

وقد كان من صور الاضطراب السياسي التي ظهرت القرن الثالث الهجري واستمرت في هذا العصر ايضا، حبك المؤامرات ضد الخليفة لقتله[٢] أو لسمله أو لخلعه.

وقد نتج عن ضعف الخلافة تقسم أراضي الخلافة الإسلامية إلى دول مستقلة، ولم يبق في يد السطان وابن رائق الذي تولى منصب غير الأمراء غير السواد والعراق[٣].

وقد نتج عن استحداث منصب (أمير الأمراء) انتقال السلطة من الخليفة إليه، ونتج أيضا تسلط الجيش وأبطال المؤسسات الادارية والمالية وصارت الأموال تحمل خزائنه (وبطلت بيوت الأموال)[٤]، وقد دام هذا الأمر عشر سنين سبقت الوجود البويهي في العراق أي منذ سنة ٣٢٤ - ٣٣٤هـ وكانت فترة فوضى ونزاع بين الأمراء المتطاحنين على الحكم أصيبت

---

(١) علي بن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، دار المعرفة:بيروت، ص١٧٧.

(٢) مروج الذهب،ج٤،ص١٢٠.

(٣) المؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق - تحقيق عمر السعيد، القسم الأول ، دمشق، ١٩٧٢،ص٢٩٨، تجارب الأمم- ج١، مطبعة شركة التمدن الصناعية ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ص٣٦٦.

(٤) العيون والحدائق،ج٤،ص٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها البلاد عامة وبغداد بخاصة بصنوف الويلات والكوارث والتدمير من قتل ونهب وفوضى[١] ، (وكان الأمن مختلا) (٢) ، وكانت الطرق تقطع على القوافل ويصادر ما تحمله من أموال . وكان التنافر قائما بين الخليفة المتقي وصاحب شرطة بغداد الذي أرغم الخليفة على الخروج من بغداد (وخلت بغداد واستوحش أهلها) (٣) (ووقع على التجار ببغداد ظلم عظيم وخبط شديد وتهارب الناس (٤) . وفي مثل هذا الجو المشحون بالقلق والترقب تكثر الاشاعات وتنتشر فقد أشيع أن المتقي لله كاتب ابن بويه حين ساءت العلاقة بينه وبين أمير الأمراء التركي توزون - بأن يصير الى الحضرة ، وكان البويهيون يسيطرون على فارس وأصبهان والجبل والري[٥] . ولكنهم لم يدخلوا بغداد الا في زمن المستكفي بالله[٦] حيث أصبحوا الحكام في العراق مقر الخلافة .

ولم يكد يمضي على وجودهم في بغداد بضعة أسابيع حتى قام معز الدولة البويهي بخلع الخليفة المستكفي بطريقة مهينة وأودع السجن وأقيم مكانه المطيع لله ، وهكذا ضعف أمر الخلافة حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير ، وحدد له (مبلغ ألفي درهم يوميا لنفقته)[٧] .

وقد أمعن البويهيون في الاساءة للخلافة ، وأنشأوا حكما وراثيا خاصا بهم ، واعتبروا العباسيين مغتصبي حق الخلافة من العلويين[٨] .

---

١ . نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي المحسن بن على التنوخي ، لبنان ، ج١ ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م ، ص ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٦ .

٢ . محمد بن يحيى الصولي ، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م ، ص ١٩٢ .

٣ . المصدر السابق ص ٢٤٣ .

٤ . المصدر السابق ص ٢٥١ .

٥ . تجارب الأمم ، جـ ، ص ٢٦٦ .

٦ . تكملة تاريخ الطبري ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر ، ص ٣٥٣ .

٧ . المصدر السابق ص ٣٥٥ .

٨ . المصدر السابق ص ٣٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما روي عن نظرة البويهيين لبني العباس أن (معز الدولة البويهي أحمد ابن بويه كان يفرط في التشيع وإنه أشخص من نواحي فارس أحد كبار العلويين وأسر اليه بتدبيره بتقبيل أكمام المخانيث يشير بذلك الى المطيع وأنه انما استحضره ليوصل الحق الى ذويه) [١].

وقد أشار بعض المؤلفين الى ما في خلق الديلم من شدة وقوة ، فقد قال عنهم المقدسي (لهم صولة وهيبة وصبر في الحروب)[٢] وقال آخر : (ومن أخلاقهم العجلة وقلة المبالاة)[٣] . وقيل عنهم أيضا (ما استراحوا الا بطروا ولا ينبغي أن يولي عليهم غيرهم وفيهم عنف وعنت لمن وليهم من غيرهم) [٤] .

وقد شارك البويهيون الخلافة في شاراتها ومميزاتها ، من ذلك كتابة ألقابهم على الدنانير[٥] والدراهم[٦] . وقد طلب عضد الدولة أن يدعى له بعد الخليفة على المنابر في بغداد وأن تضرب الطبول على بابه في أوقات الصلاة كما يفعل بدار الخلافة ، فاجيب الى ذلك سنة ثمان وستين وثلاثمائة [٧] .

وأقام البويهيون حكما وراثيا في العراق وخارجه . وظل الخليفة بلا حول ولا قوة ، على أن تقلص نفوذ الخليفة السياسي أو انعدامه لم يحل بينه وبين التمسك بالدور الديني الذي رسمه

---

١. الجماهر في معرفة الجواهر ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٢٢ .

٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٦٧ م ، ص ٣٠٠ .

٣. مسالك الممالك ، طبع ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠٥ ، التنتوار ، ج١ ، ص ١٤٠ - ١٤٢ .

٤. آثار الأول في ترتيب الدول ، مصر ، ١٢٩٥ هـ ، ص ٢٧١ .

٥. تكملة الطبري ، ص ٢٥٤ .

٦. المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٤٠ .

٧. المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلفاء بني العباس الأوائل . فالسلطة في نظرهم مستمدة من الله ، كما يتضح ذلك من خطبة للمنصور يقول فيها : (أيها الناس ، انما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده)[١].

ومن مظاهر تمسك الخليفة بسلطته الدينية تعيينه القضاة . فقد حاول بهاء الدولة أن يسند منصب قاضي القضاة لشيعي فلم ينجح لرفض الخليفة تعيينه [٢].

لقد تمكن البويهيون من فرض سيطرتهم على الخليفة والشعب بواسطة القوة العسكرية والعسف والظلم والانتقام والارهاب .

وفي مثل هذه الأحوال لا بد أن ينشأ صراع على الحكم بين المغتصبين وأصحاب الحق الشرعيين ، وقد كان من مظاهر هذا الصراع ما كان عضد الدولة يسعى لتحقيقه وهو نقل الخلافة الى البيت البويهي ، وذلك عن طريق مصاهرة الخليفة . فقد تزوج الطائع ابنة عضد الدولة (وكان غرض عضد الدولة أن تلد له ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولي عهده ، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب) [٣] . وكانت فرصة للخليفة لينتقم منها من عضد الدولة ويعبر بها عن سخطه عليه فلم يمكنه من تحقيق هدفه [٤].

وقد تميزت الخلافة العباسية منذ تولي المهدي الخلافة بالاسراف الشديد[٥] ، ولا شك أن الاسراف المتواصل والترف المفرط يفضيان الى الاضطراب المالي . لذا فقد لجأ الخلفاء لوسائل غير شرعية لسد العجز في النفقات ، وكان من أهم هذه الوسائل المصادرات [٦] .

---

١. العقد الفريد – الطبعة الثالثة – ج٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، ص١٨٦ .

٢. تاريخ الخلفاء ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ ، ص ٤٧١

٣. الكامل في التاريخ – الطبعة الأولى – لبنان ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٩ .

٤. شذرات المحاضرة ج٤ ، ص ١٠٠ .

٥. مروج الذهب ص٦٦ .

٦. تاريخ الطبري ج٩ ، ص١٥٨ – ١٦٢ ، صلة الطبري ص ٣٩ – ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يتورع البويهيون عن مصادرة كثير من رجال دولتهم[١] . ولم يستثن من ذلك الخليفة نفسه ، فقد (قبض بهاء الدولة على الخليفة الطائع سنة احدى وثمانين وثلاثمائة واستولى على مال جمعه الخليفة وسيره الى قصره)[٢] . ولقد كان لسياسة بني بويه العامة أسوأ الأثر في العراق ، اذ كانوا يقدمون مصلحتهم السياسية على معتقداتهم الدينية والمذهبية . وقامت في زمنهم الفتن الطائفية في بغداد [٣] .

الوزارة :

كانت الوزارة المؤسسة أو المنصب الهام بعد الخلافة في الدولة العباسية وكان الوزير على درجة كبيرة من المكانة العالية . وكان كثير من وزراء العصر العباسي في القرنين الثالث والرابع من كتاب الدواوين . وقد تعاظمت سلطة الوزير في بداية عهد الرشيد كما عرف عن البرامكة . وقد منح الوزراء الألقاب من قبل الخلفاء العباسيين . فقد لقبوهم بالأذواء كذى اليمينين ، وتشبه بهم آل بويه فسموا وزراءهم بكافي الكفاة ، والكافي الأوحد وأوحد الكفاة [٤] .

وقد تولى خلال الحكم البويهي بعض الوزراء الأكفياء ، ومنهم من حظي بمكانة مرموقة في السياسة والادارة والأدب . كأبي الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد والحسن بن محمد المهلبي ، وقد اتصف هؤلاء بالعلم وحسن المعاملة . يقول الثعالبي عن ابن العميد (عماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوحد العصر في الكتابة وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة والضارب في الآداب بالسهام الفائزة .... وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد)[٥] .

---

١ . نشوار المحاضرة ج٤ ، ص ٥١ ، ١٢٣ ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ .

٢ . التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق - بيروت ، ١٩٠٩ ، ص ١٧٣ .

٣ . المنتظم ج٦ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨٤ .

٤ . الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لايبزج ، ١٩٢٣ ، ص ١٣٤ .

٥ . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول عن الصاحب بن عباد (ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب)[١] . ويصف المهلبي بقوله (أيامه معروفة في وزارته لعز الدولة وتدبيره أمور العراق)[٢] والى هؤلاء الوزراء وأمثالهم يعود الفضل في تدبير أمور الدولة بسبب جهل أمراء البويهيين.

وقد تعرض الوزراء في زمن بني بويه للإهانة والتعذيب والمصادرة ، ولم يعامل الوزير أحيانا بما يستحق من التكريم[٣] .

الكتابة والتأليف المعرفي :

كان الكاتب من أكبر أعوان الخليفة . فقد كان يتولى مهمة الوزارة كما أسلفت . ولهذا كان الخلفاء يتحرون الدقة في اختيار صاحب ديوان الرسائل . (فإن مرتبته أرفع مرتبة ومحله أعظم محل ، واليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها ، وإليه ترد المكاتبات وعنه تصدر)[٤] ، فالخليفة الواثق كما يخبرنا المسعودي :(كان لا يصدر الا عن رأي ابن الزيات ، وابن أبي دؤاد ، ولا يعتب عليهما فيما رأياه ، وقلدهما الأمر ، وفوض اليهما ملكه)[٥] .

ولم يكن اتخاذ الكتاب مقصورا على الخلفاء ، بل كان عمال الأقاليم وأمراء الأمراء وسلاطين بني بويه يتخذون كتابا لهم لمساعدتهم في ادارة الدولة ، فقد كان ابن عباد كاتب ابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه في الري وهمذان وأصبهان[٦] .

---

١. المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

٢. المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

٣. نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص ١٤٠ .

٤. صبح الأعشى في صناعة الانشا - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م - لبنان ج ١ ص ١٣٦ .

٥. مروج الذهب ج٤ ، ص ٦٦ .

٦. يتمية الدهر ، ج٣ ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان كتاب القرن الرابع من أساتذة البيان وأعلامه . ونمت الكتابة نموا لم تشهده في أي عصر سابق ونبغ عدد من الكتاب الذين ما زالت آثارهم تشهد بعلو منزلتهم وتمكنهم من هذا الفن واحاطتهم به ، كأبي حيان التوحيدي وأبي الحسن بن مقلة ، وقابوس وشمكير ، والاسكافي وزير السامانيين وأبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وأبي الفتح البستي وأبي الفضل الميكالي ، وكان فنهم من الجودة بحيث أن رسائلهم الكثيرة كانت تدون ويسير ذكرها في الآفاق [١].

وقد شهد القرن الرابع الهجري نشاطا فكريا وثقافيا متميزا . وكان هذا النشاط الفكري والثقافي نتيجة طبيعية للتفاعل بين مختلف الثقافات والعناصر التي تكون منها المجتمع العباسي . وكان لا تساع الدولة العباسية وثرائها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم تشهدها من قبل . وقد بدأت أسسها بترجمة الكتب السريانية والأعجمية الى العربية في زمن المنصور [٢] من ناحية وفي تدوين الحديث والفقه والتفسير وعلوم اللغة والتاريخ وأيام الناس من ناحية أخرى[٣].

٤٤٥٣٨٦

وقد نشطت حركة الترجمة منذ عهدي الرشيد والمأمون . فقد كان (بحضرة المأمون تراجمة يعرفون الرومية والقبطية والنبطية وسائر اللغات، لا يفارقون عسكره في كل أسفاره) [٤] فمن الكتب المترجمة كتاب فن السياسة العامة لأرسطو، نقله الى العربية يوحنا البطريق سنة ٢٠٠هـ [٥].

---

١. المصدر السابق ج٤ ، ص ١١٠ .

٢. تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٠ .

٣. المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

٤. كتاب الذخائر والتحف – الكويت ، ١٩٥٩ ، ص ١٠٣ .

٥. المرجع السابق ص ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اهتم النصارى في الدولة الاسلامية بالمؤلفات اليونانية ونقلها الى العربية فقد قام حنين بن اسحق بالترجمة من اللغتين اليونانية والسريانية الى العربية[١] . ويذكر ابن النديم أن من عني بإخراج الكتب من بلد الروم محمد وأحمد والحسين بنو شاكر المنجم . وأنفذوا حنين بن اسحق وغيره الى بلد الروم فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والرياضيات والطب [٢].

وقد نقل الى العربية أيضا من اللغتين الهندية والنبطية [٣] . ولا شك أن هذه الكتب قد انتشرت واستأثر بها المهتمون من العلماء وتدارسوها ونقلوها وتناولوها بالشرح والتفسير . ويشير ابن النديم الى كتب أبقراط خاصة في هذا المجال [٤].

وهكذا وصل الى القرن الرابع الهجري ميراث ضخم من المؤلفات ومادة غزيرة من مختلف العلوم مما حدا بالمؤلفين أن يقسموا هذه العلوم الى قسمين : قسم يختص بما سمي (علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية) ، والثاني (العلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم) (٥). ونجد كتاب احصاء العلوم نواة لغيره من الموسوعات العلمية فيما بعد . ومن تلك المؤلفات رسائل اخوان الصفا وكتاب الشفاء لابن سينا المتوفي ٤٢٨ هـ ومفاتيح العلوم للخوارزمي المتوفى ٣٨٧ هـ .

وما ذكره أبو نصر الفارابي من مراتب العلوم المشهورة حينئذ في كتابه (احصاء العلوم) يماثل الى حد ما ، ما اتفق عليه في عصرنا من تقسيم العلوم الى : علوم انسانية وعلوم علمية :

---

١. الفهرست - دار المعرفة - بيروت - لبنان ص ٢٩٢ .
٢. المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .
٣. المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .
٤. المرجع السابق ، ص ٤٠١ .
٥. مفاتيح العلوم - الطبعة الثانية - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر ١٤٠١ هـ / ١٨٩١ م ، ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الفارابي : (قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما . ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها وأجزاء كل ما له أجزاء وجمل ما في كل واحد من أجزائه ، ونجعله في خمسة فصول . الأول : في علم اللسان وأجزائه والثاني في علم المنطق وأجزائه والثالث في علوم التعاليم وهي : العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمي وعلم الموسيقى وعلم الأثقال وعلم الحيل . والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه وفي العلم الالهي وأجزائه ، والخامس في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام[١] .

لقد كان الفارابي من المتقدمين في احصاء العلوم . ثم جاء بعده ابن النديم صاحب كتاب (الفهرست) الذي حاول أن يحصي فيه (كتب جميع الأمم من العربْ والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها .... منذ ابتداء كل علم اخترع)[٢] الى حين وفاته[٣].

والقارىء في كتاب الفهرست يدهش لهذا النشاط العلمي الذي تميز به العالم الاسلامي آنذاك . فقد شمل التاليف كل موضوع اقتضته ظروف الحضارة الجديدة . وقد حظي النشاط الأدبي باهتمام عدد كبير من المؤلفين البارعين الذين ما زالت مؤلفاتهم تشهد بغزارة علمهم وعلو كعبهم . فمن هؤلاء الكتاب أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين . وقد ألف أبو الفرج الأصبهاني كتابه في الأغاني (جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم) [٤]. وقد توفي أبو الفرج الأصبهاني سنة ٣٦٠ هـ وتوفي المرزباني محمد بن عمران سنة ٣٧٨ هـ ، صاحب كتاب الموشح . وأبو بكر الصولي (نديم الخلفاء) [٥] ت ٣٣٠هـ ، وحمزة بن الحسن الأصفهاني

---

١. احصاء العلوم - دار الفكر العربي ، مصر ، ص ٤٣ .

٢. فاتحة الفهرست ص ٢٠

٣. لسان الميزان - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الثانية ، بيروت - ١٩٧١ - ١٣٩٠ هـ .

٤. مقدمة ابن خلدون - الطبعة الثالثة - القاهرة - مصر ، ص ١٢٦٨ .

٥. الفهرست ص ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبو اسحق الصابي ت ٣٨٠ هـ ، وأبو حيان التوحيدي ت ٤٠٠ هـ ، وبديع الزمان الهمذاني ت ٣٨٣ هـ ، والمحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ . وألف الجوهري كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم . ومنهم ابن جني صاحب كتاب الاختصاص ، وقد برع في الطب والفلسفة ابن سينا . وممن برع في الفلسفة أيضا الفارابي وله مؤلفات عدة ، بعضها مترجم عن اليونانية منها (مراتب العلوم والبرهان) و(الخطابة) وهما مترجمان . ومن الأطباء البارعين أيضا آنذاك ، أبو محمد بن زكريا الرازي (أوحد دهره وفريد عصره وله كتاب الحاوي في الطب وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب)[١]، وله مؤلفات عديدة في مختلف أنواع العلوم[٢] .

ومن أشهر مؤلفي التاريخ والجغرافيا (المسعودي)[٣] المؤرخ الشهير ، وابن حوقل وعبيد الله بن خرداذبه صاحب كتاب المسالك والممالك[٤] . ومحمد بن أحمد المقدسي المتوفي ٣٨٧هـ ، صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ولا شك أن له قيمة عظيمة من الناحيتين التاريخية والجغرافية ، ومن فضل العرب على الهند أن أخبارها (وأحوالها في القرون الوسطى ليس بها وثيقة مكتوبة سوى ما جاء في كتب السياح العرب من الأنباء ومن هؤلاء السياح نذكر المسعودي)[٥].

وقد انقسم المجتمع الاسلامي الى فرق وشيع وظهرت فيه العقائد المختلفة مما كانت تدين به الشعوب التي خضعت للدولة الاسلامية . وقد تحولت هذه العقائد الى تيارات فكرية متعددة من اسلامية وغير اسلامية . وأصبح بعضها مدارس فكرية متميزة في السياسة والمذاهب والعقائد . وترجمت هذه الأفكار والعقائد الى مؤلفات شغلت حيزا في دائرة الثقافة الاسلامية ،

---

١. طبقات الأطباء ، مكتبة الحياة ،بيروت ، لبنان ، ص ٤٢١ . ٢. المصدر السابق ص ٤٢١ – ٤٢٧ .

٣ الفهرست ص ٢١٩

٤. المصدر السابق ص ٢١٣ .

٥. حضارة الهند ، الطبعة الأولى ،مصر ، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م ، ص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت هناك مؤلفات المذاهب الاسلامية الأربعة أولا ثم مؤلفات الفرق والشيع الأخرى من مرجئة ومعتزلة وشيعة وغيرهم حيث يطول حصرها .

وقد رفدت المجالس الأدبية التي كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء الحركة العلمية والثقافية حيث كان يجتمع العلماء والأدباء للمناظرة بقائمة مختارة من المؤلفات جمع أصحابها فيها ما كان يدور في هذه المجالس . ومن أشهر هذه المجالس : مجلس سيف الدولة الحمداني ت ٣٥٦ هـ . وكانت المجالس التي يعقدها سيف الدولة تقارب مثيلتها في أيام الرشيد والمأمون (وكان الفضل بن يحيى اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم) [١] . وقد ضم مجلس سيف الدولة أبا الفرج الأصفهاني وابن خالويه وأبا علي الفارسي ومحمد بن محمد الفارابي [٢] . ولابن خالويه النحوي اللغوي مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة [٣] . (فكان مجلس سيف الدولة مجمع الفضلاء في جميع المعارف) [٤] .

وفي بغداد كان مجلسا الوزير المهلبي وابن سعدان ، وفي الري وشيراز وأصفهان كانت حلقات ابن العميد وعضد الدولة والصاحب بن عباد (الذي اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره)[٥] . وقد كانت هذه المجالس تضم أشهر الشعراء والأدباء والعلماء ، وممن كان يضمه مجلس عضد الدولة أبو علي الفارسي ، ويروى عن عضد الدولة أنه قال : (أنا غلام أبي علي في النحو)[٦].

---

١ . اعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس - مصر ، ص ٨٩ . ٢ . وفيات الأعيان - دار الثقافة - لبنان ، ج٢ ، ص ١٧٩ .

٣ . المصدر السابق والصفحة ذاتها . ٤ ابن خلكان ج٥ ، دار صادر ، ص ١٥٥ .

٥ . المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢٩ .

٦ . المصدر السابق ج٢ ، ط دار الثقافة ، ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت عواصم الأقاليم الشرقية مراكز أدبية تستأثر بنخبة من العلماء والكتاب والشعراء يتنقلون بينها كابن سينا والبيروني والفارابي وأبي الفتح البستي وأبي منصور الثعالبي والبيهقي صاحب تاريخ آل سبكتكين [١] . وكان البيروني عالما بالمعنى الصحيح للكلمة يعيش للعمل ويعتني بمادة البحث عناية تدل على سمو عقله وعلى الاهتمام الشديد الذي يليق بالعلماء الحقيقيين [٢] .

ومما أثرى الحركة الأدبية والعلمية الاهتمام الشديد بالكتب والمكتبات . فقد كان أمير كل ولاية يحرص على أن تشمل مكتبته جميع الكتب المشهورة والمعروفة في عصره ومن تلك المكتبات مكتبة الأمير نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان. ويقول عنها ابن خلكان أنها : كانت عديمة المثل، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع بأسمه فضلا عن معرفته) [٣] ، وقد انتفع بها الطبيب العربي الفيلسوف ابن سينا كما يذكر ابن خلكان أيضا [٤] .

ومكتبة الصاحب بن عباد التي كان يحتاج الى أربعمائة بعير لنقلها[٥] . وكانت مكتبة عضد الدولة بشيراز تحوي جميع أنواع الكتب . (ولم يبق كتاب صنف في نوع من العلوم الا جمعه فيها)[٦].

---

١ . يتيمة الدهر ج٤ ، عن أبي الفتح البستي ص ٥٣١ .

٢ . دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ،الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، ص ٢٠٤ .

٣ . وفيات الأعيان ط دار الثقافة ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

٤ . المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

٥ . وفيات الأعيان ج١ ، ص ٢٣١ .

٦ . أحسن التقاسيم ص ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بغداد عاصمة الخلافة العباسية كانت المكتبات تنتشر في قصور الأمراء ومساجد المدينة . وبعضها كان يسخر مجانا لطلاب العلم . ففي سنة ٣٨٢ هـ (ابتاع الوزير أبو نصر سابور أرد شير دارا بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ووقف بها كتبا كثيرة) (١) .

وكانت بغداد في القرن الرابع الهجري تجذب العلماء من كل أنحاء العالم الاسلامي ، وخاصة من ايران وآسيا الوسطى ، وقد كانت (خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة) (٢) . وفي الفهرست أن المؤلف لم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانة ابن حاجب النعمان - وكان اليه ديوان السواد أيام معز الدولة - لأنها كانت تحتوى (على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة) (٣) .

وكان بعض محبي العلم يقصرون مكتباتهم الخاصة على استعمالهم الشخصي ويضنون بما لديهم من كنوز ، فقد كان بمدينة الحديثة (رجل جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة ، وكان نفورا ضنينا بما عنده) (٤) .

وكان كثير من أهل التقوى والصلاح يقفون الكتب في سبيل العلم والعلماء ، فكان بعضهم (له صدقات جارية وأوقاف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان) (٥) .

وكان فيهم من يجمع الكتب ويجعلها وقفا على المساجد لينتفع بها طلبة العلم (٦) . ومنهم القاضي ابن حبان الذي كانت اليه الرحلة للسماع ووقف كتبه في دار (٧) .

---

١ . المنتظم ج ٧ ص ١٧٢ .

٢ . صبح الأعشى ج١ ، ص ٤٣٧ .

٣ . الفهرست ص ١٩٣

٤ . المصدر السابق ص ٦١ .

٥ . وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٧١ .

٦ . وفيات الأعيان ج١ ، ص ١٤٣ ، الفهرست ص ١٩٩ .

٧ . سير أعلام النبلاء ، ج ١٦ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت حلقات العلماء تجتذب اليها طلاب العلم ومحبي المعرفة . فقد (كان يحضر مجلس أبي حامد الاسفراييني أكثر من ثلثمائة فقيه)[١] . ويقال عن أبي الطيب الصعلوكي عالم نيسابور أنه كان يوضع له في المجلس (أكثر من خمسمائة محبرة) [٢]. وأبو القاسم الداركي الذي (انتهى اليه التدريس ببغداد) [٣]

وقد اتسعت حلقات العلم لتشمل المدافعين عن مذاهبهم بما في ذلك حلقات المتصوفة ، فكان لهم حلقات يتكلمون بها[٤] .

وكان للمحدثين مجالس يحدثون فيها الناس ، فهذا أبو العباس محدث خوارزم (كان له مجلس للاملاء في كل اثنين وخميس ، وكان يحضره الأئمة والكبراء)[٥].

وكان الناس يتحلقون حول القصاص في المساجد لسماع تفسير القرآن الكريم منذ زمن أبعد من هذا القرن[٦] .

---

١. وفيات الأعيان ج١ ، ص ٧٠ .

٢. المصدر السابق ص ٤٣٥ .

٣. المنتظم ج٧ ، ص ٢٤١ .

٤. وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٢٤١ .

٥. سير أعلام النبلاء ج ١٦ ، ص ١٩٥ .

٦. تاريخ الأمم والملوك ، ج ١٠ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مصر ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيرة القاضي المحسن بن علي التنوخي:-

ينسب القاضي التنوخي المحسن بن علي إلى قضاعة كما ذكر ياقوت الحموي في نسب ولده علي[١] . وتنوخ حلف عربي قديم من أرومة واحدة[٢]. ويذكر ابن حزم أن تنوخ (ثلاثة أبطن بطن اسمه فهم وبطن اسمه نزار، وليس نزار لهم بوالد ولا أم، لكنهم من بطون قضاعه كلها، وبطن ثالث يقال له الأحلاف، وهم من جميع قبائل العرب كلها)[٣]، وقضاعة قحطانية يمنية فيكون القاضي المحسن التنوخي يمني الأصل والنسب.

ووالد القاضي التنوخي هو أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، وقد ولد الأب في أنطاكية سنة ثمان وسبعين ومائتين. وقدم في صباه بغداد سنة ست وثلاثمائة[٤] ودرس الفقه على مذهب أبي حنيفة، وولي القضاء بالأهواز وكورها للمطيع لله[٥]. وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة[٦].

عرفت عائلة القاضي المحسن التنوخي بالعلم والأدب والنجابة. يقول ياقوت الحموي عن والده: (ما رأيت أحداً أحفظ منه. فقد كان ضليعا في النحو واللغة، عظيما في الفقه والفرائض ويحفظ ما قد اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة. وكان في الأحكام وعلم الهيئة والعروض قدوة. ويحفظ ما يفوق عشرين ألف حديث، وله في العروض والفقه كتب مصنفة ولو أنه اختص بعلم من هذه العلوم لكان أمراً هائلا)[٧]. وكان كما يقول الثعالبي :(من أعيان أهل الأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم) [٨]. وقوة الحفظ تدل على ذكاء عظيم وفطنة ونباهة، وهذا ما لفت إليه المطيع لله، فقد قرر تقليده قضاء القضاة (فأفسد ذلك بعض أعدائه)[٩].

---

(١) معجم الأدباء ، الطبعة الأخيرة، ج ١٤، مصر ، ١٩٣٧م، ص ١١٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ط٢، ج٥،ص ٥٠٨.

(٣) جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى ، لبنان -١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣. معجم الأدباء، ج ١٤، ص١٧٥. (٤) معجم الأدباءج١٤ ص١٦٢. (٥) المرجع السابق ص١٦٣.

(٦) المصدر السابق ص١٦٣. النشوارج ٢ص١٢٤. (٧) معجم الأدباء ج١٤ ص١٦٥.

(٨) يتيمة الدهر ج٢،ص٣٩٣. (٩) معجم الأدباء ج١٤،ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان القاضي أبو جعفر بن البهلول قاضيا على عدة مدن في الأهواز وكورها، فلما أسنّ وضعف، خلفه عليها القاضي علي بن محمد التنوخي سنة ٣١١[١]. ثم أضيف له قضاء البصرة[٢] وظل في منصبه هذا بضع سنين ثم صرف عنه، فقصد الأمير سيف الدولة زائرا ومادحا (فأكرم مثواه وأحسن قراه)[٣]. وكتب إلى الحضرة ببغداد حتى (أعيد إلى عمله وزيد في رزقه ورتبته)[٤].

كان والد القاضي المحسن التنوخي محبوباً جداً من وزراء العراق. (فكانوا يميلون إليه جدا ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء)[٥]. وصفات القاضي الوالد التنوخي هذه رفعته إلى هذه المكانة المرموقة عند الرؤساء والوزراء. وقد تقلد قضاء الكرخ بعد عودته من حلب[٦]. وبعد أن صرف منها، التحق بخدمة أبي عبد الله البريدي[٧]. وكان رسوله إلى أبي بكر بن رائق عندما كان مستوليا على واسط[٨]، وكان رسول البريدي إلى القائد ياقوت فقال له لك : (أني على العهد والمثياق" ... وأنه يصاهره حتى يزداد ثقة به[٩]. وقد وكل البريدي القاضي علي بن محمد التنوخي في تزويج ابنته من أبي العباس أحمد بن ياقوت (فوافاه القاضي أبو القاسم التنوخي وأدى إليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر)[١٠].

كان والد القاضي المحسن التنوخي من الرجال الفضلاء الذين تزهو بهم المجالس وتحلو صحبتهم. فقد كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي[١١]. ولم يزل نبيها متقدما يمدحه الشعراء ويجيزهم ويفضل على من قصده[١٢].

---

(١) النشوار ج ٤، ص٢٣-٢٤.

(٢) معجم الأدباء ج١٤، ص١٦٥.

(٣، ٤) المصدر السابق، ص١٦٥.

(٥) المصدر السابق ص١٦٦.

(٦) الفرج بعد الشدة،ج٤، بيروت ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م،ث ٢٣٤.

(٧) المرجع السابق ص ٢٣٤، النشوار ج ٤ص ٧٥.

(٨) الفرج بعد الشدة ج٤ ص ٢٣٥.

(٩) تجارب الأمم ج١، ص ٣٤٥.

(١٠) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

(١١) يتيمة الدهر ج٢، ص ٣٩٤.معجم الأدباء ج١٤، ص ١٦٦.

(١٢) المصدر السابق، ص١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنقل والد التنوخي في منصبه ما بين الأهواز وبغداد والبصرة. وفي أثناء اقامته بالبصرة ولد له (المحسن) أما والدته فإننا لا نعلم عنها شيئا سوى اشارة بسيطة أو صغيرة من المحسن التنوخي تشير إلى أن جدها كان من الكتاب، ويبدو أنها من عائلة علم وفقه أيضاً كما يشير بذلك المحسن أيضاً [١].

ولد المحسن في بيت علم وفقه وأدب كما أخبرتنا سيرة والده، وله عم أيضاً كان فقيها قاضيا [٢]. فهم (أهل بيت فضلاء قضاة) [٣]. وقد ولد المحسن في بلد لموقعه أهمية كبرى للتجارات التي تمر به. فقد كانت في القرن الرابع الهجري مركزا كاملا وبلدا زراعيا من الطراز الرفيع ومقرا لكثير من الصناعات والفنون. وقد كانت الباب الذي تمر منه تجارات وبضائع الصين والهند وافريقيا إلى مدن العراق الأخرى وعلى رأسها بغداد. وكان الطريق البحري الممتد من الخليج الفارسي إلى كانتون في الصين أطول طريق استعمله الإنسان على نحو منتظم قبل التوسع الأوروبي في القرن السادس عشر [٤]. ويقول عنها ابن حوقل :(استغنى بشهرته من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز إلى سائر أقطار الأرض)[٥]. وكانت البصرة تموج بمختلف الأجناس. والبصرة بلد القصور الأنيقة والأبنية الفاخرة [٦]. وهي بلد العلماء والأدباء. وقد عني علماء البصرة باللغة والنحو وعلم العربية وعنهم أخذ [٧]. ويقول المقدسي (والعراق كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك، وبخاصة بغداد والبصرة) [٨].

---

(١) نشوار المحاضرة ج٥، ص ١٩.

(٢) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، الطبعة الأولى، ج١، حيد آباد، الهند ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٢م، ص ١٠٠.

(٣) المصدر السابق، ١٥١.

(٤) العرب والملاحة في المحيط الهندي، القاهرة، مصر ص ١٩٠.

(٥) صورة الأرض: بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٢١٤.

(٦) المصدر السابق، ص٢١٢.

(٧) الفهرست ص٥٩.

(٨) أحسن التقاسيم ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأ المحسن التنوخي في هذه البئية الثرية بالعلم والمعرفة فلا عجب أن جلس لسماع الحديث وهو ابن ست سنين [١]. وقد تلقى العلم على يدي علماء أفاضل وكان منهم محمد بن يحيى الصولي وكان (أحد العلماء بفنون الآداب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء) وكان (حسن الحفظ للآداب حاذقا بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها، ونادم عدة خلفاء) [٢]. وقال عنه صاحب الفهرست:(من الأدباء الظرفاء الجماعين للكتب) [٣]. وفي وفيات الأعيان عن الصولي :(كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير، وله التصانيف المشهورة، منها كتاب الوزراء)[٤]. ومن شيوخه أحمد بن عبيد الصفار (وكان ثقة ثبتا صنف المسند وجوّده) [٥]. وأبو العباس محمد بن أحمد الأثرم قال عنه الدار قطني (محمد بن أحمد شيخ ثقة فاضل) [٦]. وقد أخذ أيضاً عن وهب بن يحيى المازني والحسن بن محمد النسوي وأبي بكر بن داسه وطبقتهم[٧].

ولما بلغ المحسن التنوخي العشرين من عمره، شهد عند ابن سيار قاضي الأهواز [٨]. وحدث أن قدم الوزير ابو محمد المهلبي السوس، فقصده المحسن للسلام عليه للصداقة المتينة التي كانت تربط والده به و (لتجديد العهد بخدمته) [٩]. فرحّب به الوزير، وطلب منه القدوم إلى بغداد ليقلده عملا في القضاء. فورد بغداد في سنة ٣٤٩ [١٠] وكانت بداية مرحلة جديدة من حياته.

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٣، ص٢٦٢، ج٥، ص١٥، النشوار ج ٥، ص١٩.

(٢) تاريخ بغداد ، دار الفكر - بيروت ١٩٨٧- ج٣ ٤٢٧.

(٣) الفهرست ص٢١٥.

(٤) وفيات الأعيان ج٤، ص٣٥٦.

(٥) تاريخ بغداد ج٤، ص٢٦١.

(٦) المصدر السابق ج١، ١٦٥.

(٧) تاريخ بغداد ج ١٣، ص١٥٥، مرآة الجنان ج٢، ص٤١٩.

(٨) نشوار المحاضرة، ج ٤، ص٧٩.

(٩، ١٠) المصدر السابق ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأ التنوخي حياته في بغداد قاضيا على مناطق قريبة من بغداد[١]، ثم ولاه المطيع لله القضاء بنواح مختلفة من الأهواز[٢]، ثم ولي القضاء بمناطق في شمال العراق[٣] ثم بحران، ونواح من ديار مضر[٤].

وقد تقلد القضاء سنة ست وخمسين وثلاثمائة بسوق الأهواز وما تبعها من القرى، (سهلها وجبلها)[٥]، ثم صرف عنها سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بايعاز من الوزير محمد بن العباس، وقبضت ضيعته. فاشخص إلى بغداد متظلما وبقي مقيما فيها (ثلاث سنين وشهوراً)[٦]، ثم أعيدت إليه ولاية القضاء بتلك المناطق وأضيف إليها واسط وأعمالها[٧]. وقد كان في أثناء اقامته خارج بغداد يتردد عليها بين الحين والآخر، إما زائراً أو بحكم عمل يقلده[٨]. فقد تولى الكتابة على الحكم والوقوف بمدينة السلام لأبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاة[٩]. وقد التقى الشاعر المتنبي أثناء اقامته بالأهواز، وهو في طريقه إلى عضد الدولة، وسأله عن نسبه فلم يعترف له به[١٠]. وكان ذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وقد سأله أيضاً عن معنى المتنبي (لأنه أراد أن يسمع منه هل تنبأ أم لا)[١١] فأجاب المتنبي (هذا شيء كان في الحداثة أوجبته الصبوة)[١٢].

(١)النشوار ، ج٥ ، ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) معجم الأدباء، ج١٧، ص٩٣.

(٤) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٣٢١.

(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٣.

(٦) الفرج بعد الشدة ج٣، ص٢٦٦.

(٧) المصدر السابق ص ٢٢٦، معجم الأدباء ج١٧ ص ٩٢.

(٨) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٩٢.

(٩) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(١٠) النشوار ج ٤، ٢٤٥.

(١١) نشوار المحاضرة ج٨ ص ٢٠٠.

(١٢) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووجود التنوخي ببغداد قوبل بعناية من الوزير المهلبي، فكان ملازما لمجلسه ويحضر طعامه ومجالس أنسه[١].

وقد التقى في بغداد بالعلماء والأدباء والشعراء، إذ التقى بأبي الفرج الأصبهاني وقرأ عليه وأجاز له الرواية عنه [٢]. وقد نقل عنه كثيراً من القصص والأحاديث التي بلغ مجموعها تسعا وأربعين خبرا. وأبو الفرج كما يقول ابن خلدون (هو ما هو) [٣]، وكتابه الأغاني (الغاية التي يسمو إليها الأديب، ويقف عندها وأنى له بها) [٤]. والتقى بأبي عمر الزاهد وأجاز له الرواية عنه[٥]، وكان أبو عمر الزاهد من (الرواة الذين لم نرقط أحفظ منهم)[٦]، وكان يحضر عنده الأشراف والكتاب وأهل الأدب ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها [٧]. (ولم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر) [٨]. وقد سمع الحديث أيضاً من القاضي أبي طالب محمد بن أحمد بن اسحق بن البهلول، وأجاز له الرواية عنه [٩]. وكان أبو طالب (حسن المذهب، شديد التصون، وممن كتب العلم وحدث) [١٠]. وقد روى عن أبي بكر بن داسة أخباراً عدة، وعن وهب بن يحيى المازني .[١١] ومن نافلة القول أنه التقى بكبار الشخصيات السياسية والأدبية في مجلس الوزير المهلبي وغيره في أثناء اقامته ببغداد، وقد ذكرت منهم أبا الفرج الأصفهاني، ومنهم أيضاً أبو علي الأنباري خليفة الوزير المهلبي على الوزارة .[١٢] وأبو العلاء صاعد بن ثابت النصراني، [١٣] وأبو اسحق الصابي، [١٤] وابن سكرة الهاشمي الشاعر، وأبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الفقيه [١٥]، والأمر

(١) نشوار المحاضرة ج٤ ص ٨٠.
(٢) الفرج بعد الشدة ج٤ ص ٣٨٣.
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٧٨.
(٤) المصدر السابق والصفحة ذاتها.
(٥) الفرج بعد الشدة ج١ ، ص٩٠.
(٦) تاريخ بغداد ج٢، ص٣٥٧.
(٧) المصدر السابق والصفحة ذاتها.
(٨) وفيات الأعيان ج٤ ص ٣٢٩.
(٩) الفرج بعد الشدة ج١،ص ٢٥١.
(١٠) تاريخ بغداد ج١، ص٢٧٨.
(١١) المصدر السابق ج١٣، ص ١٥٥.
(١٢) الفرج بعد الشدة ج ٢،ص ٨٥.
(١٣) المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٩.
(١٤) النشوار ج٣، ص ٢١١-٢١٢.
(١٥) المصدر السابق ج٣، ص ١٥٦، ج٥، ص٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ذكر القاضي المحسن التنوخي في مقدمة النشوار أنه (اجتمع مع مشايخ فضلاء علماء أدباء) [١].

ظل التنوخي في الأهواز حتى سنة أربع وستين وثلاثمائة. وفي هذه السنة اضطربت أحوال العراق بسبب التنافس بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة. وكان ابن بقية وزير بختيار قد شرد الكثير من الناس وكان من جملتهم القاضي المحسن التنوخي [٢] الذي لجأ هو وكثير من معارفه إلى البطيحة هرباً من ابن بقية، وكانت هذه المحنة التي لحقت بالقاضي التنوخي ليست آخر محنة. وما لبث الوزير أن أفرج عن القاضي المحسن التنوخي ومن معه باستيلاء عضد الدولة على العراق، واعتقال ابن بقية.

ولي القاضي المحسن التنوخي القضاء بأمر عضد الدولة على الموصل وحلوان وجزيرة ابن عمر [٣]. وقد قويت علاقته به وصار من ندمائه [٤]. وكان عضد الدولة يعامله بكثير من التكريم والاحترام [٥]. وكان من المشمولين بالجلوس بحضرته، وهم قلائل، وكان عضد الدولة يماشيه أحيانا في دار المملكة ويحدثه، وقد يخصه بمعلومات أو يحدثه بأمور لا يحدث بها المرء عادة إلاّ صديقا مقربا [٦].

وقد تولى القضاء أيضاً لعضد الدولة في الموصل وجميع ما فتحه مما كان في يد أبي تغلب مضافا إلى حلوان [٧].

وفي سنة ٣٦٩ هـ، قام التنوخي بالخطبة في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة زواج الخليفة الطائع لله من بنت عضد الدولة الكبرى. وافتتح الخطبة بالحمد لله والصلاة على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال

---

(١) مقدمة النشوار ج ١، ص ١.

(٢) الفرج بعد الشدة ج١، ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق ج١، ١٣٤، ج٢ ص ١٨٨.

(٤) نشوار المحاضرة ج٤، ص٨٢، ٨٦.

(٥) المصدر السابق ج٤، ص ٨٨.

(٦) النشوار ج٤ ص ٢٥٩.

(٧) الفرج بعد الشده ج٢، ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أما بعد ، فإن الله جل جلالة جعل النكاح سببا وشج به الأرحام، وشرف به الأنام، وصير أعظمه فضيلة، وأقربه إليه وسيله. ما اتصل بالنبوة، وتعلق بالخلافة، وأفاد الدين جلالة وسموا ورفعة وعلوا، وأن مولانا أمير المؤمنين عبد الله عبد الكريم الطائع لله أطال الله بقاءه، وأدام علاءه، كما عرف موضع عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولاه أدام الله عزه ونعماه في الذب عن الدين، والمحاماة عن المسلمين، والمراماة بنفسة دون الدعوة، والمناضلة في نصرة الخلافة، رأى أن يجازيه عن ذلك بأشرف المجازاة ويكافئه عنه بألطف المكافأة، ويصل نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روى فيه عنه أنه قال (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)، فخطب إليه سيدة نساء عصرها فضلا وجلالا، وواحدة بنات دهرها نبلا وكمالا، فلانة بنت عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين أدام الله عزه "[١]. وهذا يدل على منزلته العالية لدى كل من الملك والخليفة.

وكان القاضي المحسن لتنوخي يرافق عضد الدولة في أسفاره ويحضر مجلسه[٢] وفي سنة ٣٧٠ هـ خرج عضد الدولة إلى همذان، وأقام بها شهورا[٣]. ولكن الصلة التي كانت تربط القاضي المحسن التنوخي بعضد الدولة ما لبثت أن فترت اثر حادثة وقعت، وذلك أن القاضي المحسن التنوخي كان في معكسر عضد الدولة سنة ٣٧١ هـ

وحدث أن زار القاضي المحسن التنوخي أبا بكر بن شاهوية رسول القرامطة إلى عضد الدولة فأفضى أبو بكر إلى القاضي المحسن التنوخي بحديث كان عضد الدولة قد أسرّه إليه، وأفضى القاضي بدوره بذلك الحديث إلى أبي الفضل بن أبي أحمد الشيرازي الذي كان في خدمة عضد الدولة. وأخبر هذا الأخير عضد الدولة بالأمر (فوجم وجوماً شديدا وقام من سماط كان قد عمله في ذلك اليوم)[٤] واستدعى القاضي المحسن التنوخي وسأله عن حقيقة ما جرى، فكان لا بد للتنوخي

(١) رسوم دار الخلافة ، بغداد – ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤م، ص١٣٨.

(٢) النشوار، ج٥، ص٣٦.

(٣) المنتظم ج٧، ص١٠٣.

(٤) النشوار ج٤ ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أن ينكر حقيقة ما قاله لمعرفته ببطش عضد الدولة وشدة سطوته. وقد أيد القاضي في أقواله من كان حاضرا في ذلك المجلس، وبخاصة أبو بكر بن شاهوية [١] ولاشك أنهم فعلوا ذلك حرصا منهم على القاضي.

(فغضب عضد الدولة على القاضي التنوخي واستمر غضبه مدة خمسة وأربعين يوما لم يكلمه ولم يرفع له طرفا، ولا لوى إليه وجها) [٢]. ثم استدعاه بعد ذلك وسأله عن الأمر مرة أخرى وكان لا بد للقاضي أن ينكر مرة أخرى، فأنبه عضد الدولة وذكره بحقوقه عليه [٣]. وقد طلب منه عضد الدولة أن يحدثه بما تقول الحاشية عنه فحدثه التنوخي بحديث طويل فيه جرأة وصراحة [٤]. وفي طريق العودة إلى بغداد رأى عضد الدولة المحسن التنوخي بثياب حسنة ومركب فاره، فسأله عن ذلك، فأخبره أنها من الصاحب ابن عباد، فظن عضد الدولة أن القاضي التنوخي أوصل إلى الصاحب أمر الحديث السابق الذي كان قد قرر فيه التخلص من الصاحب، فكافأه على ذلك بهذه الهدايا، وأفهم القاضي التنوخي أنه يتهمه بذلك بالرغم من أن القاضي المحسن التنوخي نفى أن يكون حدث الصاحب بن عباد بذلك الحديث [٥].

وفي بغداد طلب عضد الدولة من القاضي المحسن التنوخي أن يتوسط له عند الخليفة الطائع لله (لتجافيه عن ابنته المنقوله إليه) وأن ذلك (ثقل عليه) وقال له (تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية أنها مستزيدة لاقبال مولانا عليها وادنائه إليها..... فقد كنت وسيط هذه المصاهرة) [٦]. وقد وافق التنوخي وذهب إلى داره ليلبس ثياب دار الخلافة فزلق ووثئت رجله، فأنفذ إلى عضد الدولة يعرفه عذره في تأخره عن أمره. ولكن عضد الدولة شك في ذلك، وأرسل من يستعلم الخبر من دار التنوخي

(١) المصدر السابق، ص٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(٤) المصدر السابق ص٩٨.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٦) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخبره (أنه متعالل وليس بعليل) [١]، فاغتاظ عضد الدولة غيظا حرك ما في نفسه من التنوخي أولا، فراسله :(بأن الزم بيتك، لا تخرج عنه، ولا تأذن لأحد في الدخول عليك فيه) [٢] إلا نفرا استأذنه القاضي المحسن التنوخي فيهم فأذن له) [٣].

واستمر على القاضي المحسن التنوخي السخط والصرف عن الأعمال حتى وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ [٤]. وقد عين عضد الدولة ستة قضاة ليقوموا بالعمل الذي كان يقوم به القاضي المحسن التنوخي [٥].

وهكذا صار التنوخي حبيس داره لا يبرحها حتى وفاة عضد الدولة. ولا تسعفنا كتب التراجم التي بين أيدينا عن كيفية حياة القاضي المحسن التنوخي بعد وفاة عضد الدولة، فلا «النشوار» ولا «الفرج بعد الشدة» يشير إلى شيء من ذلك إلا عبارة من كلام التنوخي في نهاية الحديث عن الحادثة التي سببت سخط عضد الدولة عليه، تفيد بأنه عاد إلى عمله بعد وفاة عضد الدولة، حيث قال :(واستمر عليَّ السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة) [٦]. ويؤيد ذلك ما ذكر في كتاب الوافي بالوفيات في ترجمة القاضي أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن معروف جاء فيها أن القاضي ابن معروف (ردت إليه أعمال القاضي أبي علي الحسين التنوخي لما توفي في السنة ٣٨٤ هـ فتولى القضاء بها كلها) [٧].

---

(١) النشوار ج٤ ص١١٠، معجم الأدباء ج١٧ ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣) معجم الأدباء ج١٧ ص١١٦.

(٤) المنتظم ج ٧ ص ١١٣.

(٥) معجم الأدباء ج١٧ ص ١١٦.

(٦) النشوار ج٤، ص١٠١.

(٧) الوافي بالوفيات، ج٤، طبعة هلمت ريتر ،١٩٦١، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح مما تقدم، أن القاضي المحسن التنوخي عاد بعد وفاة عضد الدولة إلى تقلد القضاء وقضى بقية عمره فيه. وقد امتنع القاضي المحسن عن التدخل في أمور الخليفة، ورأى أن عليه أن يتجاهل طلب عضد الدولة بالرغم من هيبته وسطوته، ورأى أن التعرض لسخط عضد الدولة أهون من السير فيما رسمه له. وأظهر بذلك سطوة القضاء وسيطرته ورهبته في النفوس التي لم يستطع عضد الدولة أن يقتحمها أو أن يتجاوزها.

ان تقلب حياة القاضي التنوخي مثال على تقلب الزمان الذي عاش فيه وتقلب أحوال السياسة فيه. فلم يكن فيها حال ثابت، فالمرء يصبح وزيرا ويمسي حقيراً. والمحنة التي أصابت القاضي التنوخي من الوزير ابن بقية لم تكن أول محنة نالته ولا آخرها. فقد أخبرنا في احدى قصصه عن (نكبة عظيمة لحقته يطول شرحها وذكرها، وحبس، وهدد بالقتل ففرج الله عنه وأطلق في اليوم التاسع من يوم قبض عليه فيه) [١]. وفي قصة أخرى يشير إلى (محنة غليظة لحقته من السلطان فكتب إليه أبو الفرج الببغاء رقعة يتوجع له فيها) [٢]. وذكر في قصة أخرى أنه التجأ إلى البطيحة هاربا من نكبة لحقته واعتصم بأميرها. وكان مع جماعة من الذين شردوا يجتمعون في المسجد الجامع يتشاكون أحوالهم ويتمنون الفرج مما هم فيه من (الخوف والشدة والشقاء) [٣].

وقد كان المحسن التنوخي وحيد والديه على ما يظهر، وقد ولد وأبوه كهل في الخمسين، وكذلك كان أبو القاسم علي بن المحسن وحيد والديه. وكان كل من الجد والأب والابن يشبه أحدهم الآخر في الفضل والذكاء وكرم النفس، فقد وصف الثعالبي المحسن بقوله :(هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل لجد أبيه وفضله، والفرع المثيل لأصله) [٤].... وقد انخرطت الأجيال الثلاثة من هذه العائلة في سلك القضاء واتبعوا مذهب الأمام أبي حنيفة، ولهم ميول نحو الاعتزال. [٥]

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق ج١، ص١٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٧٣.

(٤) يتيمة الدهر ج٢ ص٤٠٥.

(٥) معجم الأدباء ج١٤ ص ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان الوالد يميل إلى اللهو البريء رغم ما يفرضه منصبه كقاض من هيبة وتزمت ووقار. فقد روى عنه أنه كان من جملة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة) [١]. وأياهم عنى السرى بقوله :- [٢]

مجالس ترقص القضاة بها اذا انتشوا في مخانق البرم

وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم

وقد تحلى المحسن بأخلاق أبيه، وكان للأب خلق رفيع يعترف لكل ذي فضل بفضله ويأبى أن يغمط الناس حقوقهم. فقد جرى ذكر رجل كان صغيرا فارتفع، فقال بعض الحاضرين عنه: من ذاك الوضيع؟ أمس كنا نراه بمرقعة يشحذ. فقال القاضي علي بن محمد التنوخي: ما يضعه؟ أن الزمان عضه ثم ساعده، كل كبير إنما كان صغيرا أولا، والفقر ليس بعار إذا كان الإنسان فاضلا في نفسه [٣]. وهذا تفكير راق منصف من القاضي علي بن محمد التنوخي. وقد نشأ التنوخي الابن على غرار أبيه، فهو يميل إلى السمو في الأخلاق ومراعاة مقتضى الحال.

وقد مدح كل من الأب والابن لسمو خلقهما وشمائلهما ومما قيل في مدح الأب: [٤]:-

كفى القاضي رضاى بما ارتضاه، ولم أذمم رضاى ولا رضاه

وقيل فيه أيضا[٥]:-

يا من أراق له السماح ندى أضحى به الأحرار في رق

فضلا سبقت العالمين به والفضل مقصور على السبق

ألزمت نفسك غير لا زمها وعرفت لي حقين لا حقي

وقد مدح القاضي المحسن التنوخي من قبل الشاعر الصروى. وذلك عندما سقط القاضي عن بغلة [٦]:-

(١) المصدر السابق، ص١٦٦. (٢) المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٣) معجم الأدباء ج ١٤ ص١٧٤. (٤) نشوار المحاضرة ج٣، ص ١٧.

(٥) المصدر السابق والصفحة ذاتها. (٦) المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسمت فتاة العير حمل العلى وقد نهيت من الاشفاق عن حملك القبا

ومشّيتها تحت الشريعة والقضا ولوسمت رضوى حمل هذين قضى نحبا

فيا عجبا أن لم يسخ رسغها القضا وما هدّ ثقل الدين من متنها الصلبا

ومن ذا يطيق الطود حملا اذا رسا ومن يحمل البحر الخضم اذا عبا

نزلت ببدر منك لم يخف نوره وغيث حيا أحيا بسقطته التربا

وقمت سليم الجسم يدعو لك الثرى ويلثم منك الرجل والنعل والركبا

نهني بك المحراب والآى والتقى ودستك والأقلام والحكم والكتبا

لقد اتهم المحسن التنوخي بأنه (شديد التعصب على الامام الشافعي، يطلق لسانه فيه) ،[1] وهذه تهمة لم يقم عليها دليل، ومؤلفات القاضي التنوخي التي بين أيدينا تشهد بذلك، والمحسن التنوخي أتقى لله من أن يتعرض للامام الشافعي بسوء وأظن هذه التهمة دست عليه من قبل أعدائه.

لقد وصف المحسن التنوخي في المصادر التي ترجمت لحياته بأنه كان أديبا واخباريا شاعرا، وقد ترك ثلاثة مؤلفات وديوان شعر. ومؤلفاته هي (نشوار المحاضرة و «أخبار المذاكرة)و «الفرج بعد الشدة»، و «المستجاد من فعلات الأجواد».

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المؤلف الأسباب التي دعته لتأليف الكتاب على هذا النمط الذي عرف به فقال:-

١- (اني اجتمعت قديما مع مشايخ فضلاء علماء أدباء قد عرفوا أحاديث الملل وأخبار الممالك والدول وشاهدوا كل فن غريب ولون طريف من أخبار الملوك والخلفاء ... الخ)[١].

٢- (فلما تطاولت السنون ومات أكثر أولئك المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن ، ولم يبق من نظرائهم إلا اليسير الذي إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه مات بموته ما يرويه) [٢].

٣- وجد التنوخي أن أخلاق الملوك والرؤساء في زمنه (لا تأتي من الفضل بمثل ما تحتوي عليه تلك الأخبار بل هي مضادة لما تدل عليه تلك الحكايات فيستغنى بما يشاهد من نظيره عن حفظ ما سلف وتحبيره) [٣].

٤- أراد المحسن التنوخي من كتابة هذا الكتاب ابرازفضل العلماء والحكماء والأدباء في زمنه (وأهل الفضل والبراعة في كل علم وأدب)[٤] وأنهم يفوقون (من تقدمهم في الزمان) [٥] ولكنهم لم يحظوا مثلهم بالتقدير والاحترام.

٥- اتفق أن المؤلف حضر المجالس بمدينة السلام في سنة ستين وثلاثمائة بعد غيبته عنها سنين فوجدها (مختلة مما كانت به عامرة وبمذاكراته آهلة ناظرة)[٦] ولقي في حضورة هذا (بقايا من نظراء اولئك الأشياخ وجرت المذاكرة)[٧]، فوجد ماكان في حفظه من تلك الحكايات قد قل فأراد أن يثبت ما بقي مما حفظه قديما وأضاف إليه مايحث على قراءته من شعر لمحدث أو مجيد من الكتاب والمتأدبين.

٦- أراد أن يثبت (أن الزمان قد بقيٌ من القرائح والألباب في ضروب العلوم والآداب أكثر مما كان قديما أو مثله) [٨] ولكن اهتمام أرباب الدول السابقة

(١) النشوارج١ ص٧. (٢) المصدر السابق ص٨. (٣) المصدر السابق ص٨.
(٤) المصدر السابق ص٩. (٥) المصدر السابق ص ١٠. (٦) المصدر السابق ، والصفحة ذاتها.
(٧) المصدر السابق ، والصفحة ذاتها. (٨) المصدر السابق ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالأدب (أظهره ونشره وزهد هؤلاء الآن في هذا الأدب ستره وغمره) [١].

٧- يشير التنوخي إلى الفورة العلمية التي شهدها القرن الرابع الهجري بقوله (خرج في أعمارنا وما قاربها من السنين من مكنون العلم وظهر من دقيق الخواطر والفهم ما لعله كان معتاصا على الماضين وممتنعا على كثير من المتقدمين) [٢].

٨- أراد التنوخي أن يستفيد القارىء العاقل اللبيب والفطن الأريب من هذه المذاكرات فتحثه على العلم بالمعاش والمعاد وتعرفه عواقب الصلاح والفساد وما تفضي إليه الأمور في النهاية (حتى لا يتوغل في أمثالها ولا يتورط بنظائرها وأشكالها) [٣].

٩- يقول التنوخي المحسن بن علي أخيرا أن تسجيل هذه المذاكرات :(خير من أن يكون موضعها بياضا، ففيه فائدة أن شاء الله تعالى) [٤].

كان المحسن التنوخي يتمتع بحافظة قوية وذاكرة حية منذ الصغر. فهو كما رأينا جلس لسماع الحديث وهو ابن ست سنوات وتتضح قوة حافظته من القصه التي رواها ياقوت في معجمه حيث حفظ قصيدة دعبل بن علي المكونة من ستمائة بيت في ليلة واحدة[٥]. وكتاب النشوار مثال حي أيضا على قوة حافظة القاضي المحسن التنوخي، وموضوع الكتاب يدور حول الإنسان من خلال موقعه في الحياة، وقد بلغت أصناف البشر الذين عددهم التنوخي في المقدمة أكثر من مائتي صنف وكل هؤلاء تجمعهم صفة واحدة هي البشرية.

وفكرة تأليف الكتاب على هذا النمط تدل على تفرد القاضي التنوخي في هذا المضمار، وسبقه في هذا الشأن وقد أشرت إلى ذلك في تصريحه هو نفسه[٦]، وقد قصد المؤلف أن يجعله مختلطا من غير أن يكون أبوابا مبوبة ولا أنواعا مرتبة. والسبب في ذلك كما يقول المؤلف

---

(١) النشوار ج١، ص١١.
(٢) المصدر السابق والصفحة ذاتها.
(٣) المصدر السابق ص ١٢.
(٤) المصدر السابق ص ١٤.
(٥) معجم الأدباء ج١٤، ص ١٧٥، النشوار ج٢، ص١٤١.
(٦) النشوار ج١، ص١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه:(وأكثرها ما لوشغلت نفسي فيه بالنظم والتأليف والتصنيف والترتيب لبرد واستثقل، وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول كل باب فيه علم أن مثله باقيه فقل لقراءة جميعه ارتياحه ونشاطه..... والفصول التي ان رتبت على الأبواب وجب أن توصل بما تقدم من أشباهها وتردد في الكتب من أمثالها فينتقص ما شرطناه ويبطل ما ذكرناه، من أن هذه الأخبار جنس لم يسبق إلى كتبه) (١).

لقد كان القاضي المحسن التنوخي مبتكرا في كتابه، أصيلا في هدفه. وقد أضاف للمكتبة العربية نموذجا جديدا كل الجدة في الأخراج والتعبير ونموذجا يحتذى في الصياغة والتأليف. وقد كان القاضي التنوخي أحد الذين قيضهم الله لهذه اللغة لحفظها وتيسيرها. وهذا المؤلف في الأسمار والحكايات لا يخلو من متعة وفائدة، ولا يقصر عن أن يكون تبعا ورائدا.

وأول ما يطالع القارىء من محاسن كلام القاضي التنوخي، مقدمة كتاب النشوار. إذ يصف التنوخي في المقدمة حال المستمعين الذين طال استماعهم لأحاديث العلوم والحكم فهم ينتابهم الملل والسأم ويصيبهم الضجر، فهم بحاجة لملحة أو طرفة يصرفون بهما السأم والضجر، وطالما انتاب المجالس أو الندوات مثل ذلك. فإذا لطف الجو بطرفة أو خبر ظريف تنتعش النفوس وتشرئب للسماع. يقول التنوخي (وكان القوم الذين استكثرت منهم وأخذت ذلك عنهم يحكونه في أثناء مذاكراتهم وفي عرض مجاراتهم وبعد انقضاء ملحهم وآدابهم والخوف من ملل يلحق السامعين لعلومهم وحكمهم، نفيا للمساكنة، واجترارا للمثافنة، وصلة للمجالسة وفتحا للمؤانسة) (٢).

جعل المحسن جمله قصيرة ليحس القارىء بالراحة أثناء القراءة، فلا يضطر للركض بعينيه وراء الجملة مسافة طويلة. واستعمل المصدر ليكون أشد في التأثير. ويقارن القاضي التنوخي في مقدمته بين مكارم الحكام وما كان عليه بعضهم في زمنه فيقول: (حتى أن من بقي من هؤلاء الشيوخ إذا ذكر ما يحفظه من هذا الجنس بحضرة أرباب الدولة ورؤساء

---

(١) مقدمة النشوار ص١٢.

(٢) المصدر السابق ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقت خاصة ما كان منه متعلقا بالكرم، ودا لا على حسن الشيم، ومتضمنا ذكر وفور النعم، وكبر الهمم، وسعة الأنفس، وغضارة الزمان، ومكارم الأخلاق، كذبوا به ودفعوه، وحصلوه في أقسام الباطل واستبعدوه ضعفاً عن اتيان مثله، واستعظاما منهم لصغير ما وصلوا إليه بالإضافة إلى كبير ما احتوى أولئك عليه) (١).

وقد أخذت القاضي الحمية للدفاع عن العلماء الذين لم يعاملوا بما يستحقون من الاهتمام والتكريم فيقول :(هذا مع أن في زمانهم هذا من العلماء المحتسبين في التعليم والحكماء والأدباء المنتصبين للتأديب والتفهيم، وأهل الفضل والبراعة في كل علم وأدب وجد وهزل وصناعة، من يتقدم بجودة الخاطر وحسن الباطن والظاهر وشدة الحذق فيما يتعاطاه، والتبريز فيما يعانيه ويتولاه، كثيراً ممن تقدمه في الزمان، وسبقه بالمولد في ذلك الأوان) (٢).

وفي تبريره للمزج بين عدة أنواع من الأخبار والملح والطرق يقول:(ليستفيد منها العاقل اللبيب والفطن الأريب إذا طرقت سمعه وخالطت فهمه، من آداب النفس ولطافة الذهن والحس بما يغنيه عن مباشرة الأحوال وتلقي مثله من أفواه الرجال ويحثه على العلم بالمعاش والمعاد، والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد) (٣).

إن كتاب (نشوار المحاضرة) احتوى في ثناياه على موضوعات عدة مما يتعلق بطبائع البشر وأخلاقهم وسلوكهم. وأهم الموضوعات التي تناولها الكتاب:-

١- مكارم الأخلاق المتعددة من كرم وسخاء ووفاء ومروءة وتواضع وبر واحسان وشهامة واخلاص وشجاعة وحذر وايثار وشكر واتقان وغير ذلك.

٢- تكلم المحسن عن أضداد تلك المكارم من بخل وشح وخيانة وكبر وجبن وطمع وحسد وكره وأنانية وتهور وغدر الخ.

(١) مقدمة نشوار المحاضرة ص ٨-٩. (٢) المصدر السابق ص٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- تضمن الكتاب أخباراً عن بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين وعن أخلاقهم وعن بعض قوادهم وعمالهم وكتابهم وخدمهم.

٤- في الكتاب أخبار عن كثير من القضاة ومروءاتهم وأحكامهم وعن الصوفية المنجمين.

٥- وفي الكتاب أيضاً بعض الأخبار التاريخية والبيئية والاقتصادية.

٦- وفيه أيضاً أخبار عن طرق معايش الناس في ذلك الوقت وكدحهم واحتيالهم، وعن مجتمعاتهم وعاداتهم.

٧- وفي الكتاب أيضاً كثير من المقطوعات الشعرية التي تتراوح موضوعاتها بين المدح والفخر والوصف والهجاء.

٨- ويحتوي الكتاب على عدة رسائل بلاغية في موضوعات الأخرى.

٩- ويحتوى أيضاً على حكايات من ثقافات الشعوب الأخرى.

١٠- ويتضمن الكتاب أيضاً بعض الفكاهات الطريفة والنوادر اللطيفة والأساطير والقصص الغريبة.

ان موضوع الكرم كان من المواضيع التي شغلت حيزا من تفكير المؤلف واهتمامه ويظهر ذلك في حكاياته عن الكرم الكرماء أو في اشاراته في حكايات أخرى. ولقد أفرد المؤلف كتابا خاصا للأجواد وهو المسمى (بالمستجاد من فعلات الأجواد) مما يدل على اهتمامه البالغ بهذا الموضوع.

في حكايات النشوار كثيرا ما يتقدم ذكر الحكاية وصف للمحكي عنه بلغة أدبية جميلة. يقول عن ابن المنجم النديم (صاحب المأمون، ومحل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك معروف، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم)[١].

---

(١) النشوار ج١، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصف حامد بن العباس بقوله:(من أوسع من رأيناه نفسا وأحسنهم مروءة وأكثرهم نعمة، وأشدهم سخاء وتفقدا لمروءته) [١]. وقد جاء استعمال أفعل التفضيل مع التمييز مع قصر الجمل ليعطي للكلام قوته وحيويته ونبضه وتأثيره.

ويعجب المحسن التنوخي بمكارم الوزير المهلبي فيصف موقفا له مع عائلة فقدت معيلها:(لوكان الموت يستطاب في وقت من الأوقات، لطاب لكل ذي ذيل طويل، في أيام سيدنا الوزير أطال الله بقاءه، فإن هذا الفعل تاريخ الكرم، وغاية في تسامي الهمم، وبه يتحقق ما يروي عن الأسلاف من الأجواد، والماضين من الكرماء الأفراد) [٢]. وعبارة (كل ذي ذيل طويل) كناية عن العائلة الواسعة الممتدة.

وكان من كرم بعض العمال أن يضع موائد للفقراء، فأشير عليه بأن يتصدق بثمنها فوصف المحسن التنوخي الحال بقوله:(فأما ثمنه (أي الطعام)، فإن السائل لا تسمو نفسه، ولا يتسع صدره لعمل مثل هذا ولو دفع إليه أضعاف ثمنه مرارا، لأنه إذا حصلت عنده الدراهم صرفها إلى غير هذا، في أمره المختل الذي هو إلى اصلاحه أحوج) [٣].

وفي حكاياته عن الخلفاء، خص الخليفة المعتضد بأكبر عدد من الحكايات، وقد قص علينا أمثلة عن شدة هذا الخليفة وقسوته في معاقبة خصومه. وقد ألمح التنوخي إلى أن هذه الشدة في معاقبة الخصوم، والتجاوز بالعقاب الذي لا يقره الدين وهو حرق الناس أحياء أدى إلى خراب المدينة أي مدينة بغداد، وضعف الحكم فيها قال التنوخي: (ثم تبع ذلك بسنين خراب المدينة أولاً فأولا حتى بلغت إلى ما هي عليه) [٤].

وفي حكاية أخرى عن معرفة المعتضد بنفسية أفراد المنادمة، ماصوره التنوخي أجمل تصوير قال :(إذا كان غدا وجاء القاسم فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه، سرارا طويلا ثم التفت إليه كالمغضب، وانظر أنت إليه من خلال ذلك كالمخالس، نظر المترثي. فإذا انقطع السرار، فستخرج ولاتبرح

(١) المصدر السابق ص٢٢. (٢) النشوار، ج١ ص٧١.

(٣) المصدر السابق، ص١٢١. (٤) المصدر السابق، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهليز. فإذا خرجت خاطبك بجميل وأخذك إلى دعوته وسألك عن حالك، فاشك الفقر والخلة، وقلة حظك مني، وثقل ظهرك بالدين والعيال، وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه، فإنه لا يمنعك)[١].

والرعية يعجبها الحاكم المتيقظ لذا يقول على لسان المعتضد:(أن الديلم شرامة في الدنيا، وأتمهم مكرا، وأشدهم بأسا، وأقواهم قلوبا، ووالله، لقد طار عقلي فزعا على الدولة من أن يتطرق إليهم دخول قزوين سرا فيجتمع فيها منهم عدة، يوقعون بمن فيها ويملكونها، وهي الثغر بيننا، فيطول أمد ارتجاعها منهم، ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سببا لبطلان الدولة، وتخيلت أني أن أمسكت عن التدبير ساعة، أنه يفوت، وأنهم يحتووون على قزوين ووالله لو ملكوها لنبعوا علي من تحت سريري هذا، واحتووا على دار المملكة فما هنائي الشرب، ولا طابت نفسي بمضي ساعة من زماني فارغة من تدبير عليهم. فعملت ما رأيت)[٢].

وها هو يصف الخليفة المعتضد يقتل أسداً:(فنزل وشد أطراف منطقته، واستل سيفه، ورمى القراب الي، فأخذته، وأقبل يمشي إلى الأسد، واستقبله بضربة وثناه المعتضد بأخرى ففلق هامته، فخّر صريعا، ودنا منه وقد تلف، فمسح السيف في صوفه، حتى نظفه، ورجع الي، فأغمد السيف، وركب)[٣].

في هذه الفقرة القصيرة تصوير حي لأفعال وحركات متتابعة سريعة لمشهد يحبس الأنفاس، وقد صوره قلم التنوخي تصويرا دقيقا حيا.

ويصور لنا القاضي التنوخي حال عامل من العمال وقد علم أن المعتضد يتجسس عليه:(فعاد القاسم إلى داره كئيبا وجمع نصحاءه، وأخبرهم الخبر، وقال: ما أراد المعتضد بهذا، إلاّ ليعرفني أن هذا القدر من أخباري ليس يخفي عليه، وإن كان على الحقيقة قد علم هذا القدر فكيف تخفي عليه مرافقي وما هو أظهر من هذا من أخباري؟ وكيف يكون عيشي، وأنه لا

(١) المصدر السابق، ص٢٣٤. (٢) النشوار، ج١، ص٢٢١.

(٣) النشوار ج٣، ص ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينستر عليه مثل هذا وما تروني أصنع، فأخذوا يطيبون قلبه ولايزداد إلاّ جزعاً، إلى أن قال لهم: أن لم أعرف من رقي هذا الخبر انشقت مرارتي وقتلت نفسي) [١].

قدم لنا التنوخي في هذا التصوير الموجز ما قد يحتاج غيره إلى تصويره في صفحات ونجد بعض الكلمات البليغة التي لم تعد تستعمل في مثل ما استعملت فيه مثل : مرافق، رقى.

ويتحدث التنوخي في قصة عن المقتدر بالله عن عادة دينية يمارسها المسلمون وهي ختان الأطفال، وما كان يفعل الناس في أيامه من الاهتمام الشديد بهذا الشأن والاحتفال به كالعيد. يقول التنوخي عن أحد خدم أم المقتدر حيث نال منزلة طيبة بفضل والدته القهرمانة:(فرفعت أبا القاسم وانتهت به إلى أسنى الأرزاق وأوسع الأحوال وأخرجت له الصلات حتى ثاثلت حالة بذلك وصار صاحب عشرات ألوف دنانير وخلطته بخدمة السيدة)[٢]. وعن الختان وعادتهم في ذلك يقول:(فعزم أبو القاسم على تطهير ابنه فأنفق في وليمته ما لم يسمع بمثله، حتى أنه أفرد عدة دور للحلواء وعدة دور للفاكهة وأنفق ألوف دنانير) [٣].

وقد طلب أبو القاسم هذا من داتيه قهرمانة أم المقتدر أن يستعير القرية الفضية (التي عملت لأمير المؤمنين ليراها الناس في داري ويشاهدوا ما لم يشاهدوا مثله، فيعلمون حالي من الاختصاص والعناية[٤]. وهنا يتوقف التنوخي لأن الخليفة، لا يستعار منه، فيقول على لسان القهرمانة (فوجمت، وقالت هذا شيء عمله الخليفة لنفسه، ومقداره عظيم،وفي هذه القرية (مئين ألف) [٥] دراهم ولا أحسب جاهي يبلغ إليها، وكيف يستعار من خليفة شيء ومتى سمع بخليفة يعير، ولكن أنا أسأل السيدة في هذا، فإن كان مما يجوز، وإلاّ عرّفتك ومضت)[٦]. ثم يصور التنوخي رأى والدة المقتدر كرأي أية والدة تعرف ابنها :(قالت هذا شيء عمله الخليفة لنفسه، كيف

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧.
(٢) النشوار ج٤، ص١٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٦.
(٤) المصدر السابق، والصفحة ذاتها.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحسن أن يرى في دار غيره، وهذا فضيحة وليس يجوز أن أسأله هبتها له، لأني لا أدري هل ملها وشبع منها أم لا، فإن كان قد ملها فقيمتها أهون عليه من أن يفكر في اعارتها، وأن كان لم يملها لم أمن أن أفجعه بها، وسأسبر ما عنده)[١]. في هذه السطور نرى نظرة أم ما تزال ترى في الخليفة ذلك الطفل الذي كان بالأمس.

أما الخليفة فقد ظهرا لنضج بكلامه وعبر عن ذلك التنوخي بقوله:(فقال: يا ستي والله هذه ظريفة، يستعير خادم لناشيئا وتكونين شفيعته فأعيره ثم أرتجعه؟ هذا من عمل العوام لا الخلفاء، ولكن إذا كان محله من رأيك هذا حتى حملت نفسك على خطابي فيه وتجشمت زيارتي، وأنا أعلم أنه ليس من أوقات زيارتك، فقد وهبت له القرية فمرى بحملها بجميع آلاتها إليه)[٢].

أظهر المحسن في هذه الفقرة كرم المقتدر وبره بوالدته وصور لنا المشهد تصويرا حيا. وهذه القرية التي طلبت واعتبرت شيئا فريداً يصفها التنوخي بقوله:(كانت على صفة قرية فيها مثال البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي والناس وكل ما يكون في القرى)[٣]. ولعل المقتدر قد طلب صنع مثل هذه القرية لأنه كان كالمحبوس بين جدران قصره بسبب سيطرة الأتراك، ولعله أراد أيضاً أن يشير إلى رغبة الخليفة في التأييد من الشعب والرعية.

وللخلفاء نقاط ضعف لم يفت التنوخي تسجيل بعضها، يقول عن الخليفة الراضي: عندما توفي قاضي القضاة عمر بن محمد بن يوسف وجد عليه وجدا شديدا. حتى انه كان يبكي عليه بحضرة جلسائه، وكان يقول عنه:(كنت أضيق بالشيء ذرعا فيوسعه علي، وكان يقول:لا بقيت بعده)[٤]. ولعل تقلص نفوذ الخليفة في أمور الحكم وتمسكه بسلطته الدينية في تعيين القضاة مما دفعه إلى ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٨.
(٣) النشوار ج٤ ص، ١٤٩.
(٤) المصدر السابق، ص.٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يورد التنوخي قصصا عن تناقض أخلاق المنصور العباسي. من ذلك أنه غضب على قهرمانه لأنه خفف الطعام على الناس قياسا على تخفيف زيت الأضاءة فأنبه قائلا له: (وأنت لا تفرق بين زيت يحترق في غير ذات الله) [١]، بينما كان يزهق أرواح الكثير من العلويين دون رحمة. وفي جواب له عندما سئل لم أبقى على حياة عبد العزيز بن عبد الله بن عمر الخطاب، وكان انضم إلى محمد بن عبد الله بن الحسن:(إذا قتلت هذا، فعلي من أحب أن أتأمر) [٢]. وفي بعض القصص عن الخليفة المعتضد أنه كان متيقظا. وسواء صحت أم لم تصح فما يغلب على الظن أنها عرفت وانتشرت بين العامة ليعلم أن الخليفة يتابع كل حدث وخبر. أما المحسن فهو قد وصف الفاعل قبل وصف الفعل بمقدمة توحي وتهيىء القارىء لذلك. يقول:(بلغني أن المعتضد بالله كان يوماً جالساً في بيت يبنى له، يشاهد الصناع، فرأى في جملتهم غلاماً أسود منكر الخلقة شديد المزاج يصعد السلاليم مرقاتين مرقاتين، ويحمل ضعف ما يحملونه، فأنكر أمره، فأحضره وسأله عن سبب ذلك فلجلج) [٣]. ونلاحظ في هذه الفقرة استعمال كلمة (مرقاة) بدلا من كلمة (درجة) التي نستعملها في زمننا الحاضر. وقد يكون التنوخي يريد أن يقول أن الحاكم يجب أن يتمتع بنفاذ البصيرة وبالرأي الصائب. وفي الحوار التالي من هذه القصة يظهر ذلك :(فقال لا بن حمدون: وكان حاضرا - أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه؟ ولعله لا عيال له فهو خالي القلب. قال: ويحك قد خمنت في أمره تخمينا ماأحسبه باطلا، أما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها، أو يكون لصا يتستر بالعمل في الطين. فلاحاه ابن حمدون في ذلك. فقال علي بالأسود فأحضر) [٤]. وقد قرره المعتضد فاعترف بسرقة رجل وقتله.

---

(١) النشور ج٦، ص١٢٣.

(٢)المصدر السابق، ص١٥٥.

(٣) النشور ج٧، ص٦٨.

(٤) النشور ج٧، ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند القاضي التنوجي أن كلمة الحق يجب أن تسمع ولو من كافر. فهذا قول وجهه أحد المتهمين للخليفة المهدي :(ياأمير المؤمنين، اتق الله، فقد حكمت علي بخلاف حكم الله تعالى، وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم، يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقهما وحسابهم على الله، وأنت قد جلست تطالبني وتضربني حتى أكفر، فتقتلني، قال: فخجل المهدي، وعلم أنه قد أخطأ فأمر باطلاقه) [١]. وللمعتضد رد على مملوك له حوكم، أن الحكم يجب أن ينفذ حتى على أعوان الخليفة:(ليس خصوصك بي يزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان وقوام الأديان) [٢].

والحكام يرون في قتل مخالفيهم راحة لهم وانتصارا عليهم، وقد لا يكون مبرراً، ولذلك أورد التنوخي قصصا عن بعض الأمراء الذين كانوا يسرعون في ذلك وعدم موافقته على ذلك الفعل بأن وجد لهم مخرجاً من ذلك وهو العفو. فعن سيف الدولة أنه أنب أحد جلسائه بعد فعل كهذا بقوله:(ماهذا الأدب السيء، وما هذه المعاشرة القبيحة، التي نعاشر ونجالس بها كأنكم ما رأيتم الناس ولا سمعتم أخبار الملوك، ولا عشتم في الدنيا، ولا تأدبتم بأدب دين ولا مروءة) [٣]. ويعتبر التنوخي هذا من مكارم أخلاق سيف الدولة حيث صار يسأل العفو فيعفو.

ونلاحظ في الفقرة التالية التكثيف في لغة المحسن التنوخي:(كان محبا للجوهر (المأمون) وكان الناس يغالون فيه في أيامه، فأراد أن يحتال بحيلة تضع من قدره ليرخص قيمته فيشتريه) [٤]. فهو يضع كلمة مكان جملة مثل (محبا، يغالون، تضع). وكذلك هو التنوخي في كثير من عباراته.

---

(١) المصدر السابق ج٨، ص٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ج١، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق ، ص١٤٣.

(٤) النشوار ج٢، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل ذلك ما رواه عن هشام بن عبد الملك لما ثقل وطلب شيئا فقيل له (إن الخزان قد أقفلوا على جميعه. وتفرقوا. فقال ما أرانا إلا كنا خزانا للوليد بن يزيد) [١]، ونجد التكثيف في الجملة الأخيرة، وفي الجملة التالية من التعبير الموجز عن الحالة النفسية التي تنتاب الإنسان في موقف معين قوله (فما انتفعنا بأنفسنا ذلك اليوم، فكرا في تقلب الزمان وتصرف الحدثان) [٢].

وفي الفقرة التالية من نصيحة أمير لأبنه ألفاظ التنوخي المنتقاة المعبرة:(إذا رأيت السلطان قد رفع من أهلك رجلا، أو أن الزمان قد نوه به ورأسه، فأياك أن تحسده وتشغل نفسك بعداوته، فإنك تتعب، ولا تصل إلى فائدة وتسقط أنت ولا يضره هو، وتغتم أنت ولا يتأذى هو، وتغض من نفسك، بغضك من رجل صار كبيرا من أهلك، فإنه ما ارتفع إلا بآلة فيه، يدفعك بها، أو اقبال يدفعك عنه) [٣]. وفي صفة خلقه أمير يقول :(وكان أثر الأشياء عنده وأنفقها عليه وأحبها إليه أن يسأل فيعطى، وأن يستزاد فيزيد، وأن يطالب ويناظر) [٤].

ان القاضي المحسن التنوخي متمكن من اللغة قابض بقلمه على ناصيتها يطوع مفرداتها وألفاظها لأفكاره وآرائه ويتناولها بيسر وسهولة بقلم سيال. يقول في كتاب تهنئة لأبي تغلب:(لم تزل عادة الله عند مولانا الأمير السيد أطال الله بقاءه وأدام تأييده وكبت أعداءه، جارية بالمواهب النبيلة، والنعم المتصلة الجليلة، متسقة على التوفيق والسداد، مطردة بمنة الله أجمل اضطراد، لما خصه الله تعالى به من حسن النية وجميل الاعتقاد، وأفرده من تغمد الحق في الاصدار والايراد، وألهمه اياه من التوفير على شكره وحمده واجتلاب المزيد لذلك عنده) [٥].

---

(١) المصدر السابق، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الفقرة التالية من هذه الرسالة نرى جمال اللغة وموسيقاها المطربة وتناسق الجمل :(وأفعاله مقترنة أبدا بالرشاد، وآراؤه بحمد الله مصاحبة للصواب والسداد، ورياته موصولة بالعز والنصر. ونعم الله عنده محفوظة بالحمد والشكر، وبحسب ذلك تكون دواعي المزيد. على قدر تضاعف التمكين والتأييد، ولهذه الشيم السنية، والفضائل الجليلة العلية، والطوية الحميدة المرضية، ما يجدد الله منحه لديه ويديم دفاعه عنه واحسانه إليه، ويسبغ آراءه ونعمة عليه، ويجعل كلمته العليا، وكلمة أعدائه بسهم الله السفلى) (١) . ويعود لتجديد الدعاء بقوله :(وينوه باسمه - ثبته الله - في سائر البلاد ويجعل زناده- أناره الله - أضوأ زناد ، ويشرف الدعاء- على التنائي - بذكره ويصل ألسنة من قرب وبعد بشكره والحمد لله على ما حوله وأولاه، وإليه الرغبة في زيادته فيما نوله وأعطاه، وحراسته في بدء كل أمر وعقباه... واعلائه على كل من حسده وناواه، وقصر عن شأوه فعاداه والحمد لله الذي جعل معزته ظاهرة البركة، سعيدة السكون والحركة، ميمونة الأحوال، محمودة الحل والترحال) (٢) . ولقد استعان المؤلف التنوخي بالمعاني والمفردات القرآنية في بعض الجمل، وكذلك استعان المؤلف بالجمل المسجوعة إلا أنه سجع مطبوع، وهو مع ذلك يقطعه بمعنى قرآني يسوقه لتقوية ما تقدم. ويقول في نهاية الرسالة :(ولن يرتفع لقادر علم إلا وضعه الله سبحانه وتعالى بمثله - أيد الله - من كرام المخلصين لديه، ولا يبسط لمبطل أمل إلا قطعه الله تعالى بأقرب الطائعين إليه، فعال الله جل ذكره في عباده ليجعل جنده المنصورين، وأعداءه المقهورين، وليظهر حقه على مستحقه ويهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة) (٣) . وقد كرر في هذه الرسالة استعمال كلمة (نعم) فلم يخل ذلك بجمال الكتابة من ذلك :(النعم المتصلة الجليلة ونعم الله عنده محفوظة بالحمد والشكر) (فشكرهم لله تعالى على ما منحه من التوفيق والنعمة في ذلك بحسب موقعها) (ورد الله الذين

---

(١) النشوار ج٢، ص٢٦٢. (٢) المرجع السابق، ص٢٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كفروا نعمة مولانا بغيظهم) و (هنأ الله مولانا الأمير نعمة عليه) وفي الرسالة مترادفات للكلمة مثل :(جارية بالمواهب الجليلة) (منة الله) (وما يجدد الله منحه لديه) و (احسانه إليه) و (ضاعف قسمه ومنحه).

وفي هذه القصة عن عضد الدولة تظهر مهارة القاضي المحسن التنوخي في حبك العقدة للقصة وتناولها بمهارة حتى إن القارىء لا يتركها إلا بعد أن ينتهي منها.

لقد حدثت والدة عضد الدولة ابنها عن أخ له فقدته وعن حزنها (أسفا لفقده، وخوفا من أن ينقطع ما بينها وبين الأمير بعده) [١]. ثم حملت أم عضد الدولة به وكانت خائفة أن ترزق ببنت (لاعراضه عنهن) [٢] ولم تزل (على جملة القلق والجزع، إلى أن دخلت في شهري وقرب ما أترقبه من أمرى، وأقبلت على البكاء والدعاء ومدوامة الصلاة والأدعية إلى الله في أن يجعله ولدا ذكراً سويا محظوظاً) [٣].

ثم رأت أم عضد الله في منامها الأمام علي كرم الله وجهه فقال لها :(يا فلانة ... قد فرغ الله مما ذكرت، وستلدين ذكرا سويا نجيبا ذكيا عاقلا، فاضلا، جليل القدر، سائر الذكر، عظيم الصولة، شديد السطوة، يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة إلى حلب، ويسوس الناس كافة، ويقودهم إلى طاعته بالرغبة والرهبة ويجمع الأعمال ويقهر الأعداء)[٤]. وصف التنوخي عضد الدولة في هذه الفقرة وصفا يكشف نفسيته. ثم يشير المؤلف إلى ما يمكن أن يتأثر به الأولاد من آبائهم وأمهاتهم. فقد تأثر عضد الدولة بوالدته وبايمانها بالمنامات. وسواء صح هذا الكلام أم لم يصح، فإن عضد الدولة يريد أن يؤكد تأييده لكلام الإمام علي رضي الله عنه، ويريد أن يؤكد تشيعه. وهو يصف الأمام علي بأن (الناس يجتمعون عليه، ويهرعون إليه ويفاوضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم) [٥]. وقد يكون ما أشار به عضد الدولة من عدم نسيان آل علي رضي الله عنه، وهم الذين كان يهدد بهم البيت

(١) نشوار المحاضرة ج ٤، ص ١١٨.
(٢) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها.
(٣) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها.
(٤) المصدر السابق ص ١١٩.
(٥) المصدر السابق ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسي، وفي ذكرهم تجديد نشاطه وقوته. ويشير عضد الدولة أن الأمام علي حدد له حدود مملكته، أو أنه الذي حضه على الاستيلاء عليها وجعل من هذه الأقوال حافزاً له لضمها تحت طاعته لذا نراه يقول: نراه يقول: (وقوفه على أنني أملك حلب، ولو كان عنده أنني أتجاوزها لقال) [١]. وقد يكون هذا نابعا أيضاً من احساس عضد الدولة بعدم شرعية حكمه فهو يلجأ إلى التشيع ونشر الاشاعات التي يظن أنه من خلالها يضفي صفة الشرعية على حكمه وذلك باستغلاله حب آل البيت والتشيع لهم.

وفي قصة أخرى عن عضد الدولة ووزيره، نجد قلم أبي علي التنوخي يصف هذا الوزير وصفا يتيح للقارىء معرفته معرفة تامة يقول : (كان قدم في دولته أبا القاسم عبد العزيز يوسف، واعتقد في كماله عقله، ورزانة نبله ، ورجحان فضله ، فناط به أزمة عقده وحله، واعتمد إليه في أمر ملكه كله. وكان نفاق الحاشية، يغطي عواره، ويستره، وألسن الخدم والأتباع لعضد الدولة، تمدحه وتشكره، وجماعة من عظماء الدولة، تعرض عنه فلا تذكره، وهو يتبجح بدعوى العقل، وهو أجهل من باقل، ويتحلى بحسن التدبير، وهو بجيد من المعرفة عاطل، ويظهر الاستطالة على فضلاء الأماثل، وهو خال عن الفضائل) [٢]. ويكشف القاضي التنوخي عن حقيقة هذا الوزير بقوله:(إذا لم تبذل جاهك لمتهلف، ولم يكن عندك بر لضعيف، ولا فرج لمكروب، ولا عطاء لسائل، ولا جائزة لشاعر، ولا مرعى لمنتجع، ولا مأوى لضيف، ولا ذب عن عرض مخدومك، ولا استجلاب ثمار الألسنة بالأدعية والمحامد لدولة أوجدتك، ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب حمدا أوذماً؟) [٣]. ويعبر التنوخي عن غضب عضد الدولة عندما يكتشف حقيقة وزيره بقوله:(الآن علمت أنك لا تعتمد حالة ترضي الله تعالى، ولا تتبنى مكرمة، ولا تحفظ مروءة، ولا تحرس أمانة، ولا يخرج فكرك عنك، ولا صمتك إلاّ في مال تجتذبه، واقطاع لنفسك تثمره، وتجعلني بابا من أبواب معاشك، وجهة من جهات أرباحك، تبعد من ينفعني، وتقرب من ينفعك، فخدمتك معروفة وسيرتك معلومة، وكنت أسمع في جرك النار إلى قرصك وشرهك في جميع

(١) المصدر السابق ص١٢٢. (٢) النشوار ج٥، ص٨٥. (٣) المصدر السابق، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحوالك وأذاك لمن يقصد أبوابنا، ولكن لكل أجل كتاب) [١]. ويعلق التنوخي على هذا الوزير بقوله (فظهرت بسوء فعله، قلة عقله، وبقبح قصده ، ضعف رأيه) [٢] . وفي آخر الفقرة السابقة نجد استعانة المؤلف بالامثال الشعبية التي لاتزال مستعملة وهو قوله (وفي جرّك النار إلى قرصك).

ويقدم لنا التنوخي صورة لتعيين الخليفة وفيها من الآراء السياسية التي كانت سائدة بين الوزراء والكتاب وفيها تصوير لأنماط تفكير الوزراء حينئذ وتفضيلهم مصلحتهم الخاصةعلى المصلحة العامة، قال التنوخي:(فقال له ابن الفرات:قررت رأيك على ابن المعتز؟ قال هو أكبر من يوجد، قال: وأي شيء تعمل برجل فاضل، متأدب،قد تحنّك، وتدرب وعرف الأعمال، ومعاملات السواد، وموقع الرغبة في الأموال وخير المكاييل والأوزان، وأسعار المأكولات والمستغلات، ومجاري الأمور والتصرفات وحاسب وكلاءه على ما تولوه، وضايقهم وناقشهم، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم، أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم، فكيف يتم لنا معه أمر، أن حمل كبيرا على صغير، وقاس جليلا على دقيق هذا لو كان ما بيننا وبينه عامرا، وكان صدره علينا من الغيظ خاليا فكيف وأنت تعرف رأيه؟) [٣].

أما عن القضاة فإن القاضي المحسن التنوخي أورد قصصا كثيرة عن زملاء المهنة وعن حكاياتهم مع الخلفاء والحكام والعمال، وقد كان يهمه كثيرا أمر القضاء وهيبته وكماله. فالقاضي عليه أن لا يصدر حكما يخالف الشرع.وهذا يتجلى في جواب للقاضي أبي عمر :(كنت راسلتني في أن أحكم لفلان بشيء لم تجز اجابتك إليه لأنه لم يكن من مذهبي، ولامما يجوز عند ي في الحكم، ولو عرضت على السيف لم أجب إلى محال في حكم) [٤]. ويصف قاضيا بقوله :(يا عفيف، يا نظيف، يا مأمون يا ثقة، يا جمال الإسلام، يا تأريخ القضاة) [٥]... وعن خبرة القاضي في معرفة الخصوم يقول التنوخي

(١)المصدر السابق، ص ٨٧. (٢) المصدر السابق، ص٨٧.

(٣) النشوار ج٦، ص٦٥. (٤) المصدر السابق ج٢، ص٨٤.

(٥) المصدر السابق ، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أحد القضاة:(ويحك أني أعرف في أكثر الأحوال، في وجوه الخصوم، وجه الحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطيء، وقد وقع لي أن سماحة هذا بالاقرار هي عن بلية وأمر يبعد عن الحق وليس في ملازمتهما بطلان حق ولعله أن ينكشف لي في أمرهما شيء أكون معه في الحكم على ثقة. أما رأيت قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جاشهما مع عظم المال، وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع، حتى يقر مثل هذا طوعا عجلا بمثل هذا المال) [١].

وفي قصة عن والد التنوخي القاضي علي بن محمد التنوخي تدل على حكمته وورعه، وتخبرنا عن اضطراب الأمن وسوء الأحوال الاجتماعية في ذلك الوقت، يذكر التنوخي المحسن أن اللصوص خرجوا على والده، وقد حاول أن يفتدي نفسه منهم بأن منع حاشيته من قتالهم. والحوار بين والد التنوخي وقاطع الطريق يكشف لنا معضلة اجتماعية تتكرر في كل زمان، ألا وهي بطالة الشباب. ونحن وأن كنا لانؤيد هذا الشاب الذي سلك سبيلا منحرفا لكسب معيشته فأننا نؤكد أنها مشكلة أو معضلة تتكرر كثيراً. يقول التنوخي على لسان والده:(قلت يا هذا، كيف بلغت إلى هذه الحال؟

فقال : ياسيدي: نشأت، فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلني أحد، وانصاف إلى هؤلاء الرجال فطلبت قطع الطريق، ولو كان أنصفني السلطان، وأنزلني بحيث استحق من الشجاعة وانتفع بخدمتي، ما فعلت بنفسي هذا) [٢].

ويورد التنوخي قصصا عن شدة القضاة في الحكم وتنفيذه ولوكان على الخليفة يقول :(فقال أبو خازم : قل له: أمير المؤمنين- أطال الله بقاءه- ذاكر لما قال وقت ما قلدني، أنه أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدع إلاّ ببينة. فرجع طريف إليه ، فأخبره. فقال : قل له فلان وفلان يشهدان، يعني رجلين جليلين كانا في ذلك الوقت . فقال يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإ زكيا قبلت شهادتهما، والاّ أمضيت ما

(١) المصدر السابق ج٣،ص١٢.

(٢) النشوار، ج٤، ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت عندي. فامتنع أولئك من الشهادة فزعا. ولم يدفع إلى المعتضد شيئا)[١]. ويصف أحد القضاة بقوله : (وكان رجلا واسع الأخلاق، كريما، جواداً طلابًه للحديث)[٢]. ويقول في آخر :(من تصفح أخبار الناس لم يخف عليه موضعه، وإذا بالغنا في وصفه كنا إلى التقصير فيما نذكره من ذلك أقرب. ومن سعادة جده، أن المثل ضرب بعقله وحلمه، وانتشر على لسان الخطير والحقير ذكر فضله، حتى أن الإنسان كان إذا بالغ في وصف رجل، قال : كأنه أبو عمر القاضي، وإذا امتلأ الإنسان غيظا قال: لو أني أبو عمر القاضي ما صبرت. سوى ما انضاف إلى ذلك من الجلالة والرياسة، والصبر على المكاره، واحتمال كل جريرة أن لحقته من عدوه وغلط إن جرى من صديقه، وتعطفه بالإحسان إلى الكبير والصغير واصطناع المعروف عند الداني والقاصي، ومداراته للنظير والتابع، ولم يزل على طول الزمان يزداد جلالة ونبلا)[٣].

ان اتباع القاضي التنوخي المذهب الحنفي لم يمنعه من تعظيم قضاة المذاهب الأخرى، فها هو يتحدث عن قاض مالكي فيقول:(ونشر من مذهب مالك وفضله، مالم يكن بالعراق في وقت من الأوقات. وصنف في الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه، وطريقا يسلكونه وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه ألف في القرآن كتبا تتجاوز كثيراً الكتب المصنفه فيه. فمنها: كتابه في أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد من أصحابه إلى مثله. ومنها كتابه في القراءات، وهو كتاب جليل القدر عظيم الخطر. ومنها كتابه في معاني القرآن، وهذان الكتابان يشهد بتفضيله فيهما، واحد الزمان ومن انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في ذلك الأوان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد)[٤]، ولايفوت القاضي المحسن التنوخي أن يتكلم عن الأمام أبي حنيفة وهو امام مذهبه يقول:(كان أبو حنيفة رجلا فقيها، معروفا بالفقه، مشهورا بالورع، واسع الحال، معروفا بالأفضال على كل من يطيف به، صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار حسن

(١) المصدر السابق، ص١٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٣) المصدر السابق، ج٥ ، ص٢٠٨.
(٤) النشوار، ج٦، ص ١٩-٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الليل، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في حلال أو حرام، فكان يحسن أن يدل على الحق هاربا من مال السلطان) [١].

ويقول عن القاضي عمر بن أبي عمر:(وهذا رجل يستغني باشتهار فضله، عن الاطناب في وصفه، لأنا وجدنا البلغاء قد وصفوه فقصروا، والشعراء قد مدحوه فأكثروا، وكل يطلبون أمده فيعجزون، إذ كان الله تعالى جعله نسيج وحده، ومفردا في عصره ووقته في حفظ القرآن، والعلم بالحلال والحرام، والفرائض، والكتاب، والحساب والعلم باللغة، والنحو، والشعر، والحديث،والأخبار، والنسب، وأكثر ما يتعاطاه الناس من العلوم، وأعطاه من شرف الأخلاق وكرم الأعراق والمجد المؤثل، والرأي المحصل، والفضل والنجابة والفهم والاصابة، والقريحة الصافية والمعرفة الثاقبة، والتفرد بكل فضل وفضيلة، والسمو إلى كل درجة رفيعة نبيلة، ومن محمود الخصال، والفضل والكلام، ما يطول شرحه: وكان فقيها على مذهب مالك وأهل المدينة. مع معرفته بكثير من الاختلاف في الفقه) [٢].

ونحن نلاحظ أن التنوخي أورد في هذه الفقرة جميع العلوم التي كان على القاضي أن يتقنها.

وفي النشوار كثير من القصص والأوصاف لكثير من القضاة ربما أوردها التنوخي، لأن مهنة القضاء حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم، فوجب أن يكون القضاة كما يصفهم التنوخي في العلم والعقل والعفة والورع. وربما كانت الألسن تسرع فيهم، في ذلك الوقت فما كان من التنوخي إلاّ أن أكثر من وصف القضاة المعروفين بالنزاهة والاستقامة والصلابة في الرأي واتقان صناعة الحكم كما سماها التنوخي [٣].

وتظهر لنا لغة التنوخي الراقية بوجه آخر في فصل من كتاب أو رسالة إلى أحد الرؤساء. وهي على شكل دعاء: (لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن أسديته، ولاألجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك

---

(١) المصدر السابق ج ٧، ص ٣٧. (٢) المصدر السابق، ج٦،ص١٨٠.

(٣) النشوار ج٦، ص١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السفلى لمن كانت عليه هي العليا. وأعاذك من عز مفقود، وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك في الأولى أملك وسدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، أنه سميع مجيب، جواد قريب) [١].

ونلاحظ فيها قصر الجمل والتزام السجع في نهاية الجمل .

ومن كتاب على لسان يحيى بن فهد الأزدي للأمير أبي تغلب بن حمدان، نقرأ عبارات الدعاء والابتهال إلى الله عز وجل بأفكار سامية ولغة رصينة، ودعاء حار، ونجد فيها الترادف في الأفعال مع السجع اللطيف في نهايات الجمل. كتب التنوخي يقول في الرسالة :(من اختاره الله لجليل الأمور، واصطفاه لحراسة الأمة وحماية الثغور وخصه بنفاذ الرأي فيما يحله ويعقده، ونصره على كل عدو يرصده، وكفاه كيد من يبغي عليه ويحسده، وقرن عزماته بالصواب في جميع ما يمضيه، وبلغه في الدنيا ما يرتجيه، وجعل ما يبرمه مطردا على التوفيق وذاهبا مع السداد في أجل طريق) [٢].

وفي القصص الشعبي، نجد معظم القصص، حية بشخوصها، وجوانبها، مجسمة، تشدنا وتأسرنا، بقوة تعبيرها، وعفويتها، وقد صورها التنوخي تصويراً حياً. وهي مستلة من الحياة، آنذاك، حافلة بالتجارب الإنسانية، مخبرة عن جوانب الحياة، وشاهدة عليها، مترجمة عن البيئة ومظاهرها، وعن النفس الإنسانية ومشاعرها، معبرة عن خلجات القلوب وناطقة بأخبار الشعوب، وحافزة لذوي الهمم، مضيئة في الظلم.

يقول التنوخي في قصة قصيرة عن بعض التجار، أنفق ابن له، من ماله في القيان، فكوتب بذلك، وكان الأب قد خرج إلى أصفهان، فعاد، وطالب ابنه بالحساب، (فدافع، فيه فقال له أبوه يوماً : إلى كم تدافع بالحساب، وقد بلغني خبر ما أتلفت فيه المال؟ فإن كنت استفدت بذلك عقلاً، وعلماً بالزمان، وحنكتك الشدائد والأمور، وأدبتك، فليس هذا بغالٍ بهذا

---

(١) المصدر السابق ج١، ص١٩٢.

(٢) المصدر السابق ج٢، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القدر من مالي، فإنه مالك، وإن لم تكن أفدت ذلك، فإن المصيبة فيك عندي، أعظم من المصيبة بذهاب المال)[١].

هذه القصة القصيرة تكشف، عن سيطرة القيان والمغنيات، آنذاك على الشباب ، وقد كانت سمة من سمات المجتمع العباسي.

لقد أورد التنوخي، قصصاً كثيرة، عنهن، وفيها نرى كم سببن من إفقار، وإزعاج، وسلب لعقول الشباب ومالهم، ثم التنكر لهم.

فهذا شاب أتلف أكثر ماله على مغنية. ووصل به انكسار الحال إلى أن (باع قماش بيته وأنفقه، ونقض داره، وباعها، وسقوفها، حتى لم يبقى إلا الدهليز، وهوينام فيه، على قطن، متغط، بقطن قد فتق من لحف وفرش، بيعت، وبقي القطن، فهو يتوطاه ويتغطى به من البرد) [٢]. وكان يبدو داخل هذا القطن، كالسفرجل لشدة اصفراره.

وجاءه صديق له، يوما، فوجده على هذه الحال، فسأله: هل في نفسه حسرة؟ فأجاب: نعم ، يشتهي أن يرى فلانة، مغنية كان يعشقها، وأتلف أكثر المال، عليها. وبكى، فرحمه صديقه، فألبسه من عنده ثياباً، وذهبا إلى بيت المغنية، فقدرت (أن حاله قد ثابت، فدخلا إليها، فحين رأته، أكرمته، وبشت به، وسألته عن خبره، فصدقها عن الصورة، فقالت له في الحال: قم، قم.

قال: ولم؟

قالت: لئلا تجيء ستي وتراك وليس معك شيء، فتحرد علي لم أدخلتك، فاخرج إلى برا، حتى أصعد أكلمك من فوق فخرج، وجلس ينتظر أن تخاطبه من روزنة في الدار إلى الشارع، وهو جالس.

فقلبت عليه مرقة من قدر سكباج، وصيرته أية ونكالاً وضحكت. فبكى وقال: يا أبا فلان، بلغ أمري إلى هذا، أشهد الله، وأشهدك أني تائب)[٣].

---

(١) نشوار المحاضرة ج١ص ١٨٦.

(٢) المصدر السابق ج١ ص ١٧٩.

(٣) نشوار المحاضرة ج١ ص ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعمل التنوخي في هذا النص كلمات فارسية مثل : سكباج وهو مرق اللحم بالخل، وروزنه وهي الكوة، واستعمل أيضاً ألفاظاً عامية، مازالت مستعملة :(ستي) وكلمة (برا). أما وصفه لحالة الشاب بقوله (وصيرته آية ونكالاً) كان وصفاً معبراً مطابقاً لواقع الحال. فكلمة (آية) للاعتبار والتفكر، لأن الشاب اعتبر بعد ذلك، واتعظ مما حصل له، وصلح أمره حيث أجاب بعد فترة من الزمان (أنا الآن في نعمة متوسطة، وما قد أخذته من العقل والعلم بالزمان أحب إلي من تلك النعمة) [١].

وعن اضطراب الأمن، حكايات كثيرة منها هذه الحكاية عن أحد قطاع الطرق . استأمن رجل من رؤساء الأكراد ممن كان يقطع الطريق، للأمير الراسبي، فأمنه، واختصه، وطالت أيامه معه.

وكان في يوم على مائده الراسبي، فقدم حجل، (فألقى الراسبي منه واحدة إلى الكردي، كما يلاطف الرؤساء مواكليهم، فأخذها الكردي وجعل يضحك.

فتعجب الراسبي من ذلك. وقال ماسبب هذا الضحك وما نرى ما يوجبه؟.

فقال: خبر كان لي.

فقال: أخبرني به.

فقال: شيء طريف، ذكرته، لما رأيت هذه الحجلة.

قال: ماهو؟

فقال: كنت أيام قطعي الطريق، وقد اجتزت في بعض المحجة الفلانية في الجبل الفلاني، وأنا وحدي، في طلب من آخذ ثيابه، حتى ، ووقف، استقبلني رجل وحده، فاعترضته، وصحت عليه، فاستسلم إليّ فأخذت ما كان معه) [٢].

---

(١) نشوار المحاضرة ج١ ص ١٨٢.

(٢) النشوار ج٣ ص ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمر الكردي بسرد قصته حتى قال أنه نوى أن يقتل هذا الرجل فتلفت الرجل، كأنه يطلب شاهداً أو ناصراً، فرأى حجلة قائمة وهي على الجبل فقال: (يا حجلة اشهدي لي عند الله تعالى أني أقتل مظلوماً) [١].

وقال الكردي :(فما ذكرت هذا الحديث، حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة الرجل، فضحكت.

(فانقلبت عين الراسبي حرداً، وقال: لا جرم إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم، في الدنيا قبل الآخرة، وما أمنتك إلا على ما كان منك، من فساد السبيل، فأما الدماء، فما أسقطها الله عنك بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك إلا قرار عندي، يا غلام، اضرب عنقه) [٢].

لقد تجاوز هذا الرجل الحد في الاعتداء، وأقر و اعترف من دون ضغط أو إكراه، فاقتص منه.

وقد يأتي التنوخي بالحكاية لإثبات الثقة واليقين بما قدر الله وتكون الحكاية ذات تعليل علمي.

فقد حُدث أحد المتطببين، أن بعض أهله كان قد استقى، وأيس من الحياة، فحمل إلى بغداد، فشوور الطب فيه (فوضعوا له أدوية كثاراً، فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها، فلم تنجع، فأيسوا منه، وقالوا: لا حيلة لنا في برئه، وهذا تالف.

فسمع العليل ذلك، فقال لمن كان معه : دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي، ولا تقتلوني بالحمية، قبل أجلي. فقالوا؟ كل ما تريد. فكان يجلس على دكان باب الدار التي نزلها ببغداد ، فمهما رآه يجتاز على الطريق، اشتراه وأكله) [٣].

وكان مما اشتراه، أكلة جراد مطبوغ، انحل طبعه بعدها، وكانت السبب في برئه بإذن الله تعالى.

(فخرج في اليوم الخامس، يتصرف في حوائجه، فرآه أحد الطب، وعجب من أمره، وسأله عن الخبر، فعرّفه.

---

(١) النشوار ج٣ ، ص ٢٠٩ . (٢) النشوار ج٣ ص ٢١٠. (٣) النشوار ج٣ ، ص ١٦١- ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: ليس من شأن الجراد، أن يفعل هذا الفعل، ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعله، خاصية، فأحب أن تدلني على بائع الجراد) [١].

وأحضر بائع الجراد، وذهب مع الطبيب إلى المكان الذي يصطاد منه الجراد. وقد علل الطبيب ما حدث بعد أن أكل العليل الجراد بما يلي: (صادفتُ الجراد الذي يصيده هذا الرجل، يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها: ما زريون، وهي من دواء الاستسقاء، وإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم، أسهله إسها لا يزيل الاستسقاء ولكن لايؤمن أن ينضبط، ولا يقف، فيقتله بالذرب، فالعلاج بها خطر جداً، وهي مذكورة في الكتب، ولفرط غررها، لا يكاد أن يصفها الطب. فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة، وأنضجتها معدته، ثم طبخ الجراد، فضعف فعلها، بطبخين اجتمعا عليها وقصر، وتناولها هذا، وقد تعدلت بمقدار ما أبرته) [٢].

وقد رأينا أن قلم التنوخي لم يتوان عن التعليل العلمي المقنع.وكثيراً ما يحصل لأحد من الناس، حال تشبه المعجزة، فيتناقلها الناس. من ذلك، قصة العلوية الزمنة. وكانت، قصتها قد اشتهرت آنذاك وشفاؤها، إثر منام رأت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفت في بغداد، بالعلوية الزمنة. ويذكر التنوخي، أنه رآها، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (واستنطقها ودون أجوبتها) [٣].

وقصة هذه العلوية، قصة جديرة بالتسجيل والرواية، للمعجزة التي وقعت فيها، والدلالات التي عبرت عنها.

وكانت هذه الفتاة، قد أصيبت بالشلل في مقتبل عمرها، (وكانت مطروحة على الفراش سبعاً وعشرين سنة) [٤]، وبعد سنين كثيرة من علتها، رأت النبي صلى الله عليه وسلم، فطلبت منه أن يدعو الله عز وجل أن يفرج عنها، فقال لها :(ليس هذا وقتك) [٥]. فلما مضت سبع وعشرون سنة، لحقها

---

(١) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٢) النشوار ج٣،ص ١٦٣. (٣) نشوار المحاضرة ج٤ ص ١٥٩.

(٤، ٥) نشوار المحاضرة ج٤ ص ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألم شديد، وقاست منه شدة شديدة، فأقبلت تبكي، وتدعو الله بالفرج. وتحدث العلوية قائلة:(فرأيت ليلة في منامي النبي صلى الله عليه وسلم، فعرفته، لأني كنت أراه طول تلك السنين على صورة واحدة، وكأني أقول له: يا جدي، متى يفرج الله عني ؟ .

فكأنه أدخل يده في طرف كمي، وجسَّ بدني من أوله إلى آخره، حتى بلغ حقوي، فوضع يده عليه، وتكلم بكلام لاأفهمه، ثم ردني على قفاي، كما كنت نائمة، وقال : قد فرَّج الله عنك، فقومي.

فقلت : كيف أقوم؟

فقال: هاتي يدك.

فأعطيته يدي، فأقعدني، ثم قال: قومي على اسم الله، فقمت، ثم خطا بي خطوات يسيره وقال: قد عوفيت.

فانتبهت، وأنا مستلقيه على ظهري، كما كنت نائمة، إلا أنني فرحانة، فرمت القُعَود، فقعدت لنفسي وحدي، ودليت رجلي من السرير فتدلتا، فرمت القيام عليهما، فقمت، ومشيت) [١].

وقد كرر التنوخي قصة هذه العلوية عدة مرات. مرتين في النشوار ومرة في كتاب (الفرج بعد الشدة). وفي الرواية الأولى ذكر أنها بقيت مقعدة (خمس عشرة سنة) [٢]. وبعد أن شفيت وذاع خبرها (كان الناس ينتابون بها كالموسم) [٣]. وفي الفرج بعد الشدة ذكر القاضي التنوخي (أنها تزوجت برجل علوي موسر وصلحت حالها ولا تعرف إلى الآن إلا بالعلوية الزمنة) [٤].

وقد سجل التنوخي حديثها معه مرتين في النشوار، وفي كتاب (الفرج بعد الشدة). وسألها أن تقص عليه قصتها، وذكرها في الكتاب كما قصتها عليه،ثم سألهاعن نسبها فقالت :(أنا فاطمة بنت علي بن الحسن بن القاسم بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

(١) نشوار المحاضرة ج، ص١٦١.

(٢) نشوار المحاضرة ج٢، ص ٢٦٥.

(٣) النشوار ج٢، ص ٢٦٥.

(٤) الفرج بعد الشدة، ج٢ ،ص ٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن أبي طالب رضي الله عنهم، لم تذكر لي غير هذا ولا سألتها عنه) [١].

إن هذه القصة أشبه بالأسطورة، أو القصة الخيالية ولولا أن التنوخي شاهد المرأة وتحدث عنها، لقلنا أنها تروى للعظة والاعتبار، وشحذ الهمم وعدم اليأس، ولشككنا في صحتها. ولكن الله على كل شيء قدير. وقد كانت هذه الفتاة، فقيرة، وكانت تتقوت مما يبرها به الناس، وهذا يشير إنها كانت مهملة من أقاربها، وقد شاء الله أن يجعل شفاءها معجزة، لحكمة خفيت على الناس آنذاك.

والقصة التالية عن تاجر بغدادي، وهي في أحداثها وتشويقها تشبه أحداث قصص ألف ليلة وليلة، وهي من أجمل قصص النشوار سرداً وتشويقاً، وهي تفوق قصص ألف ليلة وليلة بحسن صياغتها وقوة تعبيرها. ونجد فيها من عبارات التنوخي اللطيفة ما يسترعي الانتباه.

فهو يعبر عن كثرة مال التاجر بقوله (كان يحزر بمائة ألف دينار، وكان حسن المروءة)[٢].

وقد عمل يوماً دعوة، وقدم لوناً من الطعام، اضطر إلى غسل يديه بعده أربعين مرة. فقيل له: (ياهذا، وسوست؟)[٣].

فأجاب :(هذه الأذية التي فرقت منها) [٤]. ولما سئل عن السبب،ذكر أن والده توفي وسنه عشرون سنة. وخلف له نعمة صغيرة، ورأس مال، ومتاعاً في دكانه. وقد أوصاه قبل موته قائلاً :(لا تسرف في مالك، فتحتاج إلى ما في أيدي الناس ولا تجده، واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفساد قليل، فالزم السوق، وكن أول من يدخلها، وآخر من يخرج منها، وإن استطعت أن تدخلها سحراً بليل، فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد، تكشفها لك الأيام) [٥].

---

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٨٨، النشوار ج٤، ص١٦١-١٦٢.

(٢)، (٣)، (٤)، نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٧٧.

(٥) نشوار المحاضرة، ج٤،ص ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ثبت للفتى صحة وصية والده. ويستمر التنوخي في سرد القصة وينتقي ألفاظه انتقاء، لتوائم الفكرة، ويقول على لسان الفتى: (فبينما أنا جالس يوماً، ولم يتكامل السوق، وإذا بامرأة، وخادم، وهي بزي القهرمانة، فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي، فقمت إليها، وأكرمتها وقلت: ما تأمرين؟ وتأملتها فإذا بإمرأة لم أر قبلها، ولا بعدها، إلى الآن، أحسن منها، في كل شيء . فقالت : أريد كذا ثيابا ، طلبتها ، فسمعت نغمة ورأيت شكلاً قتلني ، وعشقتها في الحال، أشد العشق.

فقلت : اصبري حتى يخرج الناس، فآخذ لك ذلك، فليس عندي إلاّ القليل مما يصلح لك) [١].

واشترت بما قيمته خمسمائة دينار، ولم تعط التاجر من ثمنها شيئاً وذهبت، أما التاجر فيقول(وذهب عني، لما تداخلني من حبها، أن أمنعها من أخذ المتاع إلا بأداء المال، أو أن أستدل على منزلها، ومن دار من هي؟) [٢].

ويصف التنوخي الهواجس والمخاوف التي انتابت هذا الشاب بعد ذلك: (فحين غابت عني، وقع لي أنها محتالة، وأن ذلك سبب فقري، فتحيرت في أمري، وقامت قيامتي، وكتمت خبري لئلا افتضح بما للناس عليّ.

وعملت على بيع ما في يدي من المتاع، وإضافته إلى ما عندي من الدراهم ودفع أموال الناس إليهم، ولزوم البيت، والاقتصار على غلة العقار الذي ورثته عن أبي، ووطنت نفسي المحنة، وأخذت أشرع في ذلك مدة أسبوع. وإذا هي قد نزلت عندي فحين رأيتها، أنسيت جميع ما جرى علي، وقمت إليها) [٣].

وقد كانت هذه المرأة حصيفة، وقد خمنت ما جال في خاطر التاجر من أنها محتالة، فحدثته بذلك. فقال لها: (قد رفع الله قدرك عن هذا) [٤]. ثم ما لبثت (أن أخرجت تذكرة بأشياء أخرَ... فاجتمع المتاع، وكان ثمنه ألف دينار، فأخذته ، وركبت) [٥].

(١) نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٨٠.

(٢) نشوار المحاضرة، ص١٨٠.

(٣)، (٤)، (٥) النشوار، ج٤، ص١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعادوت التاجر الهواجس والظنون يقول:(قلت: هذا الآن هو الحيلة المحكمة، أعطتني خمسة آلاف درهم، وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيع عقاري الآن، والحصول على الفقر المدفع) [١].

وبعد أن تطاولت غيبتها نحو شهر، عادت إلى التاجر، ودفعت له ثمن ما أخذت، وطلبت أشياء أخرى جديدة، وخشي التاجر أن تفوت عليه فرصة مصارحتها هذه المرة بحبه، فاستعان بخادمها فأخبره بأنها تعشقه كما يعشقها، وليس بها حاجة إلى أكثر الذي تشتريه، وإنما تجيئه لحادثته. وشرح له الخادم أمرها، فإذا هي مملوكة لأم المقتدر، وقد حدثتها بحديث هذا التاجر، وبكت بين يديها وسألتها أن تزوجها منه، فقالت السيدة (لا أفعل أو أرى الرجل، فإن كان يستأهلك، وإلا لم أدعك ورأيك) [٢].

فكيف يمكن لأم المقتدر أن ترى هذا الشاب؟ فهي لن تذهب إلى السوق لتراه؟ وهو لا يستطيع دخول مقر الحريم كذلك؟ لذا قال الخادم للتاجر الشاب :(ويحتاج إلى إدخالك الدار، بحيلة فإن تمت، وصلت بها إلى تزويجها، وأن انكشفت ضربت عنقك) [٣] ولشدة حب هذا الشاب لتلك المرأة وافق على أن يصبر ويعرض نفسه للخطر.

واحتيل لإدخاله دار الحرم، بحيلة وهي: وضعه في صندوق من صناديق الثياب والحوائج. وقد وصف التنوخي ما خطر على هذا الشاب وهو بداخل الصندوق :(فلما حصلت فيه، ندمت، وقلت: قتلت نفسي لشهوة، وأقبلت ألومها تارة، وأشجعها أخرى، وأنذر النذور على خلاصي، وأوطن نفسي مرة على القتل. إلى إن بلغنا الدار، وحمل الخدم الصناديق، وحمل صندوقي، الخادم الذي يعرف الحديث، وبادرتْ بصندوقي أمام الصناديق وهي معه، والخدم يحملون الباقي ويلحقونها.

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٨٢.

(٢) نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٨٣.

(٣) نشوار المحاضرة، ج٤، ص ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكل ما جازت بطبقة من الخدم والبوابين قالوا: نريد تفتيش الصندوق، فتصيح عليهم، ونقول: متى جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون، وروحي في السياق) [١].

وكانت هذه العقبة الأولى أمام الصندوق. ثم تلتها عقبات أخرى، من رئيس الخدم، ثم اعترضهم الخليفة، والمرأة تحتال في كل عقبة ليمروا بسلام.

ثم أخذ هذا الشاب لمقابلة السيدة فخاطبته وأعجبت به، وقالت :(ما اخترت يا فلانة إلا حسن الوجه والأدب) [٢]. ثم أخرج من الدار كما أدخل في صندوق، بعد مخاطرة وفزع. وتم تزويج هذا الشاب من هذه المرأة بحضرة المقتدر، ثم وضع في دار مجهزة له، وترك وحده. ويقول التنوخي عن سبب غسل اليدين أربعين مرة مايلي :(فجلست يومي، لا أرى من أعرفه، ولم أبرح موضعي إلا للصلاة، وخدم يخرجون ويدخلون، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون : الليلة تزف فلانة - اسم صاحبتي - إلى زوجها البزاز. فلا أصدق فرحاً.... فقدموا إليَّ هذا اللون من الطبيخ مع رغيفين فأكلتهما، وغسلت يدي بأشنان كان في المطبخ، وقدرت أنها نقيت وعدت إلى مكاني.

فلما جاء الليل ، إذا طبول وزمور، وأصوات عظيمة، وإذا بالأبواب قد فتحت، وصاحبتي قد أهديت إلي، ..... وتركت معي في المجلس وتفرق الناس.

فلما خلونا تقدمت إليها فقبلتها، وقبلتني، فشمت لحيتي فرفستني، فرمت بي عن المنصة، وقالت : أنكرت أن تفلح ياعامي يا سفلة، وقامت لتخرج، فقمت، وتعلقت بها وقبلت الأرض ، ورجليها وقلت عرفيني ذنبي وافعلي بعده ماشئت ،فقالت ويحك، أكلت فلم تغسل يدك.

فقصصت عليها قصتي، فلما بلغت اخرها، قلت: علي وعلي، وحلفت بطلاقها والطلاق من كل امرأة أتزوجها، وصدقة مالي، وجميع ما أملكه، والحج ما شياً على قدمي، والكفر بالله، وكل ما يحلف به المسلمون لا

(١) نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٨٤- ١٨٥.

(٢) نشوار المحاضرة، ج٤ ، ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكلت بعدها إلا غسلت يدي أربعين مرة) [١].

تصور هذه القصة الرغبة الطبيعية للإنسان في الرفقة والصحبة وقد جاءت من كلا طرفي القصة، أو بطليها. فالمرأة قد احتالت للوصول للرجل الذي اختارته، والرجل خاطر بحياته وجازف بسمعته ليصل إلى المرأة التي اختارها. في القصة الجرأة والشجاعة والتعاون من كلا الطرفين، ورأينا أن الزواج تم عن تراض بين طرفين كفؤين وبحضور ولي أمر وقاض، أي أنه زواج حسب ما يقتضيه الشرع.

وقد روى التنوخي قصصاً عن شعوب غير عربية، كالهنود والفرس واليونان. وبعضها حدّث به من عانوا الأسفار ولهم معرفة بها.

ومن هذه القصص ، قصة عن استئناس الفيلة، وفيها تفصيل واف عن ذلك، وعن عادات أهل الهند في ذلك الوقت.

وفي قصة أخرى يتكلم عن النظام الطبقي في الهند، حيث تحدث عن طبقة معزولة عن المجتمع، أو منبو ذه منه وسماهم (الجبارين)، وتحدث كذلك في قصة أخرى عن عاداتهم.

ومن الأدب اليوناني، قدم التنوخي، الأقوال التي قيلت عند وفاة الاسكندر. وهي جمل وعظية، متداولة على ألسنة الشعب.

من ذلك قوله: (سلك الاسكندر طريق من فني، وفي موته عبرة لمن بقي، وقوله : خلّف الاسكندر ماله لغيره، وسيحكم فيه بغير حكمه.

وقوله: أصبح الاسكندر مشتغلاً بما عانى، وهو بالأعمال يوم الجزاء أشغل. وكنت مثلي حديثاً، وأنا مثلك وشيكا.

وإن هذا الشخص كان لكم واعظاً، ولم يعظكم قط بأفضل من مصرعه. وكان الاسكندر كحلم نائم انقضى، أو كظل غمام انجلى) [٢] .

وقد ذكر التنوخي أن الذين قالوا هذه الكلمات هم الحكماء الذين بلغهم موت الاسكندر فقالوها.

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٨٩. (٢) النشوار، ج٧، ص٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما توفي عضد الدولة، بلغ خبره إلى مجلس بعض العلماء، وفيه جماعة من أكابر أهل العلم، فتذاكروا هذه الكلمات)[١].

(وقال بعض من حضر المجلس، الذي أشيع فيه بموت عضد الدولة، وذكرت فيه هذه الكلمات، لو قلتم أنتم مثلها، لكان ذلك يؤثر عنكم)[٢]. وهذه لاتدخل فيما روي عن الاسكندر، ولكني ذكرتها لأن التنوخي أوردها في نفس المقالة بعنوان (أقوال الحكماء في الاسكندر وفي عضد الدولة).

وقد أورد التنوخي عشرة أقوال، قيلت في عضد الدولة، وهي مطابقة في العدد للأقوال التي قيلت في الاسكندر.

من هذه الأقوال:(لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، وأعطاها فوق قيمتها، وحسبك أنه طلب الربح منها، فخسر روحه فيها.

وقال الثاني: من استيقظ للدنيا فهذا نومه، ومن حلم فيها فهذا انتباهه)[٣].

وقال آخر :(إن ماءً أطفأ هذه النار لعظيم، وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.

وقال آخر: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر، حتى نفذ فيك، وهلا اتخذت دونه جنة تقيك، وإن فيك لعبرة للمعتبرين، وإنك لآية للمستصبرين)[٤].

لقد أراد التنوخي من علماء المسلمين الذين حضروا ذلك المجلس محاكاة حكماء اليونان، ولقد نجح الجميع في أقوالهم، وعبر عنها التنوخي بكفاءة تامة.

ونلاحظ في معظم الأقوال، استعمال السجع والجناس والمطابقة . مثل :(ما رأيت غافلاً في غفلته، ولا عاقلاً في عقله، مثله، فقد كان ينقض جانباً، وهو يظن أنه مبرم، ويغرم، وهو يظن أنه غانم و (من جد للدنيا هزلت به، ومن هزل راغباً عنها جدّت له)[٥].

(١) نشوار المحاضرة، ج٧، ص٢٥٨. (٢) نشوار المحاضرة، ج٧،ص ٢٥٨. (٣)النشوار، ج٧، ص ٢٥٨.

(٤) نشوار المحاضرة، ج٧، ص٢٥٩. (٥) نشوار المحاضرة، ج٧، ص ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و (كيف غفلت عن كيد هذا الأمر، حتى نفذ فيك، وهلا اتخذت دونه جنة تقيك، إن فيك لعبرة للمعتبرين، وإنك لآية للمستصبرين) [١].

وقد اهتم القاضي التنوخي، بنقل بعض الأخبار، عن الأمم الأخرى. من ذلك، قصته عن الاسكندر وملك الصين.

وفي القصة، يذكرا لتنوخي، أن ملك الصين توجه بمفرده للقاء الاسكندر وهو أعزل، إلا من فكر نير، وعزيمة صادقة في التوصل، إلى حل مشرف، يرضي الطرفين. قال ملك الصين:

(إني أنا ملك الصين لا رسوله، وقد حضرت أسألك، عما تريده مني، فإن كان مما يمكن الانقياد إليه، على أصعب الوجوه، أجبت إليه، وغنيت وإياك عن الحرب.

فقال له الاسكندر : وما أمنك مني؟

قال: علمي بأنك رجل عاقل، وأنه ليس بيننا عدواة متقدمة، ... وأنك تعلم أن الصين إن قتلتني، لا يسلمون ملكهم إليك، ولا يمنعهم عدمهم إياي، أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيري، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل، وضد الحزم.

فأطرق الاسكندر مفكراً في مقالته، وعلم أنه رجل عاقل) [٢]

هذه صورة حية للموقف العقلاني، الذي يمكن أن يتخذه أي زعيمين توقد نار الحرب بينهما، حيث يمكنها تلافيها، بالنية الصادقة، في تجنبها.

وتم الاتفاق بين الملكين على أن يدفع ملك الصين سدس دخل بلاده، جزية للاسكندر، وشكره ملك الصين وانصرف.

(فلما أصبح الصبح، وطلعت الشمس، أقبل جيش الصين حتى طبقَ الأرض، وأحاط بجيش الاسكندر، حتى خاف الهلكة، وتواثب أصحابه، فركبوا واستعدوا للحرب.

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٧،ص ٢٥٩. (٢) نشوار المحاضرة، ج٧، ص١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبينما هم كذلك، إذ ظهر ملك الصين وعليه التاج، فلما رأى الاسكندر، ترجل.

فقال له الاسكندر: أغدرت؟

قال: لا والله.

قال: فما هذا الجيش؟

قال: أردت أن أعلمك،أني لم أطعك من قلة وضعف، والآن ترى هذا الجيش، وما غاب عنك منه أكثر، لكني رأيت العالم الأكبر مقبلاً عليك، ممكناً لك، فعلمت أنه من حارب العالم الأكبر، غلب، فأردت طاعته، بطاعتك، وبالذلة له بالذلة لك) [١].

ومن القصص الفارسية، التي نقلها المحسن التنوخي، قصة معنى كلمة (النهروان) وسبب تسمية ذلك المكان بهذا الاسم.

وهي تصور، كيد حاشية الملك الفارسي، لبعضهم البعض، وتآمرهم ضد بعضهم بعضاً، وقد دخل في هذا القصة، عنصر يهودي، مثّل الشر والإجرام في هذه القصة.

يقول التنوخي : عن (مشايخ أهل العلم بأخبار الفرس، وأيامهم، قالوا : معنى النهروان بالفارسية : ثواب العمل..

قالوا: وإنما سمي نهر النهروان بذلك، لأن بعض ملوك الأكاسرة، كان قد غلب عليه بعض حاشيته، حتى دبر أكثر أمره، وترقت منزلته عنده... ثم علت حاله، فكان صاحب المائدة يتحسر، كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً، وغلب على الملك؟.

وكان مع ذلك الرجل، يهودي ساحر ممخرق، فقال له: مالي أراك مهموماً؟ فحدثني بأمرك، لعل فرجك على يدي.

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٧، ص١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: فحدثه.

فقال اليهودي: إن رددتك إلى منزلتك، مالي عندك؟

قال: أشاطرك حالي ونعمتي، وجميع ما بي [١]

فتعاهدا على ذلك، ونصحه اليهودي بأن يظهر منه وحشة ولا يظهر له الصداقة، وذهب اليهودي إلى الرجل الغالب على الملك فحدثه، وتقرب إليه حتّى أنس به. وانتهز اليهودي فرصة سنحت له يوماً، إذ كان غلام الرجل الغالب على الملك ماراً من أمامه يحمل وعاء فيه طعام للملك، فنادى الغلام وطلب منه أن يريه ما في الوعاء، ثم غافلة ووضع فيه سماً، ثم ذهب إلى صاحبه الأول وعرّفه ما عمل، وطلب منه أن يذهب ويحذر الملك من تناول ذلك الطعام.

فذهب الرجل، وأخبر الملك بأن هذا الطعام مسموم، فما كان من الشخص الآخر، إلا أن بادر لتكذيب هذا الزعم وتناول من الطعام ليتلف في الحال.

ومضت السنون على ذلك، بعد أن عادت مكانة ذلك الرجل عند الملك، وأكرمه وعظمه.

ولكن الملك عرف حقيقة الأمر، بعد أن سمع صاحب المطبخ يفشي هذا السر لشخص آخر. وقيل للملك :(لا يزيل عنك إثم هذا، إلا أن تطوف في عملك، حتى تنتهي إلى بقعة خراب، فتستحدث لها عمارة، ونهراً وشرباً، فيعيش الناس بذلك، في باقي الدهر، بدلاً من موت ذلك الرجل، فيمحص عنك الإثم، ففعل الملك ذلك وسماه ثواب العمل، لأجل هذه القصة) [٢].

وفي قصة فارسية أخرى، يحدثنا أبو علي التنوخي، عن بهرام جور، وولده. وتقول هذه القصة، أن الملك الكفء يجب أن يتقن: الأدب والحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصوالجة.

---

(١) نشوار المحاضرة ج٨، ص١٣٩.

(٢) نشوار المحاضرة ج٨، ص١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي النشوار قصص عن حوادث وقعت، وكانت الكلاب أحد شخوصها الرئيسية، ومنها ما يزال الناس يتناقلونه. منها ما يتعلق بوفاء الكلاب لأصحابها، ومنها ما كانت الكلاب سبباً في الكشف عن مجرم بواسطة حاسة الشم القوية التي أودعها الله فيها.

وأورد التنوخي، قصصاً عن اللصوص وحيلهم، والصوفية وتوكلهم وتواجدهم، وعن المنجمين وتنبوءاتهم.

وقصص المنجمين، تدل على قلق الناس واضطرابهم، للاضطراب السياسي الذي كان سائداً.

لقد قدم لنا التنوخي، قصصاً مختلفة، ولم ينس أن يورد طرفاً مضحكة، ولم يمنعه عمله كقاضٍ أن يذكر كثيراً من الطرف والنوادر في كتابه، مما يدل على سماحته وميله إلى الانبساط، والانفتاح والتحرر من التزمت.

وقدم التنوخي أيضاً عدداً من النوادر عن الطفيليين، ووصاياهم. والشعر الوارد في كتاب النشوار، معظمه مقطوعات صغيرة، وبعضه عدة أبيات، وجميعه مقتبس من شعر شعراء معروفين وغير معروفين. وفيه مقطوعات شعرية نسائية. والملاحظ على هذا الشعر المقتبس، غلبة شعر الغزل عليه، وقد تناول مختلف الموضوعات التي اعتاد الشعراء طرقها، ففيه إضافة للغزل، المدح و الهجاء والفخر والوصف والرثاء والعتاب، وفيه مقطوعات ذات صبغة إنسانية.

وقد اختار المحسن التنوخي من الشعر (مايصلح للمكاتبة في الحوادث، أو الأمثال، أو معنى لم يسبق إليه) [١] الشاعر.

وفي كتاب النشوار، معلومات تاريخية عن مدينة بغداد، وكثرة أهلها، في أيام المقتدر، وماكان فيها من الأبنية، والشوارع والدروب، وعن كبر البلد.

---

(١) النشوار ج١، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر التنوخي أنه رأى كتاباً، في وصف بغداد ذكر فيه أنه (كان فيها من الحمامات عشرة آلاف، وعدد ما يحتوي عليه البلد من الناس والسفن، والملاحين، وما يحتاج إليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات، وإنه حصل ما يصل إلى أصحاب المعابر من الملاحين فكان في كل يوم أربعين ألفاً أو ثلاثين ألفاً) .

ذكر أيضاً (أن عمارة بغداد في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، عشر ما كانت عليه في أيام المقتدر ، على تحصيل وضبط) [١]

وذكر التنوخي أيضاً ، عدد الخدم في قصر المقتدر ، وكذلك عدتهم في أيام المتوكل.

والمعلومات التاريخية، مبثوثة في ثنايا القصص والأخبار، التي أوردها عن الحلفاء، والوزراء، والقواد، والعمال.

وقد أورد التنوخي أخباراً عن الأزمة الاقتصادية الحادة في بغداد، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وعن الغلاء الشديد الذي كان بها وبنواحيها. وهناك أخبار، عن فتن وقعت ببغداد، منها فتنة وقعت زمن القاضي التنوخي، وكان أحد شهودها. ففي زمن الوزير أبي محمد المهلبي، هاجت العامة ببغداد، وعظمت الفتنة، وكثر كلام القصاص في الجوامع، وكلام رؤساء الصوفية.

وقد أخبر التنوخي عن الخوارج، بأنهم يقطعون السارق من المرفق. وأخبر عن فرار الناس من بغداد، لما دخلها الديلم، (وخاف الناس السيف، وهربوا على وجوههم.... وقد تلفوا بالحر والعطش) [٢].

ولم ينس التنوخي أن يورد بعض الأخبار، عن الأطباء وذكاء بعضهم ومهارتهم. منهم القطيعي الطبيب.

وقد تكلم التنوخي عن بعض أدباء اللغة والأدب، كالزجاج والمبرد وأبي الفرج الأصفهاني، وأبي العباس ثعلب، وابن دريد وأبي بكر الأنباري.

(١) النشوار ج١، ص١٣٠.

(٢) نشوار المحاضرة، ج٤، ص٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي خبره له عن ابن دريد، أنه توفي وأبا هاشم الجبائي في يوم واحد. ويقول على لسان أصحابهما :(وبكينا على الكلام والعربية طويلاً، وافترقنا) [١].

وقد قدم لنا التنوخي، أخباراً عن الشاعر المتنبي، وذكر أنه وهو فتى (حفظ كتاباً ، من كتب الأصمعي، نحو ثلاثين ورقة بعد أن قرأه مرة واحدة) [٢]. وقد قدم أيضاً عدة أقوال في سبب مقتله.

وأورد التنوخي أخبارا، عن بعض من اشتهروا بالحفظ، منهم أبو عمر غلام ثعلب (أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة) [٣].

وذكر التنوخي بعض العادات التي كانت متبعة في ذلك الوقت، منها تقديم الدعاوى، بواسطة وكيل إلى القاضي، وهو ما يشبه المحامي الآن .

ومن عادات الفتوة التي كانت قائمة آنذاك، ما حدث به التنوخي عن فتوة البصرة، حيث كان لهم أعراف وتقاليد خاصة بهم.

وقد حوت القصص الشعبية، حوادث خارقة وغريبة، ومفاجآت سارة أو محزنة، وبعضها يمثل قيماً اجتماعية وإنسانية، وبعضها يمثل الذكاء والشجاعة.

وفي النشوار أخبارعن الحلاج وأصحابه، وحديث مفصل عن محاكمته وإعدامه.

ولقد كانت لدى المحسن رغبة صادقة في الإسهام برفد الثقافة العربية، بنوع جديد لم يسبق إليه. وكان في قرارة نفسه يصبو، إلى أن تعود اللغة العربية الفصحى، لغة الكلام اليومية وأن تكون جزءاً من الحياة، لا تتم من دونها.

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٢١٠.

(٢) نشوار المحاضرة، ج٤، ص٢٤٦.

(٣) نشوار المحاضرة، ج ٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قدم في هذا الكتاب، هذه اللغة بحيويتها وتدفقها، وسعتها وشمولها. وجعلها مترجمة عن أفكاره وأفكار غيره.

فهو حين يريد أن يعبر عن فكرة ما، أو موقف ما، يتدرج في تهيئة القارىء لذلك، ويشده إليه. ففي هذه القصة عن ابن الجصاص، يريد أن يخبرنا، أنه بقي له بعد مصادرته مليون دنيار.

فقد اجتاز، أحد معارف ابن الجصاص به، بعد إطلاقة إلى داره من المصادرة بأيام (في وقت حار، من يوم شديد الحر، وهوحافٍ حاسر، يعدو من أول الروشن إلى آخره كالمجنون) [١] فصعد إليه، وسأله عن حاله. فأجاب (أولا يحق لي أن يذهب عقلي وقد خرج من يدي كذا... فمتى أطمع في خلفه ، ولم لايذهب و عقلي أسفاً عليه) [٢].

فأجابه :(ياهذا ، إن نهايات الأموال غير مدركة، وإنما يجب أن تعلم أن النفوس لا عوض لها، والعقول والأديان، فما سلم ذلك فالفضل معك... فاصبر حتى أو اقفك، أنه ليس ببغداد اليوم بعد ما خرج منك، أيسر منك)[٣].

ثم أخذ يعدد له، ما بقي من ممتلكاته، حتى قال له:(ياهذا من ببغداد اليوم، من يحتوي ملكه على ألف ألف دينار؟ وجاهك عند الناس الجاه الأول) [٤]. فسجد ابن الجصاص لله وحمده وقال: (لقد غلب علي الفكر، حتى نسيت جميع هذا أنه لي، وقلّ في عيني) [٥].

و في القصة التالية، يريد أن ينقل التنوخي فكرة الشكر على النعم، ومنها نعمة الحياة. ويستعمل التنوخي، لتوضيح أفكاره، كل مايساعده من مفردات اللغة، ليحدث الربط المتين بين أفكاره ولغته، يقول عن شخص اسمه النعمان :(كان من عادة النعمان، إذا كان في انسلاخ كل شتوة، أن يعمد

---

(١) نشوار المحاضرة ج١، ص٢٦.

(٢) نشوار المحاضرة ج١، ص٢٧.

(٣) المصدر نفسه والصفحة والجزء.

(٤، ٥) المصدر السابق، ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى جميع ما استعمله من خز وصوف وفرش، وكوانين وآلة الشتاء، فيبيعه في النداء) [١].

وبما أن الفكرة هي الشكر على النعم، ومنها نعمة الحياة. والحياة في وجودها تحتاج إلى تكرار الأيام والفصول، وتحتاج من البشر إلى عادات يتعودونها فقال (كان من عادة النعمان).

والانسلاخ بين الفصول، إنما هو انفصال بينها، كأن لا رابط بينها. أو كأنما الشتاء إهاب ثقيل، لا يزال إلا بالانسلاخ.

وكان النعمان يتصدق بالثمن. فإذا انقضى الصيف يفعل مثل ذلك. فلما كثر عليه الكلام في ذلك قال:(تلك الآلات قد متعنى الله بها طول شتائي أو صيفي، وبلغني وقت الغناء عنها، وما أنا على ثقة من أني أعيش إلى وقت الحاجة إليها ثانياً. ولعلي قد عصيت الله عليها وفيها، فأنا أحب بيع أعيانها، وصرف الثمن بعينه في هذه الوجوه، شكراً لله على تبليغي وقت الاستغناء عنها، وكفارة لما عصيته فيها) [٢].

وقد استعمل للصيف كلمة (انقضى)، لأن الصيف يخفف فيه الملبوس والطعام، فهو ينقضي ولا ينسلخ، لأن القضاء أو الانقضاء يتم بسرعة وخفة.

وهو قد متعه الله بتلك الآلات. فهو استعمال ببهجة وسرور من الله تعالى، فحق أداء شكره عز وجل، بالفعل لا بالقول فقط.

إن سيطرة القاضي التنوخي على اللغة، سيطرة إبداعية، وتمكنه، تمكن الخبير أو الصانع، بأدوات صناعته. وهو في كل خبر وقصة، يقدم لنا وجبة شهية، فريدة، من صنع قلمه.

والتنوخي شغوف بالكتاب، يسوءه أن يقابلوا بجفاء، وأن تنتقص كرامتهم. وقد أورد قصصاً تبوح بأفكاره هذه وتعبر عنها.

---

(١) نشوار المحاضرة ج١، ص١١٧.

(٢) المصدر السابق ج١، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي خبر عن شيخ متعطل من شيوخ الكتاب. وإنه كان يبكر إلى دار الوزارة أو الوزير علّه يحظى، بعمل عنده. وبرم به الوزير، وطلب إبعاده. فقال الشيخ الكاتب، رداً على تصرف الوزير:(والله ما أتيك لنفسك، وإنما أنت رجل قد صرت باباً لأرزاقنا، إذ لا نحسن صناعة غير الكتابة، والتصرف فيها إلا من عندك، .... وليس يمنعني استثقالك لي، من قصدك فإن قسم الله لي شيئاً من جهتك، أو على يدك، أخذته على رغمك) [١].

ووصل الخبر إلى الخليفة. فأمر بتشغيله قائلاً للوزير :(قد والله أجرى الله عزو جل رزقه على يدك بالرغم منك كما قال) [٢].

والتفكير المنطقي، هو الغالب في تفكير القاضي التنوخي. وينعكس هذا على كتابته، وإن كان قد قدم قصصاً وأخباراً غير معقوله، كما في قصة (امرأة من أهل النار).

ومن دلائل تفكيره المنطقي، ما أخبره عن شخص كان ببغداد وكانت العامة، تنسب إليه كرامات. ولكنه كان يحدث بما حصل له . ذلك أنه كان له أرض، يحتاج سطحها لتسوية، فمربه خلق كثير من الفعله في ليلة قمراء. فاتفق معهم على تسوية الأرض، مقابل أجر، فعملوا ذلك، وأصبحوا، وقد صارت الأرض مستوية، (فقالت العامة : الملائكة أصلحوه، وكذبوا، وما كان غير هذا)[٣].

ومعظم قصص النشوار، وأخباره وراءها فكرة حية، أو رأى يريد إيصاله للقارىء. مثل قوله:(وهل فخر البلد، إلا بكثرة كون رؤساء الصناع، وحذاق أهل العلم فيه، فإذا مضى رجل، لا مثل له في صناعته، ولابد للناس منها، فهل يدل هذا إلا على نقصان العالم، وانحطاط البلدان) [٤].

---

(١) نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٢١٢.

(٢) نشواز المحاضرة، ج٢،ص ٢١٥.

(٣) نشوار المحاضرة، ج٢، ص٢٨٩.

(٤) نشوار المحاضرةج٣، ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطرح التنوخي فكرة الأمن العامة. وإن الناس، إذا لم يشعروا بالأمن على حياتهم وممتلكاتهم، تختل أمورهم. ويطرح هذه الفكرة عن طريق واقعة جرت لأحد الوزراء. إذ حمل لهذا الوزير، صندوقان، فيهما قوائم بأسماء قوم يعادونه، ويدبرون في زوال أمره. فما كان من الوزير إلا أن دعا بنار ، (فأججت، وتقدم بطرحهما في النار على ما هما) [١].

فلما أحرقت، أقبل على من كان حاضراً، وقال:(والله لو فتحتها وقرأت ما فيها، لفسدت نيات الناس كلهم علينا، واستشعروا الخوف منا، ومع فعلنا ما فعلناه ، طوينا الأمور بهذا، فهدأت القلوب، واطمأنت النفوس. وقال لمن حضر، أشيعوا قولي، وتحدثوا به بين الخاص والعام، ليأنس المستوحش، ويأمن المستتر) [٢].

وتلح فكرة التقوى على التنوخي، عندما يريد أن يوصي أحداً، فيقول:(أمره بتقوى الله، التي هي الجانب العزيز، والحرز الحريز، والركن المنيع، والطود الرفيع، والعصمة الكالئة، والجنة الواقية، والزاد النافع، يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد، وأن يستشعر خيفته، في سره وجهره، ومراقبته في قوله وفعله، ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه ملبسه، والقرب منه أربه، والزلفى لدية غرضه، ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة ندم) [٣].

في هذه الفقرة، نجد مفردات اللغة، وقد أطاعته متتابعة، تعين الفكرة على الظهور، وتحيط بها، وتصورها أجمل تصوير. ولأن التقوى يجب أن تكون حالة مستمرة وعادة متبعة، نراه يستعمل الفعل المضارع، دلالة على الاستمرار.

---

(١) نشوار المحاضرة ج٣، ص٧٣.

(٢) نشوار المحاضرة ج٣،ص ٧٤.

(٣) نشوار المحاضرة ج٧،ص ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللحث على الطاعة يقول:(لم يألك في ذلك إرشاداً وتوفيقاً، وتهذيباً وتثقيفاً، ونعتاً وتبصيراً، وحثاً وتذكيراً، فكن بأوامره مؤتمراً وبزواجره مزدجراً، ولرسومه متبعاً، وبحفظها مضطلعاً إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[١].

ومن أجمل ما عالجه القاضي التنوخي، فكرة السيطرة على الغضب وذلك عن طريق سرد خبر ، عن معالجة سنان بن ثابت، لأمير الأمراء بجكم.يقول على لسان سنان بن ثابت :(الغيظ والغضب، يحدثان في الإنسان سكراً، أشد من سكر النبيذ، فكما أن الإنسان يعمل في وقت السكر من النبيذ، ما لايليق به، ولا يذكره إذ صحا، ويندم عليه إذا حدّث به، ويستحي منه. كذلك يحدث له في وقت السكر من الضغظ، بل أشد) [٢].

فماذا يفعل وقت الغضب؟ يجيب على ذلك قائلاً (فإذا ابتدأ بك الغضب فضع في نفسك، أن تؤخر العقوبة إلى غد، فإذا بت ليلتك، سكنت فورة غضبك، وقد قيل، أصح ما يكون الإنسان رأياً، إذا استدبر ليله، واستقبل نهاره، فإذا صحوت من سكرك، فتأمل الأمر الذي أغضبك، وقدم أمر الله عز وجل أولاً، والخوف منه، وترك التعرض لسخطه، واشف غيظك بما لايؤثمك) [٣].

فشفاء الغيظ اقترن بالتحرز من الإثم فقط، وهذه الجملة شاملة جامعة، لكل ما يجب الاحتراز منه.

وفي التعزية، يستثير التنوخي قلمه، ليخط رقيق العبارة، وصادق المواساة. من ذلك ما ذكره في كتاب تعزية :(من سره امتداد عمره، ساءته فجائع دهره بفقد حميم، أو طارق هموم، عادة للزمان معروفة، وسنة للحدثان مألوفة، وأحق من سلّم للأقضية والأقدار، من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار، فإن أصابته مصيبة، تلقاها مسلماً، أونابته نائبة، وجدته محتسباً) [٤].

---

(١) نشوار المحاضرة ج٧،ص ١٦١.

(٢) نشوار المحاضرة ج٧، ص٢٤٩.

(٣) نشوار المحاضرةج٧، ص ٢٤٩.

(٤) نشوار المحاضرة ج٨،ص ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- كتاب الفرج بعد الشدة:-

كتاب (الفرج بعد الشدة) من مؤلفات القاضي المحسن التنوخي وهو يأتي في الشهرة بعد كتاب (النشوار). وقد قال عنه الثعالبي:(ناهيك بحسنه وامتاع فنه وما جرى من الفأل بيمنه لا جرم أنه أسير من الأمثال وأسرى من الخيال) [١]. وذكر ياقوت ف معجمه أنه في ثلاث مجلدات[٢]. وهو مطبوع ومحقق ويقع في خمس مجلدات، وقد بدأ به المؤلف في أواخر أيامه بعد محن تعرض لها وشدائد ابتلي بها، ثم نجا منها[٣]. وقد أودعه قصصا استلها من الكتب وأضاف إليها من مسموعاته ومشاهداته.

ذكر التنوخي في مقدمة كتابه،أنه اطلع على ثلاثةكتب في موضوع الفرج بعد الشدة، حيث يقول :(وكنت وقفت في بعض محني، على خمس أوست أوراق، جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني، وسماها (كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة)، وذكر فيها أخبارا يدخل جميعها في هذا المعنى، فوجدتها حسنة، لكنها لقلتها أنموذج صبرة) [٤]. (ووقع إلي كتاب لأبي عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قد سماه (كتاب الفرج بعد الشدة) في نحو عشرين ورقة، والغالب عليه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبار عن الصحابة والتابعين، رحمهم الله، يدخل بعضها في معنى طلبته، ولا يخرج عن قصده وبغيته... وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة، غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن) [٥]. (وقرأت أيضاً كتابا للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله، في مقدار خمسين رقة، قد سماه (كتاب الفرج بعد الشدة) [٦]، فكان هذا من أسباب نشاطه لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم.

(١) يتمية الدهر٢، ص ٤٠٥.

(٢) معجم الأدباء ج ١٧، ص٩٢.

(٣) الفرج بعد الشدة ج١، ص ٧٤، ١٠٦، ١٧٣.

(٤) الفرج بعد الشدة، ص٥٢.

(٥) المصدر السابق، ص٥٣.

(٦) المصدر السابق، ص٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن خالف مذهبهم في التصنيف، وعدل عن طريقتهم في الجمع والتأليف. فهم نسقوا ما أودعوه كتبهم بجملة واحدة، ربما صادفت مللا من سامعيها أو وافقت سآمة من الناظرين فيها، فرأى أن ينوع الأخبار، ويجعلها أبوابا، و (أن أعزوما أخرجه مما في الكتب الثلاثة، إلى مؤلفيها، تأدية للأمانة، واستيثاقا في الرواية وتبيينا لما أتي به من الزيادة، وتنبيها على موضع الافادة)[١] . فاستخار الله عز وجل، وبدأ بتأليف الكتاب ولقبه بكتاب (الفرج بعد الشدة) (تيمنا لقارئه بهذ الفال، وليستسعد في ابتدائه بهذا المقال)[٢]. ويعلل التنوخي سبب اختياره هذا الاسم للكتاب، مع أن غيره سبقه في هذا المجال، فقال :(لأنه قد صار جاريا مجرى تسمية رجل اسمه محمداً أو محموداً أوسعداً أو مسعودا، فليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين أن يقول لمن سمى بهما الآن، أنك انتحلت هذا الاسم أو سرقته) [٣].

وقد نقل التنوخي في كتابه أخباراً وقصصا من كتب أخرى. منها: كتاب(الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة) للامام أبي جعفر الطبري، وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني. وكتاب (الوزراء والكتاب) لمحمد بن عبدوس الجهشياري. وكتاب (الأوراق والوزراء) للصولي. وكتاب (نسب قريش) للزبير بن بكار. وكتاب (الحماسة) لأبي تمام. وكتاب (المعَمرِين من الشعراء) لمحمد بن دواد الجراح. وكتاب (مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم) لعلي بن الفتح المعروف بالمطوق. وكتاب (المبيضة)، لأحمد بن عبد الله بن عمار. وكتاب (السمار والندامى) لمحمد بن الحسن بن جمهور العمي. وكتاب (فضائل الورد على النرجس) لأحمد بن طيفور. و (رسالة في فضل الورد على النرجس) لمحمد بن جعفر البصري. وكتاب سماه (شجا)، ذكر أنه من تأليف اسحق بن ابراهيم الموصلي. وكتاب (المتيمين) للمدائني. وكتاب (من رثى ما لايرثى مثله) لأبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي.

---

(١) الفرج بعد الشدة، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٤.

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقل من كتب لم يذكر أسماءها، واكتفى بايراد اسم المصنف وحده، والظاهر أنها كانت من الشهرة بحيث استغنى التنوخي عن ذكر الاسم، منها كتاب سماه: كتاب أبي الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، وكتاب سماه: كتاب أبي القاسم الحسين بن محمد بن الحسن بن اسماعيل الكوفي. كما نقل عن كتاب ذكر أنه ليعقوب بن بيان، يضاف إلى ذلك ما نقله من الأخبار، عن كتب لم يذكر أسماءها ولا أسماء مصنفيها.

وقد نقل التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة كثيرا من الأخبار عن بعض أساتذته الذين أجازوا له الرواية عنهم. مثل أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وقد نقل عنه سبعة عشر خبرا، وأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، وقد نقل عنه ثلاثة وأربعين خبراً، وأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب، وعن أبي طالب محمد بن أبي جعفر أحمد بن اسحاق ابن البهلول التنوخي، كما نقل عن أبيه، أبي القاسم علي بن محمد التنوخي، وقد نقل عنه ثلاثة عشرا خبرا. وعن القاضي أبي الحسين ابن أبي الطيب الجراحي، وقد نقل عنه خمسة وعشرين خبرا، وعن أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن الحسن العبقسي الصروى، وقد نقل عنه أربعة عشر خبرا، وعن علي ابن هشام الكاتب المعروف بابن أبي قيراط، وقد نقل عنه ستة عشر خبرا، وعن أحمد بن عبد الله الوراق الدوري، وقد نقل عنه عشرة أخبار، وعن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق وقد نقل عنه سبعة أخبار وعن أبي محمد يحيى بن سليمان بن فهد الموصلي الأزدي، وقد نقل عنه خمسة أخبار.

ويقول التنوخي أنه اقتصر (على كتب أحسن ما رويت من هذه الأخبار، وأصح ما بلغني في معانيها من الآثار، وأملح ما وجدت في فنونها من الأشعار) [١]. وقد رغب التنوخي في الايجاز والاختصار، و(اسقاط الحشو وترك الاكثار، وإن كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملول ولا يتفرغ لقراءتها المشغول) [٢].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسم الكتاب إلى أربعة عشر بابا وهي:-

الباب الأول: ما أنبأ الله تعالى في القرآن، من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان.

الباب الثاني: ماجاء في الآثار، من ذكر الفرج بعد اللأواء، وما يتوصل به إلى كشف نازل الشدة والبلاء.

الباب الثالث: من بشر بفرج من نطق بفال، ونجا من محنة بقول أو دعاء أو ابتهال.

الباب الرابع: من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ، أو استوقف مكروهه بموقظ بيان أو وعظ.

الباب الخامس : من خرج من حبس أوأسر إو اعتقال، إلى سراح وسلامة وصلاح حال.

الباب السادس : من فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام، لم يشب صدق تأويله كذب الأحلام.

الباب السابع : من استنقذ من كرب وضيق خناق، باحدى حالتي عمدٍ أو اتفاق.

الباب الثامن: من أشفى على أن يقتل، فكان الخلاص إليه من القتل أعجل.

الباب التاسع: من شارف الموت بحيوان مهلك رأه، فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه.

الباب العاشر: من اشتد بلاؤه بمرض ناله، فعافاه الله تعالى بأيسر سبب وأقاله.

الباب الحادي عشر: من امتحن من لصوص بسرق أو قطع، فعوض من الارتجاع والخلف بأجمل صنع.

الباب الثاني عشر: من ألجاه خوف إلى هرب واستتار، فأبدل بأمن ومستجد نعمة ومسار.

الباب الثالث عشر: من نالته شدة في هواه، فكشفها الله تعالى عنه وملكه من يهواه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الرابع عشر: ما اختير من ملح الأشعار في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأشعار[١].

بدأ التنوخي كتاب (الفرج بعد الشدة) بذكر ما أنبأ الله به في القرآن الكريم من الفرج بعد الامتحان. فبدأ بسورة الانشراح، وعنها يقول:(فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عزوجل رسوله عليه السلام منته عليه، في شرح صدره بعد الغم والضيق، ووضع وزره عنه، وهو الإثم بعد إنقاض الظهر، وهو الأثقال، أي أثقله فنقض العظام، كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع، ورفع- جل جلاله- ذكره، بعد أن لم يكن بحيث جعله مذكورا معه، والبشارة له في نفسه عليه السلام، وفي أمته بأن مع العسر الواحد يسرين، إذا رغبوا إلى الله تعالي ربهم وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم) [٢].

وقد توقف التنوخي عند الآية (إنَّ مع العسر يسرا) ففسرها ودعم تفسيره بحديث لابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(لا يغلب العسر الواحد يسرين) [٣]، حيث أن العسر الأول هو الثاني كما هو جار في كلام العرب، حيث يفسره بقوله: إن العرب إذا بدأت بالاسم النكرة ثم أعادته، أعادته معرفا بالألف واللام. ويضرب مثالا لذلك[٤].

وقد استعرض التنوخي عددا من الآيات من مختلف السور التي تتحدث عن المحن والشدائد والفرج بعد ذلك، وهي من السور التالية: الزمر، ويونس، والأنعام، وابراهيم، والقصص، والنمل، وغافر، والبقرة، وآل عمران، والأنبياء. وقد ختم استعراضه لهذه الآيات بقول للحسن البصري:(من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد، كشفها الله عنه، لأنه قد وعد، وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن، وحكمه لا يبطل، ووعده لا يخلف) [٥].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٥٥-٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص٥٩.

(٣) الفرج بعد الشدة ج١، ص٦٠.

(٤) المصدر السابق، ص٦٠.

(٥) المصدر السابق، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استعمل المحسن التنوخي كلمة (لزم) لتوحي بالمواظبة والاستمرار والمواصلة وهو المطلوب ممن ابتلى بشدائد ومحن.

ثم بدأ التنوخي بقصص الأنبياء عليهم السلام، وأولهم آدم أبو البشر، وبين التنوخي في هذه القصة أن من امتحن فرضي ولم يسخط على ربه، وامتثل لارادته، فرج عنه، ويصف التنوخي ذلك بلطيف عباراته (فأول ممتحن رضي، فأعقب بصنع خفي، وأغيث بفرج قوي، أول العالم وجوداً، آدم أبو البشر) [١].

إن القارىء لعبارات التنوخي ترتاح نفسه لها. وتشد انتباهه إليها، فيتابعها باعجاب، ويرى فيها عين الصواب، فهي تسري عن المحزون، وتحيي أمل المكروب، بالتيقن من زوال الكرب والهم، والانتقال من الضيق والغم إلى السعة والنعم، وأنه تعالى إذا استرحم رحم. وهو تعالى يبدل الشدائد ويعوض عن المفقود. وقصص الأنبياء جميعا، امتحان وبلاء، من نوح إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فهذا اسماعيل وأمه هاجر أسكنهما ابراهيم عليه السلام بواد غير دى زرع، نازحين عنه، بعيدين منه، حتى أنبع الله تعالى لهما الماء، وتابع عليهما الآلاء، وأحسن لابراهيم فيهما الصنع، والفائدة والنفع) [٢]. ولم يفت التنوخي أن يرصع قصص الأنبياء بما يلائمها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم [٣].

وعن موسى عليه السلام يقول التنوخي:(فلا شدة أعظم من أن يبتلي الناس بملك يذبح أبناءهم، حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر مع طفوليته، ولاشدة أعظم من حصول طفل في البحر، فكشف الله تبارك اسمه ذلك عنه، بالتقاط آل فرعون له) [٤].

(١) المصدر السابق،ص٦٥.

(٢) الفرج بعد الشدة، ج١، ص، ٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه من المحن العظيمة التي انجلت بمنح جليلة لا يؤدى شكر الله عليها، (ويجب على العاقل تأملها، ليعرف كنه تفضل الله عز وجل بكشف شدئده واغاثته، باصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته، وأخلص في خشيته، وأصلح في نيّته، فسلك هذه السبيل فإنها إلى النجاة من المكاره، أوضح طريق وأهدى دليل) (١).

يحث التنوخي في هذه العبارات البسيطة الناطقة على التوجه لله عزو جل بطلب الغوث والمساعدة.

وهذا دعاء حمد أورده التنوخي على لسان النبي دانيال، قد صيغ بعبارات سهلة يسهل حفظها:(الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه، والحمد لله الذي من توكل عليه كفاه، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا، وبالسيئات غفرانا، والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي يكشف حزننا بعد كربنا، والحمد لله الذي هو ثقتنا، حين تسوء ظنوننا بأعمالنا، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا) (٢).

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:(كان يكاشفونه بالسب والتكذيب والاستهزاء والفدع والتأنيب، ورميهم اياه بالجنون، وقصدهم اياه غير دفعة بأنواع الأذى والعضيهة والافتراء، وحصرهم اياه صلى الله عليه وسلم، وجميع بني هاشم في الشعب) (٣).

نلاحظ استعمال التنوخي في هذه الفقرة، كلمة يندر استعمالها اليوم، فكلمة (الفدع) وتعني الشدخ، وكلمة (العضيهة) وتعني البهتان والكلام القبيح لاتسمعان أوتقرآن فيما يقع بين أيدينا من كتب وخاصة الحديثة منها.

وقد وصف الكفار وصفا دقيقا فهم : جاحدون ومارقون ومعاندون ومكذبون وكاذبون وكانوا (عن الحق ناكثين، وبالدين مستهزئين، وللمؤمنين

(١)الفرج بعد الشدة ج١، ص٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص٨١.

(٣) المصدر السابق، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناصبين، متوعدين، وللنبي صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين) [١].
وقد جاء استعمال العبارات المسجوعة مع اسم الفاعل، واصفا حالهم بأوضح عبارة، ناطقة بأتم صورة. ونصر الله لرسوله الكريم بعد المحن والشدائد التي مرت به توجيه للمؤمنين من بعده ممن يتعرضون للامتحان والابتلاء بأنه ناصرهم لا محالة، إذا أخلصوا دينهم وعبادتهم.

وهذا دعاء على لسان جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد منعه المنصور من الحركة وأداء فريضة الحج :(الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبي الله وكفى، ليس من الله منجى، ما شاء الله قضى، ليس وراء الله منتهى، توكلت على الله ربي وربكم، وما من دابة إلاّ وهو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، اللهم إن هذا عبد من عبيدك خلقته كما خلقتني، ليس له علي فضل إلاّ ما فضلته علي به، فاكفني شره، وارزقني خيره، واقدح لي في قلبه المحبة، واصرف عني أذاه، لا إله إلا أنت، سبحان الله رب العرش العظيم،وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيراً) [٢].

في هذا الدعاء نجد (الأعلى) وهو الله سبحانه وتعالى، والعبيد الناس دونه خاصهم وعامهم، ومن حسب أنه ينجو من سخط الله بغير ارادة منه تعالى فهو واهم. ان خوف المنصور على سلطانه جعله يؤذي العلويين، وخوفه من وجودهم في موسم عظيم يجمع خلقا كبيراً أمر خطير في نظره على دولته، فهو يخشى من التفاف الناس حول آل البيت من آل علي رضي الله عنه.

ان كثيرا من قصص (الفرج بعد الشدة)، تم الفرج فيها بعد الدعاء والتضرع لله عز وجل، لكننا ضمن سرد القصة نجد عبارات التنوخي المسترعية للنظر، والقائمة بحمل المعنى قياما تاما. وفي هذه القصة عن المهدي مع أحد العلويين، نقرأ هذه العبارات. يقول التنوخي (صر إلى المطبق، واطلب فلانا العلوى الحسيني فإذا وجدته، فأخرجه وخيره بين الأقامة

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندنا مطلقا محبورا، وبين الخروج إلى أهله) [١]. ويقول صاحب الشرطة:(حضرت إلى من أزاح علتي) [٢].فالتأخير في تنفيذ الأمر كالعلة التي تمنع المريض من القيام بمسؤولياته، لأنها تؤذي الجسم كله، وان كانت في جزء منه، فهي تحتاج إلى (إزاحة)، كما يزاح الشيء الثقيل، وقوله عن الفتى العلوي :(فأخرج اليَّ كالشن البالي) [٣]، وهذا كناية عن تغضن جلده وتجعده من طول الحبس وسوء المعاملة، ولو قال (كالشن) لكان كافيا، ولكنه قال: (كالشن) البالي) ليكون أبلغ في الوصف. فالشن هو القربة الخلقة فكيف إذا كان باليا، فقد كان جسم هذه الفتى يبدو متغضناً من قسوة السجن حتى أصبح كما وصفه. وهذا التشبيه مأخوذ من بيئة البادية، وهي كما هو معروف بيئة قاسية بعيدة عن الترف والتنعم، فجاء هذا الوصف مطابقا للحال.

وهذا حوار بين المعتمد وأحد المظلومين. يقول المظلوم :(فلما قربنا من حلوان، سلّ الأكراد منها جملا محملا، فبلغه الخبر، فأحضرني، وقال : أنت سرقت الجمل بما عليه، فقلت : غلمانك يعلمون أن الأكراد سلوه) [٤]. واتهمه قائد القافلة بسرقة الجمل وضربه وقيده، ثم وصلت القافلة بغداد فحبسه، وطال مكثه في الحبس إلى أن استدعاه المعتمد.

ثم قال المعتمد لبعض الخدم :(امض الساعة إلى فلان العامل، واقعد على دماغه ولا تبرح، أو يرد عليه جماله أو قيمتها على ما يريد، فإذا قبض ذلك، فاحمله إلى الخزانة، واكسه كسوة حسنة وادفع إليه كذا وكذا دينارا واصرفه مصاحبا) [٥].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٢، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق، والصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٥) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعبّر التنوخي عن حالة الجمّال بقوله:(ولم يكن لي متظلم، ولا مذكر ولا متكلم وطال حبسي) [١]. فهو غريب عن البلد، لا أهل ولاأصحاب يدافعون عنه، ويرفعون مظلمته إلى السلطان، فكان الله وليه، ورافع الظلم عنه و قد طلب المعتمد من صاحب الشرطة الافراج عن الجمال اثر منام رآه.

ومنامات الخلفاء ورؤيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في كتب التنوخي متكررة. وهي في دلالتها العامة تشير بأن الله ورسوله لا يرضيان بالظلم، وهما الذائدان عن المظلومين، وأن العدل والحق من مكارم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه يعمل بما يأمره به ربه، ويظهر الخليفة في هذه المنامات المنفذ لأمريهما، المطيع لهما. فالمعتمد يقول عن منامه :(فما استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه، يقول لي ويلك أمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك، قد طال مكثهما، وأن تنصفهما وتحسن إليهما فلا تفعل وترجع تنام؟ لقد هممت أن أوجعك) [٢]. وقد تكون استعانة الخلفاء بالمنامات لاشاعة الأفكار بين العامة بأن هذا الخليفة أو ذاك محب للعدل والانصاف، كاره للظلم والاجحاف. ووقوع الظلم على بعض الناس، تقصير من الخليفة في واجبه، إضافة لغياب الخوف من الله تعالى عند بعض الناس. والمعتمد لم يكن بحاجة إلى منام ليبحث عن المظلومين وينصفهم، فقد كان في مجلس شراب، وإنما جاء هذا المنام لردعه إذا كان حقيقة، أو أنه اختلقه ليظهر لندمائه وغيرهم اهتمامه بأمور الرعية. والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته التي يؤمن بها تحثه على ذلك. وجواب صاحب الشرطة يؤكد ذلك (هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمير المؤمنين، واهتمام بما يصلح دينه، ويثبت ملكه، ومنة عظيمة عليه لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم) [٣]. فقد كان المعتمد يحتاج إلى اصلاح دينه، وتثبيت ملكه، بالعدل والانصاف.

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٢، ص٢٤٦.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي حكاية أخرى يقول التنوخي:(وجدت في بعض الكتب، أن المنصور استيقظ من منامه ليلة من الليالي، وهو مذعور لرؤيا رآها) [١]. ويقص قصة منام تشبه السابق، إلاّ أن الشخص المظلوم كان مجوسيا. وفي القصة أن المنصور عندما رآه حقيقة، قال (نعم هو هذا) [٢]. وكأنه يعرفه. وسأله المنصور (ما ظلامتك؟ قال: أن عاملك بالأنبار جاورني في ضيعة لي، فسامني أن أبيعه اياها، فامتنعت ، لأنها معيشتي، ومنها أقوت عيالي فغصبني اياها)[٣]. وقد يكون بعض مؤيدي العباسيين من الكتاب قد وضع هذه القصص ترويجا لهم. وتشير من ناحية أخرى إلى أن الله مع المظلوم مطلقا، ولو كان مجوسيا.

يحسن المحسن التنوخي التعبير والوصف للأحوال التي يمر بها الناس، وفي هذه القصة يقول على لسان ابراهيم المهدي :(كنت في جفوة شديدة، من أخي الرشيد، أثرت في جاهي، ونقصت حالي، وأفضيت معها إلى الإضاقة بتأخير أرزاقي، وظهور اطراحه اياى، فاختلت لذلك أحوالي، وركبني دين فادح، فبلغ بي القلق والفكر في ليلة من الليالي، مبلغا شديدا، فنمت فرأيت في النوم كأني واقف بين يدي أبي المهدي وهو يسألني عن حالي، وأنا أشكو إليه ما نكبني به الرشيد، وأنهيت إليه حالي، وأنا أقول: ادع الله عليه يا أمير المؤمنين) [٤].

في هذا المنام نرى الوالد المهدي وقد أزعجه الخلاف بين ولديه، فجاء ليصلح بينهما كأي والد يسوؤه الخلاف بين أولاده. ويقول لولده ابراهيم: (هو ذا أمضي إليه الساعة وأمره أن يرجع، ويقضي دينك ويوليك جند دمشق) [٥]. ويقول له أيضا :(حركت مسبحتك استقلالا لدمشق، فكلما خف منها حظك، كان في العاقبة أجود لك) [٦]. والمسبحة هنا تعني السبابة.

(١) الفرج بعد الشدة ج٢، ص٢٩٦.

(٢) المصدر السابق، والصفحة ذاتها.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٥) المصدر السابق، ص٣٢١.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الصورة تظهر الخلفاء وأولادهم بصورة قريبة مألوفة للشعب وتنزل بهم من برجهم العالي لتضعهم في مصاف أبناء الشعب، فيروهم يتخاصمون ويتألمون ويتصالحون كما يحدث بين كثير من الناس. ونراهم ظهروا بصورهم الإنسانية بعيدا عن قوة الملك والسلطان التي تصورها كتب أخرى. وقد تكون هذه المذامات مختلفة، لتكون طريقا للتوصل إلى الهدف المقصود من الصلح أو التبرع بمال أو عقد ولاية.

ومن قصص خلفاء بني العباس هذه القصة عن الواثق بالله. على لسان محمد بن سعيد الديناري الكاتب .قال:(لما غضب علي الواثق، وعلى أحمد بن الخصيب، بسبب ايتاخ وأشناس، كانت موجدته علينا بسبب واحد، وحبسه لنا في معنى واحد، فمكثنا في الحبس والقيد، إلى أن كلم فينا ، فأمر باحضارنا) [١] . وهذه القصة تصور غضب الخليفة على بعض موظفيه، وقد كان هذا الغضب يحل بأهل المغضوب عليه وأصدقائه وأقربائه وتصادر أملاكه، ويجري عليه من الغضب والمحنة أمر عظيم. وهذا وجه من وجوه الاضطراب السياسي آنذاك. وكثيرا ما كان الخليفة يرضى عن موظفه المغضوب عليه فيخلع عليه ويصله، فيدخل بحال ويخرج بحال آخر. ويقول أحد المغضوب عليهم في هذه القصة لآخر (أعرني سكوتك) [٢]. وهذا التعبير شائع ما زال مستعملا للآن.

وبعث الرشيد يوما إلى الأصمعي. ويحدث الأصمعي عن ذلك. فيقول :.بعث اليَّ الرشيد في وقت لم تكن عادته أن يستدعيني في مثله، وجاءني الرسول بوجه منكر، فأحضرني احضارا عنيفا منكرا مستعجلا، فوجلت وجلا شديدا، وخفت وجزعت) [٣]. وكيف يكون حال من يجيئه رسول الخليفة ويأخذه من بيته بهذه الطريقة؟. قال الأصمعي: (سعي بي عنده بباطل، يهلكني قبل كشفه، وأيست من الحياة) [٤]. ولكن الرشيد هون عليه الأمر عندما قال له :(يا أصمعي، ألا ترى الدعي بن الدعي، اليهودي عبد بني حنيفة، مروان بن أبي حفصة، يقول لمعن بن زائدة وإنما هو عبد من عبيدنا:-

(١) الفرج بعد الشدة ج٣، ص١٥٢.

(٢) المصدر السابق ج٣، ص١٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٥.

(٤) المصدر السابق، ص١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لانريد به زيالا

وقلنا أين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

وكان الناس كلهم لمعن إلى أن زار حفرته عيالا

فقال : ان النوال قد ذهب، مع بقائنا، فما يصنع بنا اذن؟ ولم يرض حتى جعلني وخاصتي، عيالا لمعن، والله لأفعلن به ولأصنعن) [١]. ان مبالغة الشاعر في المدح جرت عليه نقمة الخليفة، ويقول التنوخي على لسان الأصمعي :(يا أمير المؤمنين عبد من عبيدك، أنت أولى بأدبه،أو العفو عنه)[٢] وقد استعمل الأصمعي نفس ألفاظ الرشيد (عبد ، وعبيدنا) ليستميل قلب الخليفة على الشاعر، وهذه هفوة من الشاعر استحق عليها التأديب من الخليفة. وكما دخل الأصمعي على الرشيد بحالة من الخوف والفزع ظلت ملازمة له طول الوقت، خرج كالهارب من الجحيم، يقول :(فخرجت وأنا ما أصدق بالسلامة، فكيف بالحباء والكرامة)[٣].

وللأصمعي حكاية أخرى مع الرشيد، بل هي أولى حكاياته معه. يقول :(لزمت باب الرشيد، فكنت أقيم عليه طول نهاري، وأبيت بالليل مع الحراس أسامرهم، وأتوقع طالع سعد، حتى كدت أموت ضرا وهزالا، وأن أصير إلى ملالة، ثم أتذكر ما في عاقبة الصبر من الفرج، فأؤمل صلاح حالي باتفاق محمود، فأصبر) [٤].

ثم استدعاه الرشيد ذات ليلة. وفي الليل تحلو المسامرة، بعد أن يحل السكون وتهدأ حركة المخلوقات وتفرغ الخليفة لسماع الأدب، ومحاورة الأدباء، ومواصلة السهر ما بين انشاد وحوار حول الأدب وغيره. وهذه الليلة خص الرشيد الأصمعي بها للمسامرة، وكان معه وزيره جعفر البرمكي، وأخذ الأصمعي ينشد للرشيد ما طلبه ومما أنشده قصيدة ذي الرمة:ـ

ما بال عينيك منها الماء ينسكب

(١) المصدر السابق، ص١٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٤) الفرج بعد الشدة ، ج٣، ص٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما وصل إلى وصف جمله، اعترضه جعفر وقال:(ضيق علينا ما اتسع من مسامرة السهر بجمل أجرب، فقال الرشيد:اسكت، فهي التي سلبتك تاج ملكك، وأزعجتك عن قرارك، ثم جعلت جلودها سياطا، تضرب بها أنت وقومك عند الغضب) [١]. في جواب الرشيد هذا سخط وتأنيب لجعفر البرمكي وقوله لجعفر (أزعجتك عن قرارك) تعبير بليغ عن رسوخ الملك ولكن هذا الرسوخ لم يثبت أمام قوة دين الله التي ضربت ذلك القرار وأبدلت الشرك بالوحدانية. وفي هذه الحكاية جذب التنوخي انتباه القارىء إلى الأصمعي ووصف ما حدثته به نفسه حين وقف بين يدي الرشيد، وخشي على نفسه أن تأخذه روعة من هيبة الخليفة، فقال:(فرصة تفوتني آخر الدهر، إن شغلت بعارض فلا أعتاض منها إلا كمدا، حتى يصفق علي الضريح) [٢] هكذا حدثته نفسه قبل أن ينطق بكلمة ثم قال:(إضاءة كرم أمير المؤمنين وبهاء جده، يجردان من نظر إليه من أذية النفس يسألني - أيده الله - فأجيب، أو أبتدىء فأصيب؟) [٣]. لقد عبر التنوخي عن شمول شهرة الرشيد وسطوع نجمه بل هو كناية عن الشهرة والقوة.

وقد كان الأدب طريقا للغنى، وكان سمير الخلفاء والوزراء. أما اشارة البرمكي إلى الجمل وتبرمه به، فهو تعريض بالعرب ووصفهم بالخشونة والبداوة.

ولقد استأثرت قصص اعتقال ابراهيم المهدي وحبسه باهتمام التنوخي، فأورد له تسع قصص، ونجد في ثنايا هذه القصص أنه يستعمل تعابير جديرة بالانتباه مثل:(قال ابراهيم لأحمد بن أبي خالد: الحمد لله الذي من علي بمصيري إليك وحصولي في دارك، وتحت يدك ولم يبتليني بغيرك)[٤]. فهذه ثلاث عبارات معبرة عن هواجس ابراهيم المهدي. وقال أيضاً (ولكني علمت أن لأمير المؤمنين خزنة سيوف وخزنة أقلام، وأنه متى أراد قتل

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٣) المصدر السابق، والصفحة ذاتها.

(٤) الفرج بعد الشدة ج٣، ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنسان، دفعه إلى خزنة السيوف ومتى أراد مناظرته، دفعه إلى خزنة الكلام، فحمدت الله على ما منّ به علي من احلاله اياي بمحل من يسائل لا محل من يعاجل) [١] فقوله (خزنة سيوف، وخزنة أقلام) دليل على الاهتمام بالعمل الحربي وبالعلم، والعلم الذي أداته القلم يحتاج إلى الأناة والتريث والفكر، فيتيح المجال للتساؤل والتحقق والنظر.

وقال أحمد بن أبي خالد :(الناس يتكلمون على قدر أنفسهم وآبائهم، وكلامك على قدر المهدي، وقدر نفسك ، وكلامي على قدر خلقي.. وأنا أستقيلك مما سبق مني، فأقلني، أقال الله عثرتك، وسهل أمرك وعجّل خلاصك) [٢] ، وفي جواب أحمد مما سجله قلم التنوخي، العبارات القصيرة البليغة.

إن المحسّن التنوخي في كتاب (الفرج بعد الشدة) وفي معظم القصص آثر طريقة الترسل في الكتابة، ولم يركز على نمط معين فجاءت عباراته عفوية كما يتطلب الحال.

ومن مظاهر تقلبات الأحوال السياسية ما حصل مع البرامكة حيث تنكر لهم الرشيد ونكبهم النكبة المعروفة باسمهم. وهنا قصة عن كاتب يحيى بن خالد البرمكي، وقد غضب عليه الرشيد، وطالبه بعشرة ملايين درهم. يقول التنوخي :(دعا الرشيد صالحا صاحب المصلى، حين تنمر للبرامكة، فقال له :اخرج إلى منصور بن زياد، فقل له: قد صحت عليك عشرة الاف درهم، فاحملها إلينا في هذا اليوم، وانطلق معه، فإذا دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس ، وإلاّ فاحمل رأسه إلي واياك ومراجعتي في شيء من أمره) [٣] . وقد احتال هذا الكاتب حتى جمع العشرة آلاف درهم من يحيى بن خالد، ولكنه قابل هذا الفعل النبيل بلؤم وخسة، يقول صالح :(أنشأ منصور يقول متمثلا:-

وما بُقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

(١)، (٢)، الفرج بعد الشدة ج٣، ص٣٢٠.

(٣) المصدر السابق ج٤، ص١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال صالح: ما على وجه الأرض أنبل من هذا الذي خرجنا من عنده، ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر، ولا على وجه الأرض أخبث سريرة ولاأكفر لنعمة، ولاأدنأ طبعا من هذا النبطي الذي لا يشكر من أعطاه ووزن عنه هذا المال العظيم) [١].

وأخبر صالح ،يحيى بما كان من منصور الكاتب (فجعل يطلب له المعاذير ويقول : ياأبا علي ان المنخوب القلب، ربما سبقه لسانه، بما ليس في ضميره، وقد كان الرجل في حال عظيمة. فقلت : والله : ماأدري من أي أمريك أعجب، من أوله أو من آخره، ولكني أعلم أن الدهر لا يخلف مثلك أبداً) [٢]. ان هذه الأوصاف التي نعت بها التنوخي هذا الكاتب الناكر للجميل تدل على ضيقه الشديد منه فاختار له هذه النعوت القاسية.

من القصص اللطيفة في الفرج بعد الشدة، قصة مزنة أمرأة مروان بن محمد، عندما لجأت إلى الخيزران، وكان من عادة نساء الخلفاء إذا اجتمعن أن يجلسن قرب عتبه الرواق، تقول زينب بنت سليمان الهاشمي : (كنت- من أول أمس- عند الخيزران و مجلسي ومجلسها إذااجتمعنا في عتبة باب الرواق وبالقرب منا في صدر المكان، برذعة ووسادتان، ومسانيد، عليها سبنية، لأمير المؤمنين، وهو كثير الدخول عليها والجلوس عندها... فإنّا لجلوس، إذ دخلت عليها احدى جواريها فقالت: يا ستي، بالباب امرأة ما رأيت أحسن منها وجها ولا أسوأ حالا) [٣].

وقد دار حوار بن مزنة امرأة مروان بن محمد والخيزران امرأة المهدي بعد أن أذنت لها بالدخول، قالت: السلام عليكم، فرددنا عليها السلام. ثم قالت للخيزران:(أنا مزنة امرأة مروان بن محمد . قالت : فلما وقع اسمها في أذني، استويت جالسة ثم قلت مزنة؟ قالت: نعم، قلت: لا حيّاك الله ولا قرّبك، الحمد لله الذي أزال نعمتك، وأدال عزك، وصيرك نكالا وعبرة، أتذكرين ياعدوة الله، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في إنزال ابراهيم بن محمد من خشبته، فلقيتيهن ذلك اللقاء، وأخرجتيهن ذلك الاخراج، الحمد لله الذي أزال نعمتك) [٤].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٤، ص١٢. (٢) المصدر السابق، ص١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٦. (٤) المصدر السابق، ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الكلام الذي سجله التنوخي صدر على لسان زينب الهاشمية. ثم دار حوار بين زوجتي خليفتين، لكن شتان بين حاليهما، احدهما مترفة منعمة والأخرى أزال الله نعمتها. وقد ردت مزنة على زينب بقولها :(أي بنت عم، أى شيء أعجبك من حسن صنع الله بي علي ذلك الفعل، حتى أردت أن تتأسي به والله، لقد فعلت بنساء أهل بيتك ما فعلت، فأسلمني الله إليك جائعة، ذليلة، عريانة، فكان هذا مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك فَي، ثم قالت : السلام عليكم) [١].

ويصف التنوخي بجملة واحدة حالة مزنة بعد هذا :(ثم ولت خارج تمشي خلاف المشية التي دخلت بها) [٢]، ولكن الخيزران وزينب الهاشمية دعتاها للأقامة معهما بعد أن اعتذرت الهاشمية عما بدر منها، ثم أدخلنها الحمام، فخرجت إحدى المواشط وقالت :(ياستي إنا لنرى من هذه المرأة عجبا، نحن معها في انتهار وزجر وخصومه، ما تفعلين ولا ستنا مثله إذا خدمنا كما ...) فقالت الهاشمية للخيزران (حتى تعلمي- والله - يا أختي أنها حرة رئيسة، والحرة لا تحتشم من الأحرار) [٣].

ثم قامت الخيزران باكرامها ووهبتها المال والخدم. وحدثت المهدي بخبرها، فأقرها على ذلك واعتبر أن ما قدمته لها من مأوى ومال إنما هوشكر لله عز جل على ما أنعم عليه به من اقامة دولة بني العباس وزوال دولة بني أمية. والقصة في مضمونها تشير إلى حال الخلافة الأموية التي أصبحت مقهورة، بل زائلة، والى حال الخلافة العباسية التي اعتمدت في بدايتها على العرب والعجم.

ومن ناحية أخرى قد يكون هذا الخبر موضوعا، لأن العباسيين بالغوا في الانتقام من الأمويين، ولأن الراوي يقول في بداية القصة:(كنت ألفت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي أكتب عنها الأخبار ، أخبار أهلها) [٤]. وقد يكون أنصار العباسيين قد وضعوا هذا الخبر أو القصة ليروجوا القول بأن الله هو الذي أذهب دولة الأمويين لسوء أعمالهم.

(١) الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٧٨.
(٢) المصدر السابق، ص٧٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد صور التنوخي كثيراً من المشاهد التي جرت بين الخلفاء، وبين وزرائهم أو أحد من الناس.

وهذا مشهد بين الخليفة المهدي وبين يعقوب بن داود الكاتب. فقد أمر المهدي أن يؤتى بيعقوب بعد أن نكبه وقد انتضى له السيف، فقال: (يا يعقوب. قال: لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك، شرق بغضبك. فقال: ألم أرفع قدرك وأنت خامل، وأسير ذكرك وأنت غافل، وألبسك من نعم الله ونعمي، ما لم أجد عندك طاقة لحمله، ولا قياما بشكره، فكيف رأيت الله أظهر عليك، ورد كيدك؟ قال: يا أمير المؤمنين أن كنت قلت هذا بعلم ويقين، فأنا معترف، وإن كان بسعاية الساعين، فأنت بما في أكثرها عالم، وأنا عائذ بكرمك وعميم شرفك) [١]. إن أكثر ما يسوء الحكام نكران الجميل ممن يرعونهم وقد وصف ذلك التنوخي بأوجز عبارة.

وهذا مشهد جرى بين المعتصم وأحد الخارجين عليه ويصفه التنوخي بقوله:(مارأيت رجلا قط نزل به الموت، وعاينة، فما أدهشه، ولا أذهله، ولاأشغله عما كان أراده،وأحب أن يفعله، حتى بلغه، وخلصه الله تعالى من القتل، إلاّ تميم بين جميل الخارجي فإنه كان تغلب على شاطيء الفرات فأخذ، وأتى به إلى المعتصم بالله. وكان تميم رجلا جميلا، وسيماً، جسيما، فأراد المعتصم أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره ومخبره)[٢].

وقد انطلق التنوخي على سجيته في الكلام في الفقرة التالية عندما سأل المعتصم تميما الخارجي :(يا تميم، تكلم إن كان لك حجة أو عذر فأبده) [٣] فقال :(أما إذ أذن أمير المؤمنين بالكلام، فأقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وقد خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدين، ولّم شعث المسلمين، وأخمد بك شهاب الباطل، وأوضح نهج الحق، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتعمي الأفئدة، وأيم الله، لقد عظمت الجريرة ،وانقطعت الحجة، وكبر الجرم، وساء الظن، ولم يبق إلاّ عفوك، أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما الي، أولاهما بإمامتك، وأشبههما بخلافتك، وأنت إلى العفو أقرب، وهو بك أشبه وأليق) [٤].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٤، ص١٠٤ (٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص٨٩. (٤) المصدر السابق، ص٨٩-٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تمثل بأبيات لطيفة من الشعر تصف حاله. إنَّ المحسن التنوخي في الفقرة السابقة لم يستعمل السجع أو الجناس أو الطباق أو غيره من المحسنات البديعية. والثائر استمال الخليفة هذه الاستمالة التي قلبت حاله من ثائر إلى وال مكرم معزز.

لقد سجل التنوخي بعض الأحاديث التي رويت عن أشخاص صالحين زاهدين ورعين متعبدين كالحسن البصري. يروى التنوخي (ان المحسن البصري دخل على الحجاج بواسط، فلما رأى بناءه قال:(الحمد لله ، ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبرا، وانا لنرى فيهم عبرا، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده، وإلى فرش فيتخذه، وقد حف به ذباب طمع، و فراش نار، ثم يقول: ألا فانظروا ما صنعت، فقد رأينا- يا عدو الله ماصنعت، فماذا يا أفسق الفسقة، ويا أفجر الفجرة، أما أهل السماء فلعنوك وأما أهل الأرض فمقتوك) [١].

ثم خرج وهو يقول:(انما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه) [٢]، هذه كلمات كالنار تلسع المخاطب بها، أو كالسياط تجلد من يرمي بها، وقد اغتاظ الحجاج غيظا شديدا واقسم ليقتلن الحسن البصري. فصاح بأهل الشام- شيعته وشيعة الأمويين بأن يحضروه. فلما حضر كلمه بكلام غليظ، (ورفق به الحسن ووعظه)[٣]. ثم صرفه مكرما. وقيل للحسن بم كنت تحرك شفتيك؟ قال:(قلت: ياغياثي عند دعوتي، وياعدتي في ملمتي، ويا ربي عند كربتي، ويا صاحبي في شدتي، ويا ولي في نعمتي، ويااالهي واله ابراهيم واسماعيل، واسحق، ويعقوب، والأسباط، وموسى وعيسى، ويارب النبيين كلهم أجمعين، ويارب كهيعص وطه، وطس، ويس، ورب القرآن الحكيم، ياكافي موسى فرعون، وياكافي محمد الأحزاب، صلى على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار، وارزقني مودة عبدك الحجاج وخيره ومعروفه، واصرف عني شره ومكروهه ومعرته) [٤].

---

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص ١٨٩. (٢) المصدر السابق، ص١٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٠. (٤) المصدر السابق، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الحديث يدل على جرأة الحسن البصري وعلى مسؤولية العلماء تجاه ولي الأمر، فإنه نصحه لله تعالى، لا لدنيا يصيبها، أو مغانم ينتظرها، ولم يخف سطوة الحجاج وقسوته. ومن ناحية أخرى فإن الله لا يخذل من يحارب فيه وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

وإذا نظرنا في الدعاء السابق، نجده بسيطا، يستصغر جبروت الحجاج، ولا يرفعه أكثر مما يستحق، فهو وان كان واليا وحاكما إلاّ أنه عبد من عبيد الله تعالى، والعبودية لله وحده وليس لأحد من البشر، ومن هنا كان تفوق الحسن البصري على ظلم الحجاج وبغيه. وقد وقف الحسن البصري وحيدا أعزل أمام الحجاج وحاشيته وسلاحه، وكان مسلحا بسلاح واحد ، وهو الإيمان بالله واحد قادر كاف، وهكذا انتصر.

ومن الصور المؤلمة التي أوردها التنوخي (في الفرج بعد الشدة) تصوير حالة المصادرين، من الوزراء والعمال، وما ينالهم من الاهانة والتعذيب والاحتقار بعد الرفعة والعزة والجاه. وهذا تصوير حي لمصادرة سليمان بن وهب أيام المتوكل وسخط المتوكل عليه. وهذا الأمر يشير إلى الاضطراب السياسي والمالي في الدولة العباسية، يقول التنوخي (وكتب المتوكل إلى اسحاق بن ابراهيم، بدخول سر من رأى، ليتقوى به على الأتراك، لأنه كان معه بضعه عشر ألفا، ولكثرة الطاهرية بخراسان ،وشدة شوكتهم) [(١)]. في هذا النص اشارة إلى ضيق المتوكل بالأتراك وخوفه منهم. ويقول سلميان بن وهب :(فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل، وألبسني جبة صوف، وحبسني وأغلق علي خمسة أبواب، فكنت لا أعرف الليل من النهار، فأقمت على ذلك عشرين يوما، لا يفتح علي الباب إلا دفعة واحدة في كل يوم وليلة، يدفع الي فيها خبز وملح جريش وماء حار، فكنت أنس بالخنافس، وبنات وردان، وأتمنى الموت من شدة ما أنا فيه) [(٢)]. وقد أجري له بعد ذلك محاكمة صورية، لاستخلاص الأموال منه. ثم حمل إلى مجلس اسحاق :

---

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٢٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(فشتمه اسحاق أقبح شتم ، وقال : يافاعل ياصانع، تعرضني لا ستبطاء أمير المؤمنين. والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ولأجعلن بطن الأرض أحب اليك من ظهرها، أين الأموال؟) [١]. وقد تبرع صديق لهذا المصادر بمساعدته فاستدناه، (فحمل اليه وسارّه، فقال: عزيز علي يا أخي حالك، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لفديتك به، ولكن صورتك قبيحة، وما أملك إلاّ الرأي، فإن قبلت مني، رجوت خلاصك، وان خالفتني، فأنت - والله - هالك) [٢].

في هذه المحاكمة الخاطفة يظهر الحرص على المال أكثر من الحرص على الأرواح. وما تلى ذلك يؤكد هذا. فقد أخذ خطه بعشرة آلاف ألف درهم منجمة، وبعد ذلك قيل عنه (هذا رجل صار عليه للسلطان - أعزه الله - مال وسبيله أن يرفه وتحرس نفسه، وينقل من هذه الحال ويغير زيه ويرد جاهه، بانزاله دارا كبيرة، وإخدامه بفرش وآلة حسنة، وإخدامه خداما بين يديه، ويمكن من لقاء من يؤثر لقاءه من معامليه، ومن يحب لقاءه من أهله وولده وحاشيته، ليجدُ في حمل المال الحال عليه قبل محله) [٣] ثم استدعاه رئيس المحكمة، وهواسحاق، بعد أن خلع عليه ونهض إليه (ولم يكن في مجلسه أحد، واعتذر إليه مما خاطبه به، وقال: أنا صاحب سيف ومأمور، وقد لحقني اليوم من أجلك سماع كل مكروه، حتى امتنعت عن الطعام غما بأن ، ابتلى بقتلك، أو يعتب علي الخليفة من أجلك، وإنما خاطبتك بذلك، اقامة عذرعند هؤلاء الأشرار، ليبلغوا الخليفة ذلك، وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب) [٤].

في هذه الفقرات نجد التنوخي قد أحسن في تصوير حالة هذا المصادر وتصوير ما كان يجري في أثناء هذه المحاكمات السريعة. وقد استعمل لفظة (منجمة) أو (تنجيم) بمعنى تقسيط، واعترف بأن رئيس المحكمة أو مراقبيها من الأشرار، الذين لا هم لهم إلا إنزال المكاره وسلب النعم تملقا للخليفة. ومن ناحية أخرى، فإن وفاء الصديق هنا أنقذ هذا المصادر بحسن رأيه ومشورته من هلاك محتم.

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص ٢١٢. (٢) المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٢. (٤) المصدر السابق، ص ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن صور الصراع بين الفرس والعرب، هذه الصورة التي أوردها التنوخي، وهي قصة قصائد في ظاهرها، بين عربي وآخر فارسي ولكنها تشير إلى ما كان في نفس كل منهما. فقد فخر عبد الله بن طاهر بآبائه الفرس حيث يقول:-

سائلي عما تسائلني ... قد يرد الخبر مسؤول
أنا من تعرفن نسبته ... سلفي الغرُّ البهاليل
مصعب جدي نقيب بني ... هاشم والأمر مجهول
وأبي من لا كفاء له ... من يسامي مجده قولوا
صاحب الرأي الذي حصلت ... رأيه القوم المحاصيل
حل منهم بالذرى شرفا ... دونه عز وتبجيل[1]

ولما بلغت القصيدة محمد بن يزيد الأموي قال:(امتعضت للعربية، وأنفت أن يفخر عليها رجل من العجم، فرددت علي قصيدته، ولم أعلم أن الأيام تجمعنا، ولا أن الزمان يضطرني إلى الخوف منه) [2].يقول محمد بن يزيد الأموي:-

لايرعك القال والقيل ... كلما بلغت تهويل

ويقول ذاما أباه عبد الله بن طاهر:-

أي مجد فيك نعرفه ... أي جد لك بهلول
من حسين أو أبوك ومن ... مصعب غالتهم غول
وزريق إذ تخلّفه ... نسب عمرك مجهول
تلك دعوى لا نناقشها ... وأبوّات مراذيل
أسرة ليست مباركة ... غيرها الشم البهاليل[3]

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٣٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن هذه القصيدة سار ذكرها ورددها الناس، فالراوي يقول:(لما وليت ديار مصر، لم يزل وجوهها يصفون لي محمد بن يزيد الأموي الحصني بالفضل، وينشدونني قصيدته التي أجاب بها عبد الله بن طاهر، لما فخر بأبيه ويذكرون قصته معه لما دخل عبد الله الشام) [١]. وهكذا تصدى لعبد الله بن طاهر أموي عربي كأنما هو يتصدي للذين غلبوا العرب على عروبتهم، ولم يكن عباسيا، لأن الآخر كان بحكم ولاءه عباسيا، ولم تهز الأنفة العربية والحمية العربية إلاّ أمويا عربيا لأنه ابن دولة كرمت العرب واعتزت بهم. وتظهر الأنفة العربية والحمية في أفعال هذا الأموي أيضاً. فهو عندما علم باقتراب عبد الله بن طاهر من حصنه، وتذكر القصيدة التي ردّ بها عليه، خاف على نفسه، واستوحش من المقام، ورأى الهرب وتسليم الحرم عارا باقيا، يقول :(فأقمت على أتم خوف مستسلما للاتفاق حتى إذا كان اليوم الذي قيل أنه ينزل فيه العسكر بهذه النواحي أغلقت باب حصني، ولبست ثياب الموت أكفانا، وتطيبت وتحنطت) [٢].

وفي رواية أخرى أنه (ثبت في مكانه، وأحرز حرمه وترك أمواله وكل ما يملكه في موضعه، وفتح باب حصنه، وهو يتوقع من عبد الله أن يوقع به) [٣]. ولما قدم عبد الله ابن طاهر وسأله :(ما أجلسك هاهنا، وحملك على أن تفتح بابك، ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع علمك بما في نفسه منك وما بلغه عنك) [٤].

فأجاب محمد بن يزيد الأموي :(إن الذي قلت لم يذهب عني ولكني تأملت أمري وعلمت أني قد أخطأت عليه خطيئة حملني عليها نزق الشباب، وغرة الحداثة، وأني ان هربت لم أفته، فباعدت الحرم واستسلمت بنفسي وبكل ما أملك، فإنا أهل بيت قد أسرع فينا القتل ،ولي بمن مضى من

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٣٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥١.

(٤) المصدر السابق، ص٣٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهلي أسوة) [١]. ونلاحظ هنا افتداء هذا العربي لحرمه بنفسه وأمواله وأنه مستعد لتحمل جريرة ذنب اقترفه، أو مسؤولية عمل قام به. دون أن يجر ذلك إلى أهل بيته. ومن ناحية أخرى نرى هذا الفارسي وقد هذبه خلق الإسلام فقال (قد أمّن الله روعك) [٢]. وقد يكون ايراد هذه القصة لرغبة خفية من القاضي التنوخي ليظهر القوة العربية على التسلط الفارسي، حيث قاسى شخصيا من ظلم الأعاجم، ورأى المظالم التي كانت ترتكب في عصره بحق الناس من مختلف الطبقات.

وفي رواية أخرى سأل عبد الله بن طاهر الأموي لم هجا آل طاهر؟ وذكرّه بانتقام العباسيين من الأمويين بقوله :(فوالله ما فخر القوم إلاّ بقتلهم رجلا من قبيلٍ قتلكم وأفناكم، فما دخولك في هذا) [٣]. قال الأموي :(أطّت الرحم، وأن كانت مقطوعة، ولحقتني الرحمة والحمية وهو أمرني أن أقول إذ قال:(من يسامي مجده قولوا) [٤].

لقد كان مجيء عبد الله بن طاهر لعتاب محمد بن يزيد الأموي. ونجد التنوخي يستعمل من ثروته اللغوية في هذه القصة بمفردات لا نستعملها وان كانت فصيحة، مثل (وأقمت هذه الجارية السوداء ربيئةتنظر لي. فكلمة (ربيئة) بمعنى (مراقبة) أو رقيبة، نادرة الاستعمال. (ونزل على دكان على باب الحصن) (فدكان تستعمل بمعنى الحانوت). و(واعتذرت إليه بلزوم ضيعتي ومنزلي، وعجزي عن السفر للقصور عن آلته). فلو استعملت كلمة (آلة) في عصرنا الحاضر لتبادر إلى الذهن أنها (السيارة)، ولكنها تعني آنذاك مستلزمات السفر، وعبّر بكلمة واحدة عن جملة. و (الخيل الهماليج) أي المنقادة، و (وأمر خازنة باحضار خمس بدر دراهم) فكلمة (بدر) أي صررالدراهم. و (جلسنا في مستشرف) أي مكان مشرف وهو ما نسميه الآن (بلكون) و(قوله :أطت الرحم) أي: رقت وتحركت.

(١) الفرج بعد الشدة، ج١، ص٣٥١.

(٢) المصدر السابق، ص٣٥١.

(٣) المصدر السابق، ص٣٥٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن الوزراء الظلمة، وعمالهم الظالمين أيضا، يروي التنوخي هذه القصة، عن أبي الفرج محمد بن العباس، قال:(أنه لما ولي الوزارة، أظهر من الشر على الناس والظلم لهم، بخلاف ما كان يقدر فيه، وكنت أحد من ظلمه (أي القاضي التنوخي) فإنه أخذ ضيعتي بالأهواز، وأقطعها بالحقين، وأخرجها عن يدي. فأصعدت إلى بغداد متظلما إليه من الحال، فما أنصفني على حرمات كانت بيني وبينه، وكنت أتردد إلى مجلسه، فرأيت شيخا من شيوخ العمال.... فسألته عن أمره) [١] فذكر، أن أحد قواد الديلم، طالبه بظلم لا يلزمه واضطره إلى الهرب وأخذ جميع ما في داره، وأنه حضر للوزير متظلما منه. ولقد حاول القاضي التنوخي التظلم هو والشيخ الآخر فلم ينصفا.

وقد عمد هذا الشيخ إلى التظلم لله تعالى (بقصة) علقها بمشهد الامام موسى الكاظم، وقد كتبها للامام،موسى الكاظم، شرح أمره فيها، وتوسل (بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وباقي الأئمة عليهم السلام أن يأخذ له بحقه من محمد بن العباس ويخلص له ضياعه) [٢].

وبعد أيام من لقاء التنوخي بهذا الشيخ، دخل التنوخي المشهد بمقابر قريش، وزار الامام موسى بن جعفر، ثم ، عدل ليصلي، فإذا (بقصة معلقة). فلما قرأها التنوخي، عجب شديدا (ووقع عليه الضحك، لأنها قصة إلى رجل ميت، وقد علقها عند رأسه) [٣] وقد كان هذا الشيخ على مذهب الامامية الاثني عشرية، وكان ظن التنوخي أن أكبر قصد صديقه، أن يشنع على الوزير بالقصة، لأنه كان كثير الزيارة للمشهد ليعلم أنه على مذهبه (فيتذمم من ظلمه، ويرهب الدعاء في ذلك المكان) [٤].

وقد رأى التنوخي الوزير يقرأ الرقعة، ومضى على ذلك مدة (وما رهب القصة ولا أنصف الرجل) [٥].ولكن الله يريد انصافه،فبعد شهور من المحنة،انحدرالوزير إلى الأهواز(للنظر في أبواب المال،وتقرير أمر العمال)[٦]،

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٢٤٠.
(٢) المصدر السابق، ص٢٤١.
(٣) المصدر السابق، ص٢٤١.
(٤) المصدر السابق، والصفحة ذاتها.
(٥) المصدر السابق، ص٢٤٢.
(٦) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانحدر معه الشيخ صديق التنوخي في جملة من انحدر مع الوزير، وأقام التنوخي ببغداد، لأنه لم يكن قد أنصفه ولا طمع في انصافه لو صحبه، فلما صار الوزير في قرية قرب الأهواز، قبض عليه بأمر من بغداد، وقبض على أمواله. ومضى الشيخ إلى ضياعه (فأدخل يده فيها وكفي ما كان من أمر الوزير، واستقرت ضياعه في يده)[١].

أما التنوخي فقد بقي سنين يتظلم من تلك المحنة، (فما أنصفه أحد، وأيس وخرجت تلك الضيعة من يده فما عادت)[٢]. و (صح لأبي نصر بقصته، ما لم يصح لي، وكانت محنته ومحنتي واحدة، ففاز هو بتعجيل الفرج بها)[٣]. وأخيرا يريد التنوخي أن يقول:(كانت قصة بقصة).

ان كتابة الرقاع ووضعها في المساجد، عادة من عادات ذلك العهد، وظلم الناس والاستيلاء على أموالهم وأراضيهم بالقوة ظاهرة أخرى. واستقلال كل عامل بتصرفاته دون مخافة من الله أو ولي، أعلى منه ظاهرة أيضاً. وكان كثير من العمال يحاولون السيطرة على أقصى ما يستطيعون الحصول عليه من الأراضي واستغلالها لصالحهم، فإذا ذهبوا انفرط عقد ما جمعوه، فتكون بذلك فرصة لأصحاب الأرض الأصليين المظلومين لاسترداد ما فقدوه بأسهل طريقة وأيسر سبيل. وهذه القصة تظهر هضم الحقوق الذي كان متفشيا في أجهزة الحكم العباسي. وكثيرة هي الحكايات التي تشبه هذه الحكاية في كتاب (الفرج بعد الشدة). وهذه الحكاية تقول أن الدعاء يجب أن يقرن بالعمل، فلو تقاعس الشيخ صديق التنوخي، لخرجت من يده ضياعه هو الآخر.

ومن حكايات الصراع بين العباسيين والعلويين هذه الحكاية عن العلويين والمنصور . يقول التنوخي : وجّه المنصور إلى المدينة من يأتيه

---

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٢٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب. فلما صاروا بالنجف، (نزل عن راحلته، وأسبغ الوضوء واستقبل القبلة وصلى ركعتين، ثم رفع يديه إلى السماء... يقول: اللهم بك أستفتح وبك أستنجح، وبمحمد عبدك ورسولك أتوجه، اللهم أني أرداً بك في نحره وأعوذ بك من شره، اللهم سهل لي حزونته، وذلل لي صعوبته، وأعطني من الخير أكثر ما أرجو، واكفني من الشر أكثر مما أخاف) [١]. وقد فرّج الله بهذا الدعاء على الامام جعفر. فلما قيل لأبي جعفر : أنه بالباب (أمر بالستور فرفعت، وبالأبواب ففتحت، ثم خرج إليه، فلقيه في منتصف الدار، فعانقه أبو جعفر) [٢]. وهذا لقاء ودّي للغاية من المنصور، بعد الاخافة والتهديد بالقتل. ويظهر المنصور أنه يريد السلامة لآل بيت علي، ولا يريد تفرقة أمر المسلمين، ويقول التنوخي في ذلك :(ثم ان المنصور قال له: عرفت ما كان من أمر هذين الرجلين، يعني محمدا وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وما كان من برى بهما، وقد استترا، وخفت أن يشقا العصا، ويلقيا بين أهل هذا البيت شرا لايصلح أبدا، فأخبرني بخبرهماو ودلني عليهما) [٣]. ان كناية التنوخي عن الانقسام بـ (شق العصا) كناية قديمة، فالعصا إذا كانت سميكة تكون قوية متينة، فإذا شقت تكسرت وتقطعت. لكن الخلاف في الأصل هو خلاف حول حقوق، وأهلية للحكم وليس دعوة للانقسام. ومع ذلك، فإن الامام جعفر كان يؤثر الولاء للحكم العباسي لذا قال :(قد والله نهيتهما فلم يقبلا، وكرهت أن أطلّع على شيء من أمورهما، وما زلت ماثلاً إليك، وحاطبا في حبلك، ومواظبا على طاعتك) [٤].

لقد آثر جعفر السلامة على التعرض لقسوة المنصور وعسفه، وقد يكون قد رأى أن أية ثورة يقوم بها هو أو غيره من أفراد البيت العلوي ستهزم، فتبع منطق الحكمة والعقل.

---

(١) الفرج بعد الشدة، ص٣١٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٣١٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣١٧.

(٤) المصدر السابق، ص٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي جواب جعفر لأبي جعفر المنصور جمل هي كالأمثال،سائلاً إليك، حاطبا في حبلك، مواظبا على طاعتك،فهو قد نظر إليه نظر ولد إلى والده.

ويصور التنوخي موقفا بين الجاحظ وأحمد بن أبي دؤاد بعد نكبة محمد الزيات، يقول :(أتي بالجاحظ، إلى أحمد بن أبي دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات، مقيدا في جبة صوف. فقال له ابن أبي دؤاد: والله يا عمرو، ماعلمتك إلاّ متناسيا للنعمة، جاحدا للصنيعة، معددا للمثالب، مخفيا للمناقب، وأن الأيام لا تصلح مثلك لفساد طويتك، وسوء اختيارك) [١].

لقد صوّر التنوخي الجاحظ على لسان ابن أبي دؤاد، عدوا حاسدا سيء الخلق، فاسد النية. ولكن الجاحظ تقبل ذلك برحابة صدر وأجاب:(خفض عليك، فوالله، لأن تكون المنة لك علي، خير من أنك تكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن، أحسن في الأحدوثة، ولأن تعفو في حال قدرتك، أجمل بك من أن تنتقم) [٢]. في جواب الجاحظ هذا نجد التقابل في الألفاظ: لك تقابلها عليك ، الاساءة يقابلها الاحسان، والعفو يقابل الانتقام ومالبث ابن أبي دؤاد أن عفا عن الجاحظ، (فلما كان من الغد روى الجاحظ متصدرا مجلس ابن أبي دؤاد وعليه خلعه من ثيابه، وطويلة من قلانسه، وهو مقبل عليه بوجهه، يقول: هات يا أبا عثمان) [٣].

في نهاية هذا الحوار نجد ابن أبي دؤاد وقد زال ما في نفسه على الجاحظ، وأظهر له الاقبال والتكريم لأنه يحب العرب ولغتهم فكان نصيرا لهم.

ومن أخبار الصراع الخفي بين بقايا بني أمية وبين العباسيين هذا الخبر الممتع الذي أورده التنوخي في هذه القصة (قال منارة، خادم الخلفاء : رفع إلى هارون الرشيد، أن رجلا بدمشق، من بقايا بني أمية، عظيم الجاه، واسع الدنيا، كثير المال، والأملاك مطاعا في البلد، له جماعة أولاد ومماليك وموال، يركبون الخيل، ويحملون السلاح، ويغزون الروم، وأنه سمح جواد، كثير البذل والضيافة، وأنه لا يؤمن منه فتق لا يمكن رتقه، فعظم ذلك على الرشيد) [٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٦. (٢) الفرج بعد الشدة ج١ ص ٣٦١.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٣٤. (٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أحسن ما عبّر التنوخي عن حالة هذا الرجل، فهي صفات رجل جدير بالزعامة والقيادة، ولكن أنىٌ له ذلك وعيون الخليفة له بالمرصاد.

(قال منارة : فدعاني وهو خال، فقال لي: دعوتك لأمر أهمني وقد منعني النوم، فانظر كيف تكون، ثم قص خبر الأموي.

وقال: اخرج الساعة، فقد أعددت لك الجمازات، وأزحت علتك في الزاد والنفقة والالآت، وضممت إليك مائة غلام، فاسلك البرية وهذا كتابي إلى أمير دمشق، وهذه قيود فادخل، وابدأ بالرجل، فإن سمع وأطاع فقيّده، وجئني به، وإلاّ فتوكل به أنت ومن معك حتى لا يهرب، وأنفذ الكتاب إلى أمير دمشق، ليركب في جيشه فيقبض عليه وتجيئني به) [١] .

لقد أراد الرشيد كتمان هذا الأمر، فحدث به (وهو خال)، وأراد انجازه بسرعة فقال لمنارة :(وقد أجلتك لذهابك ستا، ولعودك ستا، ويوما لمقامك، وهذا محمل ، تجعله - إذا قيدته - في شقه، وتجلس أنت في الشق الآخر، ولا تكل حفظه إلى غيرك، حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك) [٢] .

ان الرشيد حريص أشد الحرص للقبض على هذا الرجل، ولم ينس أن يوصي منارة :(فإذا دخلت داره فتفقدها، وجميع ما فيها، وأهله، وولده، وحاشيته، وغلمانه، وقدر النعمة، والحال والمحل، واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف، بجميع ألفاظه منذ وقوع طرفك عليه، إلى أن تأتيني به) [٣] .

يريد الرشيد أن يعرف كل صغيرة وكبيرة عن هذا الرجل. ويريد أن يعرف كل كلمة ينطق بها لتكون حجة عليه أوله.

وقد وصل منارة دمشق،ودخل بيت الرجل بغير استئذان (فوجد الدار قد ماجت بأهلها موجا) [٤] . ثم جاء الرجل، و(حوله جماعة كهول وأحداث، وصبيان، هم أولاده، وغلمان كثيرة فعلمت أنه الرجل) [٥] . وقدمت

(١) المصدر السابق، ص٣٦. (٢) الفرج بعد الشدة ج٢ ص٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص٣٦. (٤) المصدر السابق، ص٣٧.

(٥) المصدر السابق، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاكهة ومائدة حسنة كموائد الملوك، فامتنع عن الأكل، وجلس يراقب الرجل حتى لا يفوته شيء كما أوصاه الرشيد.

ويصف منارة مجلسه :(فتأملت أكله في نفسه، فرأيته أكل ملوك، ووجدت جأشه رابطا والاضطراب الذي كان في داره قد سكن،ووجدته لا يرفع من بين يديه شيء كان على المائدة، إلا وهب) [١] .

وقد دعا هذا الشامي منارة باسمه، ولم يتودد له ولم يتملقه، بل جعل منارة يرتاب به، لتهاونه بأمره، وقله اكتراثه بامتناعه عن الأكل والشرب، وعدم سؤاله عما جاء له، وهو يأكل مطمئنا.

وبلغ الشك غايته عند منارة، عندما انتهى هذا الشامي من أكله وصلاته، دعا لأولاده وحاشيته فاجتمعوا (فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي) [٢] .
وقد قرأ كتاب الخليفة (فحلف أيمانا غليظة، فيها الطلاق، والعتاق، والحج، والصدقة، والوقف والحبس، إن اثنان منهم اجتمعا في موضع وأن يتفرقوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهر منهم أحد، إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه[٣] ، لقد كان الرجل بريء الساحة،لذلك قال لمنارة :(هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمصير إلى بابه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة.... استوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا..... هات أقيادك يامنارة) [٤] .

وخرج منارة بالرجل وليس معه أحد، وكان طوال الطريق من دمشق إلى غوطتها يحدث منارة بانبساط عن مزارعه وبساتينه ويصف كل شيء فيها. فاشتد غيظ منارة منه وقال له:(هل علمت أني شديد التعجب منك؟ قال: ولم ؟ قلت: ألست تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك، حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك، وولدك، ومالك وأخرجك عن جميع حالك، وحيدا، فريداً، مقيدا، لا تدري ما يصير إليه أمرك، ولا كيف تكون وأنت مع هذا فارغ القلب)[٥] . لقد وصف التنوخي لا مبالاة هذا الرجل بدقة ووصف جوابه لمبعوث الرشيد أيضاً بنفس الدقة.

(١) المصدر السابق، ص٣٨. (٢ ، ٣) الفرج بعد الشدة ج٢، ص٣٦.

(٤، ٥) المصدر السابق، ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الرجل الشامي مجيبا منارة :(انا لله وانا إليه راجعون، أخطأت فراستي فيك يامنارة، قدرتك رجلا كامل العقل، وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل، إلاّ بعد أن عرفوك بذلك، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم، والله المستعان. أما قولك في أمير المؤمنين، وإزعاجه لي من داري، وإخراجه إياي إلى بابه على هذه الصورة، فأنا على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين، فلا يملك معه لنفسه، ولا لغيره، ضرا ولا نفعا، إلا بإذن الله ومشيئته، ولاذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد ، فإذا عرف أمير المؤمنين أمري، وعلم سلامة جانبي، وصلاح ناحيتي، وأن الأعداء والحسدة، رموني عنده، بما لست في طريقه، وتقولوا علي الأباطيل الكاذبة، لم يستحل دمي.. وإذا حضر أجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل السموات والأرض، على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم أتعجل الهم، وأتسلف الفكرة والغم، فيما قد فرغ الله منه) [١] .

ثم أعرض الشامي عن منارة، ولم يكلمه، وصرف وقته في التسبيح وقراءة القرآن.

وعندما وصلا إلى الرشيد ساق إليه منارة الحديث من أوله إلى آخره، وكان الغضب يظهر ويتزايد في وجه الرشيد، إلى أن انتهى منارة من حديثه، فأسفر وجه الرشيد وصدّق ظن الرجل بأنه (محسود النعمة مكذوب عليه) وأمر برده ردا جميلاً.

في هذه القصة يستعمل التنوخي كنايات لطيفة، وأوصافا تنطق بتمكن قلمه من تصوير أي حال. فهذا الرجل (لا يؤمن منه فتق لا يمكن رتقه)، و(أزحت علتك في النفقة والزاد والآلات) و (فاسلك البرية) وهي الطريق الصحراوي، لأن القوافل كانت تصعد مع مجرى نهر الفرات حتى تأتي سوريا من الشمال. و(منذ وقوع طرفك عليه) و(طوينا المنازل) أي مراحل السفر، و(تنفيس الناس) و(فوجدت الدار قد ماجت بأهلها موجا شديداً) و (فلما انفتل من محرابه) و (فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي) و (يأمرني بالمصير إلى بابه) و (وعلم سلامة جانبي، وصلاح ناحيتي) و(وما هذا إلا رجل

(١) المصدر السابق، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محسود على النعمة، مكذوب عليه ولقد آذيناه ولعمري لقد أزعجناه،وروعناه) و(رأيت ماء الحياء يدور في وجه الرشيد) و(عمال أمير المؤمنين منصفون، وقد استغنيت بعدله عن مسألته، وأموري منتظمة، وأحوالي مستقيمة، و (احمله من وقتك).

وقد يكون الدس على هذا الأموي باعتباره عربيا من دولة عربية، والسعاية ضد العرب يبدو أنها كانت نشطة في ذلك الزمن. فهذه قصة أخرى منها.

(رفع بعض العمال إلى المعتصم.... أن خالد بن يزيد اقتطع الأموال واحتجن بعضها. فغضب المعتصم وحلف ليأخذ أموال خالد ويعاقبه ، فلجأ خالد إلى أحمد بن أبي دؤاد القاضي، فاحتال حتى جمع بينه وبين خصمه فلم تقم على خالد حجة، فعرف ابن أبي دؤاد المعتصم وشفع إليه في خالد، فلم يشفعه) [١].

وقد استاء ابن أبي دؤاد من موقف المعتصم، فلم يجلس في مكانه المخصص له في مجلس المعتصم. فطلب منه المعتصم أن يرتفع إلى موضعه، فأجاب:(مشفّعا أو غير مشفّع؟.

قال: مشفّعا، وقد وهبت لك خالداً، ورضيت عنه) [٢]

وهكذا استطاع ابن أبي دؤاد بحسن تصرفه أن يخلص خالد الشيباني من مصير مظلم.

(فخرج خالد، والناس منتظرون الايقاع به، فلما رأوه على تلك الحال، سروا، وصاح به رجل:الحمد لله على خلاصك ياسيد العرب. فقال: سيد العرب – والله– ابن أبي دؤاد، الذي طوقني هذه المكرمة التي لا تنفك من عنقي أبداً، لا أنا) [٣].

وقد سمي التنوخي هذه الحادثة بـ (القضية). يقول :(وفي هذه القضية يقول أبو تمام الطائي:-

ياسائلي عن خالد وفعاله رد فأغترف علما بغير رشاء [٤]

(١) الفرج بعد الشدة ج١، ص٦٠-٦١. (٢) الفرج بعد الشدة ج٢، ص٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص٦٢. (٤) المصدر السابق، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك أبيات أخرى. وقد كنى التنوخي عن الافراج عن خالد (بالمكرمة التي لا تنفك عن عنقي أبداً). فقد عبّر عن الحياة بالعنق، لأن العنق إذا أصيب ذهبت الحياة.

وفي موقف نبيل أخر من مواقف أحمد بن أبي دؤاد القاضي. نجده يشير على الواثق باطلاق كتاب من الحبس، كان قد حبسهم محمد بن عبد الملك الزيات . وقد كانوا (أيس ما كنا من الفرج) بتعبير التنوخي.

فدخل عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد القاضي. فقال له الواثق: ياأبا عبد الله - وكان يكنيه - ذهبت مني الدنيا والآخرة.

قال: كلا ياأمير المؤمنين.

قال: بلى، أما الدنيا فقد ذهبت مني بما ترى من حضور الموت، وذهبت مني الآخرة بما أسلفت من عمل القبيح، فهل عندك من دواء؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قد غرك محمد بن عبد الملك الزيات في الكتّاب والعمال، وملأ بهم الحبوس، ولم يحصل من جهتهم على كبير شيء، وهم عدد كثير، ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله تعالى بالدعاء عليك فتأمر باطلاقهم، لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك، فلعل الله أن يهب لك العافية، وعلى كل حال أنت محتاج أن تقل خصومك.

فقال: نعم ما أشرت به، وقّع عني إليه باطلاقهم [١].

ولم يزل ابن أبي دؤاد يسعى حتى أفرج عن الكتاب. أما حال الكتاب المحبوسين، فهم كما قال عنهم التنوخي (أيس ما كنا من الفرج) [٢] و(وقد بلغنا شدة علة الواثق، وأن قد أرجف لا بنه بالخلافة، وكان صبيا فخفنا أن يتم ذلك، فيجعل ابن الزيات الصبي شبحا، ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الأكل) [٣].

وقد استأنف ابن أبي دؤاد مكرمته للكتاب (وهو يستصغر ما فعل، ويقول: هذا أقل حقوقكم) [٤]، برد الأموال التي صودرت واطلاق الضياع، فرجعت عليهم نعمتهم، وبقيت له هذه المكرمة في أعناقهم.

(١، ٢) الفرج بعد الشدة ج٢،ص٦٤.

(٣، ٤) المصدر السابق، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله أيضاً مكرمة أخرى، أوردها القاضي التنوخي، إلا وهي انقاذ أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي.

يقول التنوخي ان أحمد بن أبي دؤاد، دخل على المعتصم يوما فقال له: يا أبا عبد الله، لم يدعني اليوم أبو الحسن الافشين حتى أطلقت يده على القاسم ابن عيسى.

ويصف التنوخي حال أحمد بن أبي دؤاد :(فقمت من بين يديه وما أبصر شيئاً ، خوفاً على أبي دلف، ودخلني أمر عظيم ، وخرجت فركبت دابتي، وسرت أشد سير من الجوسق الى دار الافشين ، أؤمل أن أدرك أبا دلف قبل أن يحدث عليه الافشين حادثة) [١] .

ونرى هنا عقل ابن أبي دلف يعمل بسرعة وفعله يعمل أسرع. يقول التنوخي على لسانه:(فلما وقفت ببابه، كرهت أن أستأذن فيعلم أني قد حضرت بسبب أبي دلف فيعجل عليه، فدخلت على دابتي إلى الموضع الذي كنت أنزل فيه، وأوهمت حاجبه أني قد جئت برسالة المعتصم، ثم نزلت، فرفع الستار، فدخلت فوجدت الافشين في موضعه وأبو دلف مقيد بالحديد بين يديه في نطع، وهو يقّرعه، ويخاطبه بأشد غضب وأعظم مخاطبه) [٢] .

لقد كان موقفا متخاذلا من المعتصم، حتى لم يدعه الافشين إلاّ بعد أن أطلق يده على القاسم بن عيسى. ولكن الله قيض له ابن أبي دؤاد ليخلصه من بين يديه.

ولقد كان لابن أبي دؤاد منزلة وحرمة. فعندما دخل على الافشين: (أمسك فسلمت، وأخذت مجلسي ، ثم قلت للافشين :قد عرفت حرمتي بأمير المؤمنين، وخدمتي اياه، وموضعي عنده، وموقعي من رأيه، وتفرده بالصنيعة عندي والاحسان، وعلمت مع ذلك ميلي اليك، ومحبتي لك، وقد رغبت اليك فيما يرغب فيه مثلي الي مثلك، ممن رفع الله قدره، وأجل خطره، وأعلى همته.

(١، ٢) المصدر السابق، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: كل ما قلت كما قلت، وكل ماأردت فهو مبذول لك خلا هذا الجالس، فإني لا أشفعك فيه [١].

ودار حوار طويل بين ابن أبي دؤاد والافشين وهو ممتنع عن اطلاق سراح أبي دلف. وقد وصف ذلك التنوخي بمقدرته البلاغية الفذة. ولما لم يستجب الافشين لطلب القاضي ابن أبي دؤاد واجهه بما بقي في جعبته من مبررات لاطلاق سراحه، وهوأمر من المعتصم بذلك، ولم يكن المعتصم فعل ذلك، وإنما فعله ابن أبي دؤاد ليبقي على حياة أبي دلف.

ويعجب القارئ من موقف خليفة يسلم أشخاصا أو رجالا لهم وزنهم في الدولة ليقتصوا من بعضهم دون اتباع أسلوب عادل في المحاكمة أو اجراء تحقيق واف في الموضوع.

ويهرع ابن أبي دؤاد إلى المعتصم ليستبق الافشين وليتفق معه على الابقاء على حياة أبي دلف وقد دخل إليه متوسلاً:(ياأمير المؤمنين، أما لي حرمة؟ أما لي ذمام؟ أما لي حق؟ أما في فضل أمير المؤمنين علي، ونعمته عند ي، ما تجب رعايته؟ [٢].

وقد أثمرت مساعي ابن أبي دؤاد وأطلق أبو دلف القاسم بن عيسى.

وفي الحوار الطويل الذي جرى بين الافشين وابن أبي دؤاد تتجلى براعة التنوخي مثل قوله:(إنما أتيتك في مكرمة يبقى لك فضلها، وحسن أحدوثتها، وتعتقد بها منة في عنقي، ولاأزال مرتهنا في شكرها)[٣]، (وركبت وأغذذت السير إلى المعتصم) [٤] و (يمضي قاضي، وصنيعتي أحمد بن أبي دؤاد إلى خيذر، فيخضع له، ويقف ين يديه، ويقبل رأسه، فلا يشفعه؟ قتلني الله إن لم أقتله، يكررها) [٥]. و (إنك بعثت إلي تأمرني أن لا أحدث فيه حدثا) [٦] و (فنهض الافشين مغضبا يدمدم، واتبعته لأتلافاه) [٧].

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ٧١.
(٢) المصدر السابق، ص٧٤.
(٣) المصدر السابق، ج٢،ص ٧٢.
(٤) المصدر السابق، ص٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص٧٤.
(٦) المصدر السابق، ص٧٤.
(٧) المصدر السابق، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون المعتصم قد أخبر ابن أبي دؤاد ليقوم بالدور الذي قام به، وليشعر الافشين بأن العرب مازالت لهم مكانتهم وكلمتهم المسموعة، بعد أن كاد يضيع أبا دلف في بداية الأمر.

ان القاضي التنوخي يبدو معجبا بشخصية ابن أبي دؤاد ، ويعجبه الخلق العربي الصافي أيضاً. ففي حكاية، أخرى يقول أسر أبو سعيد الجنابي القرمطي القائد الذي أرسله المعتضد لقتاله. وبينما كان هذا الأسير في أسر القرمطي، إذ جاءه رسوله: (فأخذ قيوده، وغير ثيابه، وأدخله إليه.فقال له : أتدري لم استدعيتك؟ قلت:لا .

قال:.أنت رجل عربي، ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفرها ولا سيما مع منّي عليك بنفسك. فقلت هو ذاك.

فقال: اني فكرت، فإذا لا طائل في قتلك، وأنا في نفسي رسالة الى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك، فرأيت إطلاقك، وتحميلك إياها فإن حلفت لي أنك تؤديها، سيّرتك إليه. فحلفت له.

فقال: تقول له: يا هذا لم تخرق هيبتك، وتقتل رجالك، وتطمع أعداءك في نفسك، وتتعبها في طلبي، وإنفاذ الجيوش الي، وإنما أنا رجل مقيم في فلاة. لا زرع فيها ولاضرع، ولاغلة، ولابلد، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش والأمن على المهجة، والعز بأطراف الرماح، وما اغتصبتك بلدا كان في يدك، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل، ومع هذا، فوالله لو أنفذت إلي جيشا كله، ما جاز أن تظفربي، ولا تنالني لأني رجل نشأت في هذا القشف، واعتدته أنا ورجالي، ولا مشقة علينا فيه، ونحن في أوطاننا مستتر بحون، وأنت تنفذ جيشك من الخيوش والثلج، والريحان والند، فيجيئون من المسافة البعيدة، والطريق الشاسع، وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، وإنما غرضهم أن يبلوا عذرا في مواقفتنا ساعة، ثم يهربون، وان ثبتوا فإن ما يلحقهم من وعثاء السفر وشدة الجهد، أكبر أعواننا عليهم، فما هو إلاّ أن أحقق عليهم، حتى ينهزموا، وإن استراحوا، فأقاموا، وكان عددا لا قبل لنابه فيهزمونا، لايقدر جيشك على أكثر من ذلك، فأنهزم عنهم مقدار عشرين فرسخا، وأجول في الصحراء شهرا، ثم أكبسهم على غرة، فأقتلهم،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.... وأنا مع هذا خالي الذرع منها، سليم النفس والأصحاب من جميعها، وهيبتك تنخرق في الأطراف عند ملوكها، كلما جرى عليك من هذا شيء، ثم لا تظفر من بلدي بطائل، ولا تصل منه الى مال ولاحال، فإن اخترت بعد هذا محاربتي، فاستخر الله عز وجل، وأنفذ من شئت، وأن أمسكت، فذاك إليك)[١].

ان هذا النص لا يحتاج إلى تعليق كثير، فقد عبر فيه التنوخي عن فكر وفلسفة هذا القرمطي وعن رؤيته للصراع بينه وبين الخليفة، وقد استعمل التنوخي مهارته اللغوية في ايضاح هذه الرؤيا ايضاحا شاملا، مثل :(لم تخرق هيبتك) و(لازرع ولاضرع) (والأمن على المهجة والعز بأطراف الرماح) و (نشأت في هذا القشف) و (أنت تنفذ جيوشك من الخيوش والثلج) و (فما هو إلاّ أن أحقق عليهم) و (أنا مع هذا خالي الذرع) وغير ذلك.

وبعد أن قّص هذا القائد ما قاله القرمطي يقول:(فرأيته يتمعط في جلده غيظا) [٢]. وهذا تعبير آخر من التنوخي يدل على مقدرته الفائقة.

ويخيل للقارىء في كتاب الفرج بعد الشدة، أن جميع العمال والقواد في الدولة العباسية، والوزراء والكتاب كانوا إمّا رهن الاعتقال أو مهددين بالقتل يوما ما، ان لم يكن قد جرى عليهم القتل فعلا، حتى الوكلاء على الضياع وغيرهم ممن يتصلون بالحكام أو العمال، حتى إن أحدهم ليخاطر بنفسه فيرمي نفسه من أعلى قلعة حبس بها، يطلب النجاة:وصاحب هذه القصة اتهمته زوجة ناصر الدولة بخيانة في مالها، فحبسته، ثم أمرت بقتله، ففكر في طريقة يخلص بها نفسه من هذا المصير، فلم يجد إلا أن يطرح نفسه من القلعة إلى أسفلها. يقول :(فتأملت القلعة، فإذا فيها موضع يمكنني أن أطرح نفسي منه إلى أسفلها، إلا أن بينه.وبين الأرض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه.

---

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: فلم أجسر، ثم ولد لي الفكر أن تأملت الثلج قد سقط عدة ليال، وقد غطى تلك الصخور، وصار فوقها منه أمر عظيم ، يجوز إن سقطت عليه، وكان في أجلي تأخير أن تنكسر يدي أو رجلي وأسلم) [١].

وقد نفّذ صاحب هذه القصة فكرته بحياته، يقول :(ففعلت ذلك، فلما سقطت إلى الأرض، وذهب عني أمري، وزال عقلي ثم ثاب إلى عقلي، فلم أجد ما كان ينبغي أن يلحقني من ألم السقطة من ذلك المكان، فأقبلت أجس أعضائي شيئاً شيئا، فأجدها سالمة، وقمت وقعدت وحركت يديَّ ورجليَّ، فوجدت ذلك سليما كله، فحمدت الله على هذه الحال) [٢].

وهكذا أنقذ هذا العامل المغامر نفسه من قتل مؤكد بعد أن جازف اعتمادا على أن الأعمار بيد الله، وقد عنون التنوخي القصة بعنوان (كفى بالأجل حارسا)، فما دام في العمر بقية، يمكن للإنسان أن يجازف ويغامر ويحقق الكثير من الانجاز، ولو لا هذه العقيدة لما حقق المسلمون ما حققوه من انجازات على مدى تاريخهم الطويل.

لقد كان على هذا الهارب أن يجد مخبأ أو ملجأ، يلجأ إليه، طلبا للدفء والأمان، يقول :(فمشيت طويلا، ثم خفت أن يرى أثري من غد في الثلج على المحجة فيطلبوني ويتبعوني، فلا أفوتهم، فعدلت عن المحجة، إلى نهر يقال له الخابور) [٣].

ان الرغبة في الحياة، ومحاولة الآخرين سرقة هذة الحياة بظلم، ودون حق دفعت هذا الشخص لفعل ما فعل، ولو كان جبانا مستسلما لقضي عليه. وربما كان التنوخي معجبا بجرأة هذا المغامر فوصف حاله وصفا جميلا. ومن عبارته الجميلة في هذه القصة:(طرحت نفسي في الموضع) و (ذهب عني أمري، وزال عقلي، ثم ثاب إلى عقلي)، و (طنّ الجبل حتى ظننت أن من في القلعة سيسمعه لعظمه) و (أثري من غد في الثلج على المحجة) و (أنكروني وهمّوا بي).

---

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالإضافة لما ذكرت، فإن معرفة هذا الشخص بالقراءة كانت سببا في دفعه لانقاذ نفسه من موت محقق، فقد وصل الكتاب بالأمر بالقتل إلى القلعة التي حبس بها، ولم يكن بها أحد غيره يعرف القراءة، فدفع إليه ليقرأه، فعرف مابه وأنه المقصود بذلك، فولّد له الفكر إنقاذ نفسه، وقد شاء الله تعالى له معرفة القراءة وطول الأجل ليسلم.

ان الخوف من القتل والتهديد به،طال الخلفاء أيضاً، فهذا الخليفة المعتضد كان في حبس أبيه، وكان مهددا. يقول التنوخي على لسانه:(لما قدم أبي وهو عليل، العلة التي مات فيها وأنا في حبسه، ازداد خوفي على نفسي، ولم أشك في أن اسماعيل ابن بلبل سيحمله على قتلي، أو يحتال بحيلة يسفك فيها دمي، إذا وجد أبي قد ثقل وأيس منه) [١].

ونام المعتضد ليلة وهومن الخوف على أمرعظيم، فرأى في منامه الامام عليا رضي الله عنه، وقال له الامام علي في المنام:(أن هذا الأمر صائر إليك، فاعتضد بالله واحفظني في ولدي) [٢].

لقد فهم المعتضد هذا القول من الامام علي رضي اللع عنه، بأنه موافقة منه على تولي الخلافة دون ولده ومباركة منه، وما دام الجد الأعلى للعلويين قد أبدى الموافقة فلا خوف من غيره اذن، ولذلك قال المعتضد أنه قال له :(واحفظني في ولدي).

ثم يقول المعتضد :(فوثقت بأنني أتقلد الخلافة وقويت نفسي، وزال خوفي، فقلت لغلام معي لم يكن معي في الحبس غيره، إذا أصبحنا فامض فابتع لي خاتما، وانقش على فصه أحمد المعتضد بالله وجئني به) [٣].

ان هذا المنام كان دافعا للمعتضد للاستعداد لتولي الخلافة والتفكير في مسؤولياتها. يقول التنوخي بعد ذلك:(ثم أخذت أقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح أحوال الدنيا، والفكر في تدبير عمارة الخراب منها. ووجه فتح المنغلق، وتعيين العمال للنواحي، والأمراء في البلاد) [٤].

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢١٠. (٢) المصدر السابق، ص ٢١١.

(٣) المصدر السابق، ص٢١١. (٤) المصدر السابق، ص٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ناحية أخرى نجد كثيرا من القصص التي تتحدث عن المنامات في كتاب (الفرج بعد الشدة)، حتى ان التنوخي أفرد لها بابا خاصا سماه(من فارق شدّة إلى الرخاء، بعد بشرى منام، لم يشب صدق تأويله كذب الأحلام).

ان الغيب لا يعلمه إلاّ الله ، وربما كان المعتضد واثقا من اقتراب موت أبيه لاشتداد علته، أما أنه وثق بتولي الخلافة بعد هذا المنام والبدء بتعيين العمال والأمراء للنواحي، فيكون من قبيل إذا تم الأمر فينفذ ما رسم به، وإذا لم ينفذ لم يكن حاجة لذلك.

ان كثرة المنامات التي أوردها التنوخي تلفت النظر وتستوقف القارىء: فهل كانت حقيقة؟ أم أن أصحابها، لجأوا إليها كوسيلة للتبرير أو لتفسير، ما حصل معهم؟ والذي يعضد هذا القول قصة منام بعنوان :(اتخذ من رؤيا ادعى أنه رآها سببا للتخلص من حبس سيف الدولة).

كان صاحب الرؤيا تاجرا، وكان محبوسا في سجن سيف الدولة، وكان معروفا عنه الحذق بالتعبير للرؤيا، وقد سأل سيف الدولة حضور مجلسه.

فسأله سيف الدولة:(لأي شيء سألت الحضور؟ فقال: لعلمي أنه لا بد أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم.

قال: ومن أين علمت ذلك؟

قال: إني رأيت البارحة في منامي. في آخر الليل، رجلا قد سلّم إلي مشطا، وقال لي سرح لحيتك، ففعلت ذلك، فتأولت التسريح، سراحا من شدة واعتقال ، ولكون المنام في آخر الليل،حكمت أن تأويله يصح سريعا) [١].

وبعض المنامات قد يجعلها أصحابها طريقا للاحسان، أو لصلة الأصدقاء، أو المعارف، ممن وقعوا في ضائقة مالية أو معنوية. والقصة التالية تشير إلى ذلك.

---

(١) الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول التنوخي بقلمه الذي يجري كالنبع المتدفق عن رجل أودع عند أبي حسان الزيادي القاضي بدرة دراهم فأخذها، مضمونة. ويقول على لسانه:(وكنت مضيقا، فأسرعت في انفاقها، وكان قد عزم المودع على الحج، ثم بدا له، فعاد يطلبها، فاغتممت وقلت : تعود الي من غد.ثم فزعت إلى الله تعالى، ودعوته، وركبت بغلتي، وأنا لا أدري إلى أين أتوجه) [١] . بهذه الكلمات البسيطة كانت بداية القصة.

وفي الطريق استقبله رجل راكب وقال له: اليك بعثت. فسأله من بعثه، فأجاب: دينار بن عبد الله، فأتاه وهوجالس، وسأله عن حاله، وقال له:(ما نمت الليلة إلاّ أتاني آت فقال: أدرك أبا حسان) [٢] . فحدثه أبو حسان بحديثه، فدعا بعشرين ألف درهم، فدفعها إليه، ورجع.

ويلاحظ هنا ارتباط اسم المحسن بواقع الحال، فهو (دينار)، وطلب منه إدراك أبي حسان.

ان الابتهال إلى الله، وطلب الفرج منه واجب في كل حال. وما من شك أن الله يغيث عباده الصابرين، ولكن بعض هذه القصص، قد تكون ألفت ونسق الخبر، ليبدو كما روى لأسباب تخفى علينا، أو ليظهر صاحب القصة بمظهر المعتنى به، أو ذي كرامات وكثرة الروايات التي روي عن طريقها هذا الخبر تشكك في حقيقته. فقد رويت خمس روايات. واختلف المغيث في بعضها فهو مرة دينار بن عبد الله، ومرة الحسن بن سهل، ومرة الخليفة المأمون.

وقد يكون التنوخي أورد هذا ليظهر عناية الخلفاء والرؤساء، بالقضاة بل الأنبياء أيضاً، فالمأمون رأى الرسول صلى الله عليه وسلم، يحثه على إغاثة الزيادي. وربما يكون لإبعاد الشبهة عن القاضي حتى لاتتكلم فيه الألسن، إذا رؤي غنيا بعد افتقار.

وهذه حكاية أخرى عن قاض آخر، يقول التنوخي: حدثه أبو محمد الأزرق الأنباري التنوخي، عن أخيه، قال:أنه سلك في قافلة كبيرة مسافرا من بغداد إلى دمشق، وغدر خفراء القافلة بها وظاهروا الأعراب عليها، وقطعوا عليها الطريق، واستاقوا الركائب يقول الحسن:(فبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذي كنا عليه بلا جمل، ولازاد ولا دليل، فأيسنا من الحياة) [٣] .

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٢، ص٢٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ساروا ، ووقعوا على حلة أعراب ، وتفرقوا في بيوتها ، ثم حملهم الأعراب بعد ذلك الى دمشق ، فاذا بأهلها قد خرجوا يستقبلونهم ، وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه ، وقد بلغهم خبر القطع ، وفوجيء الأنباري برجل يسأل عنه بكنيته ونسبه ، فتبعه أبو محمد الأنباري . وأضافه الدمشقي ثلاثة أيام وهو يظنه صديقاً لأخيه ، ثم تبين له غير ذلك . يقول : (فورد علي أعجب مورد ، وقلت له : يا هذا ، اني ظننتك صديقاً لأخي ، وأن ما عاملتني به من الجميل من أجله ، فانبسطت اليك بالطلب ، ولو لم أعتقد هذا لا نقبضت فما السبب فيما عاملتني به ؟

فقال : أمر هو أوكد من أمر أخيك ، يجب أن يكون انبساطك اليه أتم .

فقلت : ما هو ؟

قال : ان خبر الوقعة بالقافلة التي كنت فيها ، بلغنا في يوم كذاوكذا ، فما بقي كبير أحد بدمشق ، الاّ وردت عليه مصيبه عظيمه ، اما بذهاب مال ، أو بغم على صديق ، غيري) [١] .

واستمر الدمشقي في الحديث الى أن قال : (فلما كان في الليل ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وهو يقول لي أدرك أبا محمد الأزرق الأنباري ، وأغثه ، وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده ، فلما أصبحت ، خرجت مع الناس ، فسألت عنك ، فكان ما رأيت ، والآن اذكر ما تريده) [٢] .

في هذه القصة أو هذا الخبر ، اشارة واضحة لاختلال الأمن على طريق القوافل ، وفساد نيات الخفراء الذين كانوا يرافقونها بتواطئهم مع الأعراب ضد المسافرين ، ومن ناحية أخرى فان مجيء اسم هذا المغيث الكريم باسم فلان بن فلان الصابوني ، له دلالاته ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يجيء في المنام لاغاثة القاضي أبي محمد الأزرق ، الا لرضاه عنه ، لعفته ونزاهته .

وفي هذه القصة تتوالى بلاغة التنوخي لتظهر جمال اللغة وحيويتها مثل : (فلما حصلنا في أعماق السماوة ، أخفرتنا خفراؤنا ، وجاء

---

(٢٠١) الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص ٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوم من الأعراب فظاهروهم علينا) ، و (الى أن وقعنا في اليوم الثاني علي حلة أعراب ، فأنكرونا) و (فصرنا رفقة صالحة العدد) و (أقمت عنده يومين في خفض عيش) و (وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده) ، و(وجدت حالة قد اختلت) .

لقد أورد التنوخي حكايات منامات خلفاء ، ووزراء وعمال وكتاب. فمن منامات الكتاب ، هذا المنام الذي حكى عنه التنوخي . وهو عن كاتب الديوان بالبصرة ، حيث حبسه الوزير المهلبي ، فرأى في منامه من يشير عليه بطلب دفتر من صديق له فيه دعاء ، وقد فعل ما أشير به عليه (فما مضت الا أيام يسيره ، حتى أخرجه المهلبي من الحبس) [١] .

وصفة الدعاء ، كالآتي : (اللهم أنت أنت ، انقطع الرجاء الا منك ، وخابت الآمال الا فيك ، صل على محمد وآل محمد ، ولا تقطع . اللهم منك رجائي ، ولا رجاء من يرجوك ، في شرق الأرض وغربها ، يا قريباً غير بعيد ، ويا شاهداً لا يغيب ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، وارزقني رزقاً واسعاً ، من حيث لا أحتسب ، انك على كل شيء قدير) [٢] .

ان هذا الدعاء سهل العبارة ، وهو كثير الشبه بكلام التنوخي عندما يسترسل ، ولكننا نتساءل لم يتم ادخال أدعية الرسول في هذه الأخبار والقصص ؟ نحن طبعاً ندرس أدب التنوخي ، ولكنه أورد كثيراً من الشعر لشعراء آخرين غيره ، وقد يكون قد قصد أن الدعاء بأية صيغة يكون مستجاباً .

ومن ناحية أخرى ، فان الاضطراب السياسي والقرارات الآنية كانت سمة من سمات الحكم . فقد يحكم على شخص بالموت في مجلس حكماً فجائياً ، وتصادر أمواله ، ويعتقل ويهان ويعذب ، فأصبحت الأحلام أو المنامات الملجأ الذي يلجأ اليه الناس ، لنسيان الواقع ، رجاء غد أفضل .

وبعض الأحكام العادلة لم يكن يصدر عن قناعة ببراءة المتهم أو لنصاعة صفحته ، بل نتيجة لمنام أو رؤيا .

---

(١) الفرج بعد الشدة ، ج٢ ص٢٦٧. (٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصاحب الشرطة يرى مناماً يرشده ، وآخر كان محبوساً فرأى مناماً ثم أفرج عنه بعده ، وثالث كان مريضاً فشفي بعد رؤيته مناماً حتى الاسكندر، بشر بالفوز بعد رؤيته لمنام .

وأغلب الظن أن التنوخي ، لم يكن يؤمن بهذه القصص كما أسلفت في منام صاحب سيف الدولة . وهذه قصة أخرى توحي بذلك . يقول : (لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسين بن المثنى ، مع جيش أبي القاسم البريدي في أن يقبضوا عليه ، ويحبسوه عند أبي أحمد ، الى أن يرد المطيع لله ، أو جيش له الى البصرة ، فيملكوها ، ويتسلموا منه أبا القاسم البريدي ، وكانت القصة المشهورة في ذلك) [١] .

وقد حاول كاتب أبي أحمد أن يثنيه عن ذلك ، فقال له (اعلم أنني قد رأيت رؤيا أنا بها واثق في تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل) [٢] . يقول الكاتب : (فعجبت في نفسي من رجل يخالف الحزم الظاهر ، والرأي الواضح من أجل منام) (٣) . ثم يقول (فما مضت الا مدة يسيره ، حتى شاع التدبير ، وصح الخبر به عند ابي القاسم البريدي ، فبادر الى القبض على فائق الأعسر ، وكان هو الذي ندبه أبو أحمد للقبض على البريدي وان يكون أمير البلد ، الى ان يرد جيش الخليفة ، فقرره ، فأقر بالخبر على شرحه ،فقبض أبو القاسم على أبي أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثة فاستصفاه وأهله وولده،ثم قتله بعد ذلك بأيام) [٤]

وهذا الخبر يشير ، بوجود محاولة للقبض على البريدي ، المنشق. وهذه معلومة تاريخية جاء بها التنوخي . وقد عبر التنوخي عن مخالفته للايمان بالمنامات بقوله : (فعجبت في نفسي من رجل يخالف الحزم الظاهر والرأي الواضح من أجل منام) . إن تقلب الحوادث ، وصروف الزمان المفاجئة ، تتطلب الحزم الظاهر والرأي الواضح ، في نظر التنوخي .

(١ ، ٢ ، ٣) الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٣١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. وله عبارات جديرة بالانتباه في هذه القصة ، مثل : (وكان لا يحتشمني في أموره) ، و (ثنيته عن هذا الرأي ، وعرفته وجوه الغلط فيه ، والمخاطرة بدمه ونعمته) و (شاع التدبير) وهو كناية عن محاولة الايقاع بالبريدي . و (قرره ، فأقر بالخبر على شرحه) ، وهذه لغة مختارة وعبارات موجزة .

ومن أحوال الضيق والفرج ، يصف التنوخي حال المأمون ، عندما كان بخراسان والحرب قائمة بين جيشه وجيش أخيه الأمين .

يقول التنوخي على لسان المأمون : (كان لي بخراسان يوم عجيب، فأولى الله فيه باحسانه جميلاً . لما توجه طاهر بن الحسين الى علي بن عيسى بن ماهان ، كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي ، وقر في نفوس عسكري جميعاً ، ان طاهر ذاهب ، ولحق أصحابي إضافة شديدة ، وظهرت فيهم خلة عظيمة ونفد ما كان معي ، فلم يبق منه قليل ولا كثير ، وأفضيت الى حال كان أصلح ما فيها الهرب ، فلم أدر الى أين اهرب ، ولا كيف آخذ ، بقيت حائراً متفكراً) [١] .

ثم شغب الجند عليه ،وطلبوا أرزاقهم وأخذوا يتكلمون بكل قبيح . وكان معه الفضل بن سهل فأمر باغلاق الأبواب وقال للمأمون : (قم فاصعد الى المجلس الذي يستشرف فيه ، إشفاقا عليٌ من سرعة دخولهم ، وسرعة أخذهم اياي ، وتعليلا لي بالصعود) [٢] .

ويدور حوار بين المأمون والفضل بن سهل ، فقلت : (القوم يدخلون الساعة ، فيأخذوني ، فلأكون بموضعي ، أصلح .

فقال لي : يا سيدي اصعد ، فوالله ، ما تنزل الا خليفة .

فجعلت أهزأ به ، وأعجب منه ، وأحسب إنه انما قال ما قال ليسمعني .

---

(١) الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٣٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأركنت للهرب من بعض أبواب الدار ، فلم يكن الى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالدار والأبواب كلها .

فألح علي أن أصعد ، فصعدت وأنا وجل ، فجلست في المستشرف ، وأنا أرى العسكر)[١] .

وأخذ الفضل بن سهل يقوي عزيمته ، ويقسم له أنه لن ينزل الا خليفة . ولزيادة الاثارة والتشويق في هذه القصة ، يذكر التنوخي على لسان المأمون : (ثم وضع القوم النار في شوك جمعوه ، وأدنوه من الدار ، ونقبوا في سورها عدة ثقوب ، وثلموا منه قطعة فذهبت نفسي خوفاً ، وجزعاً ، وعلمت أني بين أن احترق ، وبين ان يصلوا الي فيقتلوني ، فهممت بأن ألقي نفسي اليهم ، وقررت أنهم اذا رأوني استحيوا مني ، وأقصروا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني أن لا أفعل ويحلف إني لا أنزل الا خليفة)[٢] .

وبينما هم على تلك الحال بين خوف من الموت حرقاً او قتلاً ، جاءهم البشير بقتل قائد الأمين ، فلما رأى الجند ذلك أمسكوا ، وانقلبوا بالدعاء والسرور بالظفر والفتح .

يقول التنوخي على لسان المأمون : (فأطفأ الله عز وجل النائرة ، ووهب السلامة ، وقلدني الخلافه ، وظفرت من أموال علي بن عيسى بن ماهان وما في عسكره ، بما أصلحنا به أمور جندنا)[٣] .

ان هذا الخبر وشرح هذه الحالة التي وصل اليها المأمون ، من الأخبار النادرة عن تلك الفتنة ، وما كان يمكن أن يدور بخلد أحد، أن المأمون وصل به الحال الى التهديد بالقتل أو الحرق ، وسقطت هيبته في نظر الجند الى تلك الدرجة.

وتشير هذه القصة الى استخدام التنجيم في ذلك الوقت حيث كان الفضل في يده (الاصطرلاب، ينظر فيه الوقت بعد الوقت)[٤] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .
(٣) الفرج بعد الشدة ، ج٢ص ٣٥٤.
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فارتاع وساء ظنه ، وقال لرسول المهدي : (أدخل ، فألبس ثيابي ، فقال : ما الى ذلك سبيل .

فاشتد جزعي ، وخشيت أن يأخذني بما كان بيني وبين ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم .

فاستدعيت ثيابي ، وجددت وضوءا على الباب ، ولم أخبر أهلي بقصتي ولا بماهجم من الغم علي ، وقلت : ان كان خيرا أو شراً ، فسيبلغهم ، فما معنى تعجيل الهم لهم . ومضيت مع الرسول ، حتى دخلت على المهدي وأنا في نهاية الجزع،فسلمت ،فرد السلام .فقلت في نفسي ،ليس الا خيراً) [١] .

ثم جلس الضبي بن يدي المهدي ، فطلب منه أن يخبره عن أمدح بيت قالته العرب ، فأخبره ، فاستبشر بجوابه وقال :(قد أخبرت هؤلاء بهذا، فلم يقبلوا مني [٢] .

ثم طلب المهدي من الضبي أن يحدثه بحديث الأعراب ، فحدثه (الى أن كاد المنادي بالظهر أن ينادي) [٣] ثم سأله عن حاله ودفع اليه مالاً .

وقد أظهر المهدي للضبي أنه يروي الشعر ايضاً ،اذ تمثل بأبيات لابن مطير في مثل حال الضبي .

ونرى هنا التفضيل في الأبيات لدى الخليفة ، فهو يفضل قولا غير الذي اختاره جلساؤه .

ونلحظ على المفضل الضبي عقلية العالم المتأني عن عدم تعجيل الشر والهم ، لأهله . وفي هذه القصة إشارة لشاعر غير معروف وهو ابن مطير . وقد كان معروفا للمهدي وجلسائه ولكنه غير معروف لدينا .

ومن قصص الوفاء للبرامكة قصة رجل حدثت في زمن المأمون . يحدث التنوخي عن المأمون قائلاً : (قال مسرور الكبير : استدعاني المأمون وقال لي : أكثر عليَّ أصحاب أخبار السر ، أن شيخا يأتي خرائب البرامكة ، فيبكي وينتحب طويلا ، ثم ينشد شعرا يرثيهم به ، وينصرف ، فاركب أنت وأيوب الخادم ، والأصمعي ، ودينار بن عبدالله ،واستترا بالجدران ، فإذا جاء

(١) الفرج بعد الشدة ، ج، ص١٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩ . (٣) المصدر السابق ، ص.١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ ، فأمهلاه ، حتى تشاهدا ما يفعل ، وتسمعا ما يقول ، فإذا أراد الانصراف فاقبضا عليه وأتياني به) [١] .

فذهب الجماعة إلى الموضع واختفوا فيه ، بعد أن أبعدوا الدواب . ويصف التنوخي حال الشيخ قائلاً : (فلما كان آخر الليل ، اذا بخادم أسود قد أقبل ، ومعه كرسي حديد ، فطرحه ، وجاء على أثره كهل ، فجلس على الكرسي وتلفت يمينا وشمالاً ، فلم ير أحدا ، فبكى وانتحب ، حتى قلت : قد فارق الدنيا ، وأنشأ يقول :-

أمـا والله لولا خـوف واش وعـين للخليفـه لاتنـام

لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام

ثم بكى طويلاً) [٢] وأنشد ابياتا أخرى لم يذكرها التنوخي بل قال : (لاتدخل في كتابي هذا ، فأرويها) [٣] .

فلما فرغ من إنشاده وبكائه وقام، قبضوا عليه وأخذ للخليفه . فزبره وانتهره ، فأجاب بأن للبرامكة عنده أيادى. وقص على المأمون قصته . ووصفه التنوخي وهو في حال الضيق . فقال :(أنا المنذر بن المغيره الدمشقي ، من ذوي الحسب ، نشأت في ظل نعم قديمة ، فزالت عني ، كما تزول النعم عن الناس ، حتى أفضيت الى بيع مسقط رأسي ورؤوس آبائي ، وأملقت حتى لاغاية ، فأشير علي بقصد البرامكة .

فخرجت من الشام الى بغداد ، ومعي نيف وعشرون امرأه وصبيا وصبية ، فدخلت بهم مدينة السلام ، فأنزلتهم في مسجد) [٤] .

ثم يصف التنوخي كيف قصد هذا الشيخ الى مسجد فيه جماعة من الشيوخ. ثم قصدوا جميعا الى دار يحيى بن خالد البرمكي ، وكان في ا الدار عقد قران لأبناء البرامكة وزعت فيه الدراهم ، ثم انتهى الأمر بالشيخ أن قص قصته على يحيى . فدعا أحد أبنائه وقال له : (يابني هذا رجل من أبناء النعم ، قد رمته الأيام بصروفها ، والنوائب بحتوفها ، فخذه واخلطه بنفسك ، واصطنعه) [٥] .

---

(١) الفرج بعد الشدة ، ج٣ ، ص١٦٦.

(٢) المصدر السابق ،ص ١٦٦.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أخذ الأولاد يتداولونه كل يوم ، واحدا بعد واحد . ثم أسكن هو وعياله في دار فخمة ، ووهب له مبلغا كبيرا من المال وضياع . ثم يقول:(فأقمت مع البرامكة في أخفض عيش ، وأجل حال ، حتى نزلت بهم النازلة .. (فكلما لحقتني نائبة، واشتدت بي بلية ، قصدت دورهم ومنازلهم فبكيتهم ، ورثيتهم ، وشكرتهم ، ودعوت لهم ، على ما كان منهم الي ، وشكوت ما حل بي بعدهم ، فأجد لذلك راحة) [١] .

وأكرمه المأمون ، فاستأنف البكاء ، فقال له المأمون : (ألم أستأنف اليك جميلا فما بكاؤك ؟ فقال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وزدت على كل فضل واحسان ، ولكن هذا من بركة الله ، وبركة البرامكة علي وبقية إحسانهم الي ، فلو لم أت خراباتهم فأبكيهم واندبهم ، حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ، ففعل بي ما فعل ، من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين ؟) [٢] .

لقد انقلب غيظ الخليفة الى اعجاب ، لأن الوفاء من شيم الكرام . والحنين الى الماضي السعيد ، صفة انسانية يشترك فيها البشر جميعا، ومن ناحية اخرى فالدهر لا امان له ، وبالشكر تدوم النعم ، ويبدو أن البرامكة لم يكونوا يشكرون ما حباهم الله من نعم .

ومن حكايات الأدباء ، حكاية الأصمعي مع أحد أفراد مجتمعه المحلي . يقول التنوخي على لسان الأصمعي : (كنت بالبصرة ، أطلب العلم ، وأنا مقل ، وكان علي باب زقاقنا بقال ، اذا خرجت باكرا يقول لي الى أين ؟ فأقول : الى فلان المحدث ، واذا عدت مساء ، يقول لي : من أين ؟ فأقول " من عند فلان الاخباري او اللغوي.

فيقول : يا هذا ، أقبل وصيتي ، أنت شاب ، فلا تضيع نفسك ، واطلب.معاشا يعود عليك نفعه ، وأعطني جميع ما عندك من الكتب ، حتى اطرحها في الدن ، وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة ، وأنبذه ، وأنظر ما يكون منه ، والله ، لو طلبت مني ، بجميع كتبك ، جرزة بقل ، ما أعطيتك .

---

(١)،(٢) الفرج بعد الشدة ج٣، ص١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيضيق صدري بمداومته هذا الكلام ، حتى كنت أخرج من بيتي ليلا ، وأدخله ليلاً ، وحالي في خلال ذلك ، تزداد ضيقاً ، حتى أفضيت الى بيع آجر أساسات دراي ، وبقيت لا أهتدي الى نفقة يومي ، وطال شعري ، وأخلق ثوبي ، واتسخ بدني . فأنا كذلك متحير في أمري ، اذ جاءني خادم للأمير محمد بن سليمان الهاشمي ، فقال : أجب الأمير)[١] .

ولما عرف الأمير حاله المختلة ، أمر له بثياب ونقود وبخور وطعام، ثم حمل اليه وكانت مفاجأة سارة للأصمعي ، عندما أخبره الأمير باختياره اياه ، لتأديب ابن أمير المؤمنين .

ولم يعتمد الأصمعي على حفظه ،بل قال : (سأخرج شيئا من كتبي وأتوجه)[٢] وفي بغداد ، قابل الرشيد ، فقال له : (يا عبد الملك ، قد اخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين ، واعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه ، وثمرة فؤاده ، وهو ذا أسلم اليك ابني محمدا بأمانة الله ، فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه ، فلعله أن يكون للمسلمين امام)[٣] .

وكان الأصمعي اضافة لتعليم الأمين ، يمارس أعمالا أخرى . يقول : (وكنت مع ذلك ، أقضي حوائج الناس ، وآخذ عليها الرغائب ، وأنفذ جميع ما يجتمع لي ، أولا ، فاولا ، الى البصره، فأبني داري ، وأشترى عقارا ، وضياعا)[٤] .

وأقام الأصمعي ، مع الأمين ، حتى قرأ القرآن ،وتفقه في الدين ، وروى الشعر واللغة ، وعلم أيام الناس وأخبارهم .

ثم استعرضه الرشيد ، فأعجب به ، وطلب من الأصمعي أن يحفظه خطبة ليوم الجمعة ، لأنه يريده أن يصلي بالناس ، فحفظه عشرا ، وخرج فصلى بالناس ، والأصمعي معه فأعجب به الرشيد ، و (أخذه نثار الدنانير والدراهم من الخاصة والعامة ، وأتتني الجوائز والصلات من كل ناحية فجمعت مالا عظيما)[٥] . وقد أكرمه الرشيد اكراما زائدا .

(١) الفرج بعد الشدة ج٣، ص١٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .(٥) المصدر السابق ،ص١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأل الأصمعي الرشيد زيارة البصرة ، فأذن له ، وكتب الى عاملها بأن يطالب . الخاصة والعامة بالسلام على الأصمعي ثلاثة أيام واكرامه بعد ذلك.

يقول التنوخي بلسان الأصمعي :(فلما كان اليوم الثالث ، تأملت أصاغر من جاءني ، فاذا البقال .... فقال : كيف أنت يا عبد الملك ؟ فاستضحكت من حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني به الرشيد . وقلت بخير ، وقد قبلت وصيتك ، وجمعت ما عندي من الكتب وطرحتها في الدن ، كما أمرت ، وصببت عليها من الماء للعشرة أربعة ، فخرج ما ترى) (١) .

في هذه القصة يتبين لنا أن العلماء والأدباء ، كانوا بحاجة لمن يرعاهم ، فالذي يقف في حياته على العلم لا وقت لديه ليقوم بعمل آخر ، الا ما أتقنه .

ولقد رأينا ، كيف أن كلمة (تأديب) كانت تستعمل بمعنى التعليم . ومن هذه القصة نعرف أن العلوم التي كان يعنى المؤدب بها هي : إتقان قراءة القرآن الكريم ، والفقه ، ورواية الشعر ، وعلم اللغة ،وعلم أيام الناس وأخبارهم .

ورأينا كيف كان تقدير الخلفاء للعلماء ، تقديراً كبيراً . ورأينا حالتين للأصمعي ، الأولى ما ذكره في أول القصة ، والثانية يقول عنها : (وانحدرت الى البصرة ، وداري قد عمرت ، وضياعي قد كثرت ، ونعمتي قد فشت فما تأخر عني أحد) (٢) .

وفي هذه القصة يخبرنا التنوخي ، عن التفاوت بين أفراد المجتمع الواحد ، في النظر الى العلم والعلماء . فالبقال الجاهل ، الذي على رأس الزقاق ، لم يكن علم الأصمعي عنده يساوي (جرزة بقل) بينما نجد الآخر ، سليل البيت الهاشمي ، ممن يجالس العلماء ، لم يجد تليمذا يليق بالاصمعي الا ابن الخليفه ، فالعلم يرفع من لاعماد له ، والجهل يزري بصاحبه ويقوده الى الحمق.

---

(١)الفرج بعد الشدة ج٣ ، ص١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن معظم قصص الفرج بعد الشدة، كما تقدم ومر بنا، تدور حول حصول الفرج بعد شدة أو محنة، أو ابتلاء.وأفكار التنوخي تدور في معظم هذه القصص،.حول التسليم بقضاء الله وقدره.فما قدره الله لا بد أن يحصل ولا ينفع معه حذر أو بصر.والتسليم بقضاء الله لا يعني الاستكانة،بل الصبر عليه والبحث عما يزيل هذه المحنة، بعد الاتكال على الله تعالى.وهذه الفكرة، كثيراً ما ترددت في قصص الفرج بعد الشدة،ومثال ذلك ، قصة الأعرابية، التي ذهب البرد بزرع لها ، وجاء الناس يعزونها، فهي لم تبك، ولم تفزع، بل صبرت،وابتهلت إلى الله، قائلة:(اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف،وبيدك التعويض عما تلف،فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك،وآمالنا مصروفة إليك)[١].

والشدة، أو المحنة، قد تأتي من ظلم أو عسف ، أو جور.كحاكم يظلم الناس في تعامله معهم ، وكانت هذه الفكرة وراء عدد من القصص، في (الفرج بعد الشدة)منها قصة جور أبي عبد الله الكوفي.وتحمل بعض قصص (الفرج بعد الشدة)ضمناً ما جاء في الشرع من قوانين تمثل تلك الحالة.ففي الكتاب أخبار تقول:إن الأعمار بيد الله ، فمن كان في أجله فسحة، سوف يعيش ، ولو تعرض للمهالك والأهوال. وفيه أخبار تقول :إن الحكم لا يصح إلاّ ببينة، أو أن مخافة الله ، هي المنجي من المهالك، أو إن العفو عند المقدرة، كما في قصة(رسول الله يمن على بني هوازن)، أو أن المرأة عليها أن تطيع زوجها.

وفي كتاب الفرج بعد الشدة، أخبار كثيرة ، عن بعض الخلفاء العباسيين وغيرهم ، وعن أخلاقهم.كالمنصور،والرشيد والمأمون والأمين، وعبد الملك بن مروان، وعمالهم ، وبخاصة عن الحجاج بن يوسف الثقفي.

وبعض أخبار(الفرج بعد الشدة)يقدم معلومات تاريخية، مثل:قتل أبي سلمة الخلال،وخلع المقتدر، وخلع الأمين وعن بعض الفتن التي وقعت آنذاك.

---

(١)الفرج بعد الشدة ج١،ص:١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك أخبار عن بعض عرب الجاهلية،وأخبار عن بعض الوقعات التي حدثت بينهم.وحديث عن عامر بن الطفيل وأخية اربد.وأخبار عن أقوام بادوا ، كقوم سدوم ،وقصص قد تكون من أساطير الشعوب، كقصة الحية.

وفي(الفرج بعد الشدة)، قصص كثيرة ، تبدو صعبة التصديق،مثل :سقوط طفل من قنطرة في نهر،ثم حمل عقاب له والطيران به.وقصة عن شخص قضى ليلة مع أسد والباب مغلق، وقصة ابن التمساح، وغيرها مما هو مبثوث في ثنايا الكتاب.

وفي(الفرج بعد الشدة)، كثير من القصص المتشابهة ، عن قطاع الطرق، وما كانوا يقومون به من خطف النساء واحتجازهن ، والاعتداء على الناس والأموال.

ولم ينس التنوخي، بحكم توجهه الديني كقاض ومتقن لأحكام القرآن والسنة،أن يورد كثيراً من القصص أو الأخبار عن التصدق والصدقات ، للحصول على الأجر والثواب، والحث على ذلك.

وبعضها يشير إلى أن الصدقة، يمكن أن تنجي من المهالك،مهما كانت صغيرة،حتى لو كانت لقمة،كما في قصة(لقمة بلقمة).

وقد أورد التنوخي قصصاً عن التجار الحجاج،حيث كان الوضع آنذاك يحتم على المرء أحياناً ، حمل مبالغ كبيرة من المال،أو جواهر ذات قيمة مادية عالية، وربما كانت القصة تدور حول فقدان هذه الأموال والجواهر بالضياع أو النسيان.وتظهر في هذه القصص عادة حمل النقود ، بوضعها في حزام، وشدها على وسط الجسم ، وهو ما كان يسمى(هميناً).

ويؤكد التنوخي في كثير من قصصه أن الأرزاق مقسومة وأن الله تعالى إذا أذن فيها سهلها ويورد أمثلة على ذلك ، منها قصة ما بقي له غير درهمين ثم جاءه الفرج.

وكذلك يحكي عن من كان ينوي أن يعمل مخلصاً ليكفي نفسه، ولا يضعها بمسألة الناس، فإن الله يعينه، كما في قصة سلمة الأنباري النصراني.وكان المتوكل قد رد إليه، أمور ولده وحرمه،(وجعل إليه قبض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جراياتهُن وأرزاقهن،وإنفاق ذلك عليهن)[١].وقد قال له المتوكل يوماً:(حفظت بك ولدي وحرمي،وأضعت نفسي، وليس لي منك عوض، وقد رددت إليك بيت المال، وخزائن الفرش والكسوة والطيب، وسائر أمور الدار، فتسلم ذلك ، واستخلف عليه من تثق به)[٢].ثم ارتفعت منزلته عند المتوكل، فسلم إليه خاتمه وقال له:(قد رددت إليك ختم ما كنت أختمه بيدي، من غير أن تستأمرني فيه، ليعلم الخاص والعام، أني رفعت منك وزدت في محلك)[٣].

وسمح له المتوكل أخيراً أن يركب حماراً يتخطى به الممرات، كالمتوكل تماماً، (ولم يكن في الدار من يركب غيرهما)[٤].

وقد كان سلمة هذا، في بداية عمره ، فقيراً معدماً ، لا يجد قوت يومه.

ويشير هذا الخبر إلى استخدام غير المسلمين ، إذا أثبتوا إخلاصاً وكفاءة.

وفي قصة محمد بن طغج، الذي ارتفع من جندي فقير ،إلى حاكم لمصر، يلقي التنوخي الضوء على جزء قد يكون غير معروف من حياته في بدايتها عندما كان يعيش في بغداد. فقد كان(شديد الاختلال، ظاهر الفقر، وكان له عدة بنات لا ذكر فيهن)[٥]

وقصة الكاتب ابن الطبري النصراني، الذي قدر الله له الرزق، بعد أن التحق بخدمة المؤيد وأخيه الموفق(الذي اجتذبه إليه وإلى خدمته، ونفق عليه، وانتهى أمره معه إلى أن جعل إليه تربية المعتضد، وأكسبه الأموال الجليلة)[٦].

---

(١)،(٢) الفرج بعد الشدة ج٣،ص:١٠٣.

(٣)،(٤) المصدر السابق ،ص:١٠٤.

(٥)الفرج بعد الشدة ج٣،ص:١٢٠.

(٦)الفرج بعد الشدة ج٣،ص:١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان ابن الطبري قد التحق بخدمة المؤيد ،(بعد أن نفذت نفقته،وانقطعت حيلته، ولم يبق إلا ما عليه من كسوته، فعدم القوت ثلاثة أيام بلياليها، وهو صابر ، خوفاً من أن يبيع ما عليه، فيتعطل عن الحركة)[١].

وقد فطن التنوخي ، إلى أن الضيق والهم ، قد يسببان العلل والأمراض، يقول في خبر عن شخص كان متعطلاً ،ثم تقلد عملاً:(فزالت تلك العلل والأمراض التي كانت حالفتني، ولا أعرف لذلك سبباً غير الفرج)[٢].

وقد ركز التنوخي في كتابه أيضاً على مكارم الأخلاق. وقدم قصصاً كثيرة عن ذلك .ففي(الفرج بعد الشدة)قصص عن العفة والأمانة ، والإصلاح بين الناس، والعفو عند المقدرة، والتسامح، ورد الجميل ، وغير ذلك.

وفي الفرج قصص تبدو غير معقولة ، غير التي أشرت إليها سابقاً، ويقول عنها التنوخي نفسه بأنها ملفقة، كقصة(أبو المغيره،الشاعر يروي خبراً ملفقاً)[٣].

وفي (الفرج بعد الشدة)، كثير من القصص الشعبية ، التي تناقلها الناس لغرابتها وتفردها.كقصة(ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)وقصة (هارباً من الضائقة)،وقصة(سرق ماله بالبصرة واستعاده بواسط)، وقصة المهناة بنت الهيثم الشيباني وغيرها،

ويخبرنا التنوخي في كثير من القصص، عن وجود الأسود بكثرة في العراق في ذلك الوقت . وكثيراً ما كانت تتعرض للمسافرين ، وقد قدم عدة أخبار عن ذلك.

ويوجد في هذا الكتاب، عدد من القصص عن كنوز مدفونة، وجدت بالصدفة. وهنا يشير إلى عادة من عادات أهل ذلك الزمان، وهي دفن المال

---

(١) الفرج بعد الشدة ج٣،ص:١١٧. (٢) المصدر السابق ج٣،ص:٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ج٣،ص:٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأرض ، بعد وضعه في جرار، أو داخل جدار سميك. يقول في قصة عن شخص:(وأودعت بطن الأرض عشرة آلاف دينار)[١].

وفي خبر آخر عن بعض الأشخاص، وقد كان مقيماً في بيت فيه كوة، يقول:(ولما حفرت، أفضى بي الحفر إلى برنية فيها سبعة آلاف دينار)[٢].

وقد كان من عادة الناس التعامل بحوالات نقدية تسمى(سفاتج). وفي كتاب (الفرج بعد الشدة) كما في (النشوار) ، كثير من القصص عن الجواري، وسيطرتهن ، وعن مجالس الشراب، ومجالس الغناء والمغنيات.

وقد ذكر التنوخي ، في كتاب الفرج بعد الشدة، بعض القصص الفارسية واليونانية مما يتناسب مع ما قدمه في ذلك الباب، منها قصة(بين كسرى أبرويز ومغنيه الفلهند).وهذه القصص نقلت من بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربية.

وفي قصة (صاحب المائدة) يريد التنوخي أن يقول إن العقاب يجب أن يكون بقدر الذنب. فقد كان ملك الفرس يريد قتل خادمه لأن نقطة طعام وقعت على ساعده. وعندما عرف الخادم ذلك ، أخذ الغضارة ، فصبها بأسرها على رأس الملك، وقال:(كرهت أن يشيع عنك أنك قتلتني ظلماً ، ففعلت هذا لأستحق القتل، فيزول عنك قبح الأحدوثة بظلم الخدم)[٣] ومن القصص اليوناني،قصة رؤيا للإسكندر تبعها إنتصاره على ملك الفرس.

ومن الرسائل الجميلة في كتاب الفرج بعد الشدة، جزء من كتاب كان قد كتب بمناسبة استيزار ابن الفرات، الوزارة الثانية، وأرسل إلى أصحاب الأطراف . يقول التنوخي :(لما لم يجد أمير المؤمنين بداً منه، ولم يكن بالملك غنى عنه ، انتضاه أمير المؤمنين من غمده، فعاود ما عرف من حده، ودبر الأمور كأن لم يخل منها، وأمضاها كأن لم يزل عنها، اذ كان الحول القلب، المحنك المدرب ، العالم بدرة المال كيف تحلب، ووجوهه من أين تطلب)[٤].

---

(١)الفرج بعد الشدة، ج٢،ص:٣٨٦. (٢)الفرج بعد الشدة ،ج٤،ص:٨٤.

(٣)المصدر السابق، ج١،ص:٣٣٧. (٤)المصدر السابق، ج٢،ص:٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثير من أخبار(الفرج بعد الشدة)، امتزج فيها النثر بالشعر . ومن أجملها، خبر القبض على إبراهيم بن المهدي، وفيها يظهر لنا ابراهيم بن المهدي الشاعر، فقد أنشد المأمون شعراً بعد اعتذاره له عن فعله، نورد منه:

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا فاصفح بحلمك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنه

وقال:

أذنبت ذنباً عظيما وأنت للعفو أهل
فإن عفوت فمنٌّ وإن جزيت فعدل[١]

وبعد أن رد عليه المأمون ماله وضياعه، قال ابراهيم يشكره:

رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فأبت عنك وقد خولتني نعماً هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به والمال، حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عاريّة رجعت إليك لو لم تعر ما كنت لم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
فإن جحدتك ما أوليت من نعم إني لباللؤم أولى منك بالكرم[٢]

وهذه أبيات جميلة رواها التنوخي في قصة رجل رأى مناماً وهو محبوس ثم أطلق:

لا زلت تعلو بك الجدود نعم وحفت بك السعود
أبشر فقد نلت ما تريد يبيد أعداءك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقالوا بل يفعل الله ما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميد واشكر ففي شكرك المزيد[٣]

(١)الفرج بعد الشدة ج٣،ص:٢٣٥. (٢)المصدر السابق ج٣ص:٢٣٧.

(٣)المصدر السابق ج٣،ص:٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بدىء كتاب(الفرج بعد الشدة)بالآيات القرآنية ، وختم بما اختاره التنوخي من ملح الأشعار ، في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار.وجميع هذه الأشعار مقطوعات صغيرة، لشعراء مختلفين،معروفين وغير معروفين، وفيه مقطوعات قليلة من شعر القاضي التنوخي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب المستجاد من فعلات الأجواد.

هذا الكتاب من مؤلفات التنوخي أيضاً. وهوكتاب في أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام.و(المستجاد)فيه تاريخ وكشف عن أخلاق الناس في ذلك الوقت، وأخبار عن مجتمعهم . وهو جزء واحد، وقد عني بنشره وتحقيقه السيد محمد كرد علي.

وقد اقتبس المؤلف حكايات الكتاب ، من مصادر لم ينبه عليها وإنما ذكر السند في بعضها فقط . ومن كتابيه(النشوار) (والفرج بعد الشدة) وقد كان عرض صور الكرماء والكرم هدفه الأول، وقد حقق هذا الهدف، إضافة إلى أشياء أخرى وقد امتزج فيه النثر بالشعر.

قدم التنوخي في هذا الكتاب أخباراً عن الأجواد ،من مختلف العهود التاريخية العربية ، من العصر الجاهلي، والإسلامي، والأموي ، والعباسي. وقد طغت أخبار العصر العباسي على ما سواها. وهذا أمر طبيعي ، فقد كان عمر الدولة العباسية منذ قيامها إلى وقت التنوخي، أطول من عمر الدولة الأموية ، ولذلك زادت أخبار هذه على تلك .

وقد بدىء الكتاب بمقدمة قصيرة ، أشار فيها المؤلف إلى شخص ما طلب منه أن يجمع له من(أخبار الأجواد ، أجودها، ومن فعلات الكرام أسناها وأرشدها)[١].ويقول موجهاً كلامه لذلك الشخص:(أما بعد ، أطال الله في النعمة عمرك ،وحسُّن مع التقى عملك، وبلغك في السلامة أملك ، وختم بالصالحات أجلك،فإنك طلبت مني أن أجمع لك من أخبار الأجواد أجودها..الخ)[٢].

وقد احتوى الكتاب على مائة واثنين وخمسين خبراً. ثم ذيلها

---

(١)،(٢)المستجاد،ص:٩ طبع دمشق ١٩٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(بنكت عجيبة ، من الأجوبة المصيبة، فإنها تستجاد من الأقوال كما استجيد ما قبلها من الأفعال)[١] . وقد بلغ عددها سبعة وستين جواباً .

وقد قال التنوخي عن أخبار المستجاد:(فهذه مائة وخمسون خبراً من أحسن ما سطر، وأفخر ما يذكر وينشر)[٢].ولكن المطبوع يزيد عن ذلك ، ولا شك أن ذلك من دس النساخ بعض الأخبار الزائدة.

وقد بلغ عدد الأخبار من العصر الراشدي، أربعة وعشرين خبراً ، ومن العصر الأموي خمسة وأربعين خبراً، ومن العصر العباسي اثنين وسبعين خبراً بالاضافة إلى سبعة أخبار من العصر الجاهلي ، وخبر من الثقافة اليونانية، وخبر من ثقافة شعب الخزر.

وقد اختلطت الأخبار ، فلم تكن مرتبة تاريخياً، وقد يكون التنوخي قد أوردها كيفما كانت تخطر بباله.

إن الكرم الذي تكلم عنه التنوخي خلق عربي أصيل، وهو بلا شك من مكارم الأخلاق. وقد حث الإسلام على الإنفاق في الصدقات والإحسان إلى الفقراء . وما هذا الكرم في العصرين العباسي والأموي ، إلاّ استمراراً لسنة المسلمين الأوائل ، وفي مقدمتهم نبينا وهادينا، الرسول العظيم محمد صلى اللهر عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم، أمثال أبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف.

لقد كانت تُسمى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، صدقات وإحساناً وبراً بالمؤمنين.

وتتفاوت أخبار هذا الكتاب في الطول ، فبعضها يمتد حتى يصل عدة صفحات ، وبعضها لا يتجاوز السطرين.

وقد بدىء الكتاب بذكر الإمام علي رضوان الله عنه ومبيته مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما اجتمعت قريش علي قتله يفديه بنفسه.وفي هذا الخبر ،وإن كان يشك فيه -لأنه روي بغير سند-يقارن الله تعالى بين ملكين من ملائكته وبين الإمام علي رضي الله عنه .

---

(١)المستجاد،ص:٢٤٤.

(٢)المستجاد،ص:٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما أشرت قد تكون هذه القصة موضوعة، ولكن التنوخي قد أبتدأ بها الكتاب لأن الجود بالنفس ، أقصى غاية الجود.

وقد ثنى هذا الخبر بأخبار ، عن ولدي الإمام علي رضي الله عنه وعنهما، وفيها يظهر سخاء أهل البيت رضي الله عنهم. ومن الأخبار التي قدمها التنوخي ، أخبار عن جماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن سخاء يدهم في الصدقات طلباً لما عند الله من الأجر والثواب. منهم عائشة رضي الله عنها وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله.

إن المحسن التنوخي لم يقصد ، في كتابه (المستجاد)الكرم المادي فقط، بل الكرم المعنوي وهو أعلى قيمة من الكرم المادي. ومن صور هذا الكرم، الخبر الذي يروى عن معاوية بن أبي سفيان ، حيث تذاكر جلساؤه يوماً بحضرته:(أشراف العرب وذوي الوجاهة والبيوت الجليلة، والحسين بن علي رضي الله عنه حاضر . فقال معاوية :من تعرفون أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وعماً وعمة وخالاً وخالة ؟ فقالوا أمير المؤمنين أعلم . فأخذ بيد الحسين بن علي وقال هذا)[١]؟؟

ومن أمثلة الكرم المعنوي، ويقع هنا بمجال التضحية بالنفس من أجل إغاثة ذي حاجة ملهوف ، هذا الخبر الذي رواه التنوخي وقلَّ أن يقع له نظير، يقول الخبر:(حدثت فتنة بمصر فقبض السلطان على جماعة، وكتب رقاعاً فيها القتل، وفيها القطع، وفيها الجلد، فنثرت عليهم ، فمن وقعت له رقعة فعل به ما فيها ، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل، فقال :ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال : في رقعتي الجلد وليس لي أم، فادفع إلي رقعتك، وخذ رقعتي ،ففعلا، فقتل ذلك وجلد هذا)[٢].

وهذا الخبر وإن كان يؤخذ فيه على الحاكم ، أنه لم يحكم بالعدل، فإن الفتى الذي افتدى الآخر بحياته، وجد أن حق رعاية الأم ، أحق من حقه

(١)المستجاد،ص:٩٣.

(٢)المستجاد،ص:٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحياة، وهذا من مكارم الأخلاق وكريم الفعال.

ومن الأخبار الدالة على كرم النفس، ما ذكره التنوخي عن (رجل دخل على سالم بن قتيبة الباهلي يكلمه في حاجة، فوضع نصل سيفه على أصبع سالم ، واتكأ عليه، وجعل يكلمه في حاجته، وقد أدماه ، وسالم صابر . فلما فرغ الرجل من حاجته وخرج، قيل له هلا نحيت رجلك ، أصلحك الله ، أو أمرته برفع سيفه عنه؟ فقال:خشيت أن أقطعه عن حاجته)[١].

ومن الكرم المعنوي أيضاً، ما أورده عن خالد القسري وعبد الحميد بن يحي كاتب مروان بن محمد ، حيث فضل الاثنان الموت على الغدر.

ومما عده التنوخي من كرم النفس ، وأورده في كتابه، ما حدث به عن حذيفة العدوي،وكان في وقعة اليرموك ، حيث أراد أن يسقي ابن عمه ماء، فأشار له بأن يسقي شخصاً آخر كان جريحاً، وهذا بدوره أشار إلى جريح آخر ، فلما ذهب إليه وجده قد مات ، فرجع للجريح الثاني ، فوجده قد مات ، ثم ذهب إلى ابن عمه فوجده قد مات أيضاً.

ولأبي حنيفة خبر يدل على كرم النفس وحفظ حقوق الجار، حيث سجن له جار، وكان أبو حنيفة يسمعه دائماً يغني، فافتقده ، فسأل عنه، فقيل له حبس، فذهب أبو حنيفة إلى الوالي، وسأله إطلاق سراحه، فأطلق الوالي جميع من أسر تلك الليلة .فلما خرج الفتى(دعا به أبو حنيفة سراً، ثم قال له:ألست كنت تغني يا فتى كل ليلة :أضاعوني وأي فتى أضاعوا؟ فهل أضعناك؟فقال:لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك. قال :فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني آنس به ،ولم أر به بأساً)[٢].

ومن هذا الخبر نفهم أن أبا حنيفة لم يكن يحرم الغناء المحتشم.

إن الأخبار الجاهلية ، وإن كانت تعتبر تراثاً يروى ،إلاّ أنها، كما هو معروف ، يشوبها الشك. من ذلك ما يروى عن حاتم الطائي ، أنه نزل بفتى من طيء ، فذبح رأساً من الغنم ، وأطعمه الدماغ، فاستطابه، فجعل الفتى

(١)المستجاد،ص:١٨٠.

(٢)المستجاد،ص:٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذبحها رأساً رأساً ويطعم حاتم الدماغ، حتى أتى على جميعها وعددها عشرة ، وحاتم لا يدري.وهذا طعن في عقل حاتم. وقد عوض الفتى(بثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم)[١]..فقيل له:(أنت إذا أكرم منه، فقال:بل هو أكرم لأنه جاد بكل ما ما يملكه، وإنما جدت بقليل من كثير)[٢].

وهذا الكتاب في مجمله يبرز تأثير الكلمة البليغة، ويظهر قيمتها فكم جمعت من شمل ، وكم أغنت من محتاج. وما إقدام المسلمين الأوائل على توزيع المال، إلا إطاعة لكلام الله وكلام وسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذه عائشة رضي الله عنها تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة:(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :إني رأيت الجنة، فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلونها سعياً، ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا حبواً)[٣].فلما سمع عبد الرحمن بن عوف قولها، وكانت له عير قد قدمت المدينة آنئذ قال:(إن العير وما عليه في سبيل الله، وإن أرقاها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياً)[٤].

وفي كثير من الأخبار يقع الجواب البليغ، أو الشعر الجزل المتين في نفس سامعه ، فتهزه كلماته، وتثير فيه عواطف الرحمة، أو الشفقة، أو النخوة والمروءة ، أو الثأر للكرامة والشرف، أو غير ذلك من العواطف النبيلة.وقد كان الإعجاب بالمنطق الحسن، يدفع سامعه لإكرام القائل بسخاء ورضا.

يقول التنوخي عن غلام صحب عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد إلى منزله. فسأله:(ألك حاجة يا غلام ؟قال:صلاحك وفلاحك، رأيتك تمشي وحدك، فقلت أقيك بنفسي ،وأعوذ بالله أن طار بجناحك مكروه . فأخذ عبد الله بيده، ومشى معه إلى منزله. ثم دعا بألف دينار ، فدفعها إلى الغلام)[٥].

---

(١)،(٢)المستجاد،ص:١٥. (٣)،(٤)المستجاد،ص:٢٠٣.

(٥)المستجاد ،ص:١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه عبر طائفاً بالمدينة أيام

خلافته، فإذا بجارية تبكي وتقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي متمايساً مثل القضيب الناعم

وكأن نور البدر يشبه وجهه يمشي فيصعد في ذؤابة هاشم[١]

واستعلم أبو بكر الصديق عن أمر هذه الجارية ، فعرف أنها مملوكة، فاشتراها وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه،وهو الذي عنته في شعرها وقال:(هؤلاء فتن الرجال، لكم والله أذهبن من كريم ، وعطب عليهن من سليم)[٢].

وفي خبر عن الأصمعي، أنه اجتاز ببعض أحياء العرب، واستسقى، فسقته جارية ، فشكا إليها بخل قومها. فقالت :اسمع مني. ثم طفقت تقول:

خذ من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر

فإنما الناس من زجاج إن لم ترَفقْ به تكسر

فانصرفت بالبيتين،ولهما أحب إلي من مائتي دينار[٣].

وقد التقى بها مرة أخرى ، وقد توفي أخوها. فسألها عنه فقالت:(كان والله يحمل المغارم، ويبتني المكارم، ويدفع العظائم،أسلمه قومه للنوائب، وتركوه للمصائب، فهلك والله ضياعاً، ولم يخلف متاعاً، فقلت لها:يا هذه إن معي ألف دينار حباك بها أمير المؤمنين.فقالت:وصل الله أمير المؤمنين بالكرامة، وأجزل له الثواب في دار المقامة)[٤].

وممن كانوا يقدرون الكلمة،ويعطون عليها العطايا التي لا تصدق، ما روي عن معن بن زائدة ، فقد ذكر القاضي التنوخي ، أن شاعراً أقام مدة بباب معن يريد الدخول عليه، فلم يتهيأ له. فكتب الشاعر بيتاً من الشعر، على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بستان معن.وكان معن جالساً على

(١)،(٢)المستجاد،ص:٢٦.

(٣)،(٤)المستجاد،ص:١٢٢-١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأس الماء ، فبصر بالخشبة وأخذها ، وقرأها، فإذا مكتوب فيها:

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي فمالي إلى معن سواك سبيل

فدعا بالرجل، فقال كيف قلت؟فأنشده البيت، فأمر له بعشر بدر فأخذها.ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فما كان في اليوم الثاني ، اخرجها من تحت البساط وقرأ فيها، فدعا بالرجل، فدفع له مائة ألف أخرى، وكذلك في اليوم الثالث وتوجه الرجل في اليوم الرابع إلى حال سبيله، وطلب في اليوم الرابع، فلم يوجد، فقال معن(حق علي أن أعطيه، حتى لا يبقى في بيت المال درهم ولا دينار)[١].

وهذا خبر آخر عن معن بن زائدة ، مما يدل على تشبث معن بالكلمة البليغة،وتعلقه بها.

(قيل أقام رجل على باب معن مدة لا يصل إليه، فلما طال مقامه، كتب إليه رقعة فيها:

فمافي يديك الخير يا معن كلـــه وفي الأرض أسباب وفيها مذاهب

ستأتي بنات العمر ما أنت صانع إذا فتشت عنـد الإياب الحقائب

ووكل من يوصلها إليه، فلما وصلت إليه وقرأها أمر برده، وقال والله ليفتشن عن خير كثير، وأمر فملئت حقيبته دراهم)[٢].

وقد كان الخلفاء ممن يقدرون القول البليغ والشعر الجميل. وهذا خبر عن الرشيد يقول:قدم على الرشيد أعرابي من باهلة، وأنشده قصيدة. ثم طلب منه الرشيد ان يقول بيتين في ولديه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فأجاب:(يا أمير المؤمنين ، أطلعتني على الوعر القردد،وأزحتني عن السهل الجدجد، روعة الخلافة، وبهر الدرجة ،ونفور القوافي عن البديهة ،فارددني، تتألف لي نوافرهاوتسكن روعتي.قال قد فعلت ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك.فقال يا أمير نفست الخناق، وأرسلت الميدان للسباق، ثم أنشأ

(١)المستجاد،ص:١٧٥.

(٢)المستجاد،ص:١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول:

بنيت بعبد اللـــه ثم محمد ذرى قبة الإسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودهـــا

فقال له الرشيد:وأنت يا أعرابي بارك الله فيك ، فسل ولا تكن مسألتك دون إحسانك.قال :مائة ناقة يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة ناقة وسبع خلع)[١].

ويخبر التنوخي أن يزيداً بن حاتم المهلبي أعطى على قصيدة عشرين ألف دينار وقال:(لو كان في ملكي أكثر من هذا لما احتجبته)[٢].

وفي خبر طريف عن أبي دلف أنه سمع جارية تقول ، هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

فقال أبو دلف:(ما أنصفنا علي بن جبلة، ولا وفيناه حقه)[٣]

وفي المستجاد يخبرنا التنوخي عن شعراء ، جعلوا الكلام وتأثيره في النفوس وسيلة للإستجداء ، أو طريقاً للغنى والثروة، وذلك لأن الأمراء والخلفاء قد عودوا الناس على العطاء الكثير الواسع.

مثال ذلك ، ما روي عن أبي دلامة، حيث (لقي أبا دلف في مصاد له، وهو والي العراق . فأخذ بعنان فرسه، وأنشد:

إني حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد ولتملأن دراهماً حجـــري)[٤]

ومثال آخر عن أعرابي قدم على خالد بن عبد الله القسري. إذ قدم عليه أعرابي فسلم ، وقال:

---

(١)المستجاد،ص:١٩٣. (٢)المستجاد،ص:٢٢٢.

(٣)المستجاد،ص:٢٢٤. (٤)المستجاد،ص:٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رجاءً والسلام)[١] وفي جواب جميل لرجل أحب جارية:(إني والله ذبحت طمعي منها من أول لحظة رأيتها)[٢].

ولقد ورد في هذا الكتاب إشارة إلى الإهتمام بالمرضى النفسيين، أو من كانوا يدعون بالمجانين.[٣]وقد أثبت التنوخي مقطوعات شعرية لنساء وجوار شاعرات ، لم يذكر أسماءهن، وكن يحسن الكتابة والقراءة أيضاً.

وقد احتوى الكتاب على عدد كبير من المقطوعات الشعرية ، بعضها لشعراء مشهورين، وبعضها كما ذكرت آنفاً من شعر جوار أو نساء عربيات ، وبعضها لأعراب كانوا يفدون على الخلفاء والأمراء .وقد كان القسم الأعظم من الشعر مما يناسب موضوع الكتاب وهو الجود ، فكان في المدح، ثم تلاه الغزل والشكوى.

إن الكتاب في مجمله، مجموعة من الطرائف الأدبية ذات اللغة الرفيعة الراقية.ولكن فيه بعض القصص التي لا تخرج عن مفهوم القصة الحديثة

ففيها الحوار والشخوص والصراع والعقدة والحبك المتين.

وقد لا حظنا استعمال المؤلف للسجع في بعض الفقرات، وعزوفه عنه في قصص وأخبار أخر، حيث ترك لنفسه حرية التعبير، فلم يتقيد بطريقة معينة، بل كان يحبك الخبر ويصور القصة، كالمصور البارع الذي يتقن استخدام ريشته ليخرج منها بأجمل اللوحات. وما قصة عكرمة الفياض وهي القصة العشرون في الكتاب، إلاّ أصدق مثل على ذلك .

وقد اعتمد المؤلف على طريقة السند في بعض الأخبار ،ولم يذكر كتاباً معيناً نقل عنه. وفي بعض الأخبار يبدأ الخبر بروي ، أو قيل، أو قال أو حكى، وأغلب الظن أن التنوخي عندما استعمل هذه الطريقة كان يريد لهذه الحكايات أن تروى ويتناقلها الناس، ليضمن لها الشيوع والانتشار،

(١)المستجاد،ص:٢٣٦

(٢)المستجاد،ص:٢٣٠.

(٣)المستجاد،ص:٢٣٠-٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاستمرار ، كما تناقلها الناس من قبل. وهو قد قصد بكتابتها الحث على مكارم الأخلاق جميعها، وإن كان عنوان الكتاب لا يوحي بذلك . فقد رأينا كيف تضمن قصصاً عن الوفاء، والشجاعة والإيثار، والبر بالوالدين وحفظ حقوق الجار والصديق، وإكرام العلماء والأدباء ،والرفق بالضعفاء والمحتاجين، وحفظ حق ذوي النسب والشرف والأرحام.

ومن ناحية أخرى فقد ألحق التنوخي بهذه الأخبار ، مجموعة من الأجوبة العجيبة وقال عنها:(إنها تستجاد من الأقوال،كما استجيد ما قبلها من الأفعال)[١]وهذه الأجوبة لم تصدر إلاّ ممن كان جريئاً مقداماً ، أو ذي بديهة وذكاء وامتلاك للغة.

من هذه الأجوبة مثلاً:(حدث الأصمعي قال:لقيت أعرابياً نظيف الثياب حسن الوجه في بعض البادية، فقلت يا أعرابي من أين تأكل؟فقال لي: لو اتكلت على أن آكل من حيث أعلم لطال جوعي)[٢].و(قال رجل للأحنف:أخبرني الثقة عنك بسوء . قال الثقة لا ينم)[٣].و(دخل معن بن زائدة على المنصور فأسرع في المشي، وقارب الخطو.فقال له المنصور:كبرت سنك يا معن. فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين. فقال وانك مع ذلك لجلِد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين.

قال :وإن فيك لبقية.قال:هي لك يا أمير المؤمنين)[٤].

(وتكلم رجل بين يدي المأمون ،ثم قال أأسكت يا أمير المؤمنين؟ فقال وهل تكلمت؟)[٥].

إن هذه الأجوبة تحتوي على قواعد في آداب السلوك وحسن التصرف وعلى أمور تربوية وتهذيبية، بالإضافة إلى الفائدة الأدبية.

وقد احتوى بعضها على نقد أدبي، كما في الخبر السادس عشر وبعضها على نقد اجتماعي كما في الخبر السابع والخمسين وهذه الأجوبة

(١)المستجاد،ص:٢٤٤. (٢)المستجاد،ص:٢٤٧.

(٣)المستجاد،ص:٢٥٠. (٤)المستجاد،ص:٢٥٢.

(٥)المستجاد،ص:٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ممثلة لمختلف أنواع الناس فهي تمثل الحاكم، والمحكوم ،وأكابر الناس،وأصاغرهم ، ورجالهم، ونساءهم ،وصغيرهم، وكبيرهم ،وعالمهم وجاهلهم ،وتنطق عن أحوالهم في الشدة والرخاء، وفي الصحة والمرض، وفي الموت والحياة، وفي الرضا الغضب، والطاعة والعصيان،وفيها نرى اللقاءات بين الحكام، ونسمع الإجابات العفوية، كما حدث بين الحجاج وأحد الأعراب.

ومن هذه الأقوال نعلم أن بعض النساء كن يحضرن مجالس الولاة،كما في الخبر الثالث عشر ، وقد كان للنساء منزلة كبيرة، حتى أن المأمون ذهب بنفسه إلى أم الفضل بن سهل ليعزيها في ابنها.

ومن الخبر الخامس والستين، يتبين لنا أن الفصاحة يمكن أن تعلم بالفطرة وبالسماع. يذكر الخبر أن(المأمون انفرد عن عسكره، فمرَّ بحي من أحياء العرب،فنظر إلى صبي قائم يملأ قربة وهو يصيح:يا أبت أدرك فاها، فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها. فعجب المأمون من فصاحته على صغره)[١].

وقد مزج المؤلف ببعض هذه الأقوال الشعر بالنثر كما هي طريقته في التأليف، وظهرت لغة التنوخي الرفيعة، وكلماته المنتقاة وإن دخل بعضها السجع ، كما في جواب أبي العيناء للمتوكل(يمنعني من ذلك قلة يساري، ومنة العواري، وذلة المكاري)[٢].

---

(١)المستجاد،ص:٢٦٢. (٢)المستجاد،ص:٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر التنوخي:

لقد وصف القدماء القاضي المحسن التنوخي بقولهم (وكان أديباً شاعراً)[١].وقال الثعالبي:(أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان، أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه)[٢].وهذا يخبرنا أن التنوخي كان يتعاطى نظم الشعر كثيراً ، حتى أنه جمع له ديوان منه ، لكن هذا الديوان لم يصل ألى أيدينا، وما لدينا من شعره لا يتجاوز المقطوعات المعدودة الأبيات.

ومن مطالعة هذه المقطوعات، نجد أن التنوخي كان يميل إلى النظم في الأغراض المعروفة للشعراء في عصره ، وفي مواضيع غير معتادة. وفي هذه المقطوعات نجد الغزل، والافتخار، والتهاني ، والشكوى من الزمان، والحث على الصبر ، والحكمة، والتعزي من المصائب والمدح.

فمن شعره الغزلي:

(لم أنس شمس الضحى تطالعني ونحن في روضة على فرق
وجفن عيني بمائه شرق وقد بدت في معصفر شرق
كأنه دمعتي ووجنتها حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلاً كالشمس غابت في حمرة الشفق)[٣]

ومن شعره الغزلي أيضاً:

قل للمليحة في الخمار المذهب أفسدت نسك أخي التقي المترهب
نور الخمار ونور وجهك تحته عجباً لوجهك كيف لم يتلهب

---

(١)تاريخ بغداد ،ج١٣،ص:١٥٥.مرآة الجنان،ج٢،ص:٤١٩.تاج التراجم في طبقات الحنفية،ص:٧٥.

(٢)يتيمة الدهر،ج٢،ص:٤٠٥.

(٣)نشوار المحاضرة،ج٧،ص:١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيهما من مذهب

فإذا بدت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي)[١]

ومن شعره الغزلي أيضاً ، وقد قال عنه الثعالبي(وأنا مرتاب به لفرط جودته، وارتفاعه عن طبقته.

أقول لها والحي قد فطنوا بنا ومالي على أيدي المنون براح

لما ساءني أن وحشّتني سيوفهم وأنك لي دون الوشاح وشاح[٢]

ومن شعره في التهاني ، قوله يهنيء أحد الرؤساء بشهر رمضان:

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الإلـــه مـــا تتقيـــه

أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه[٣]

ومن شعره في الاستسقاء ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه:

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه وقد كاد صوب الغيم أن يبلغ الأرضا

فلما ابتدا يدعو تقشعت السما فما تم إلا والغمام قد انفضـــا[٤]

وفي الافتخار يقول:

لئن أشمت الأعداء صرفي ومحنتي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد

مقام وترحال وقبض وبسطـــة كذا عادة الدنيا وأخلاقهـا النكد

وما زلت جلداً في الملمات قبلهـا ولا غرو في الأحيان أن يغلب الجلد

فكم ليث غاب شردتـه ثعالـب وكم من حسام فله غيلة غمـــد[٥]

ومن شعره يصف المشتري والمريخ:

كأنما المريخ والمشتـــري قدامه في شامخ الرفعـة

منصرف بالليل في ظلمة قد أسرجوا قدامه شمعة[٦]

---

(١)يتيمة الدهر،ج٢،ص:٤٠٦. (٢)يتيمة الدهر،ج٢،ص:٤٠٦.

(٣)المرجع السابق والصفحة والجزء. (٤)معجم الأدباء،ج١٧،ص:٩٤.

(٥) الفرج بعد الشدة،ج٥،ص:٥١. (٦)نشوار المحاضرة،ج٦،ص:٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر في معجم الأدباء أن التنوخي كان يوماً بمجلس عضد الدولة، فطلب إليه أن يعمل شعراً في لحن، ففعل، ثم أتمها التنوخي قصيدة مدح بها عضد الدولة يقول في ذلك:(وأما أبياتي فإني تممتها قصيدة ومدحته بها وهي مثبتة في ديوان شعري)[١].

وأغلب الظن أن التنوخي قد مدح رؤساء آخرين غير عضد الدولة ما دام قد ترك ديوان شعر كبير.

وله في وصف مجلس:

يوم سرقنا العيش فيه خلسة ... في مجلس بفناء دجلة مفرد

رق الهواء برقة قدامه ... فغدوت رقاً للزمان المسعد

فكأن دجلة طيلسان أبيض ... والجسر فيها كالطراز الأسود[٢]

ومن شعره في المحن التي تعرض لها:

لئن عداني عنك الدهر يا أملي ... وسل جسمي بالأسقام والعلل

وشت شمل تصافينا وإلفتنا ... فالدهر ذو غير والدهر ذو دول

فالحمد لله حمد الصابرين على ... ما ساء من حادث يوهي قوي الأمل[٣]

وله أيضاً

أعيا دواي أساته ودواءهم ... فغدوت لا أرجو سوى المتطول

رب عليه في الأمور توكلي ... هو عدتي في النائبات وموئلي

سيتيح مما قد أقاسي فرجة ... فيغيثني منه بحسن التفضل[٤]

وله في ذلك أيضاً:

هون على قلبك الهموم فكم ... قاسيت هماً أدى إلى فرح

ما الشر من حيث تتقيه ولا ... كل مخوف مفض إلى ترح[٥]

---

(١)معجم الأدباء،ج١٧،ص:١٠٢. (٢)نشوار المحاضرة،ج٥،ص:٤٩.

(٣)الفرج بعد الشدة،ج٥،ص:٤٩. (٤)الفرج بعد الشدة،ج٥،ص٥١.

(٥)الفرج بعد الشدة،ج٥،ص:٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا أمعنا النظر في شعر التنوخي، نجد أن أبيات الغزل لم يتجاوز فيها التشبيهات التقليدية . فالمرأه عنده كالشمس، وخدودها كحمرة الشفق، وقد استعمل الجناس في الأبيات كما في شرق وشرق ومذهبين وذهب ومذهب واذهبي ولا تذهبي.واستعمال الطباق في قوله :

(مقام وترحال وقبض وبسطة).والأبيات التي صرح الثعالبي بالشك في نسبتها للتنوخي ، فقد يشك في نسبتها من منطلق أن المؤلف قاض كبير، ومن غير المتوقع أن يقول غزلاً بهذا المعنى يتعرض فيه لضرب السيوف، فهو غزل لا يصح أن يصدر عن قاض محترم. هذا مع

أنه ليس بالضرورة أن يكون كل غزل كما رواه الشاعر.

إن الأبيات الشعرية التي لدينا من شعر التنوخي تنبيء، أنه من الطبقة الوسطى من الشعراء وقد يكون سبق إلى معان لم يتعرض لها شعراء آخرون،كما رأينا في شعر الاستسقاء وشعر التهاني.

أما شعره في المحن التي تعرض لها ، فهو لا يرقى إلى الشعر البليغ القوي ومعظمه، كما رأينا ، كالكلام العادي، إلاّ أنه موزون ومقفى.

والأبيات الشعرية في الافتخار جميلة وقوية، إلا أن تشبيهاتها تقليدية، لكنها غير متكلفة.

ومن ناحية أخرى فإن في (المستجاد)بعض الأغلاط التي لم ينتبه لها المحقق. من ذلك في القصة رقم ستة وستين ذكر ما يلي:(قال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي مؤلف كتاب «الفرج بعد الشدة»).وهذا خطأ،فالمؤلف هو والده وكذلك في القصة السابعة والعشرين(قال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي :حدثني أبو الفرج الأصبهاني من حفظه)،مع أن أبا الفرج الأصبهاني توفي في السنة ثلاثمائة وست وخمسين ، والقاضي أبو القاسم علي بن محسن التنوخي،ولد في ثلاثمائة وخمس وستين. وكذلك في القصة رقم تسع وستين يقول:(حدث القاضي أبو القاسم بن علي بن المحسن بن علي التنوخي في كتاب«الفرج بعد الشدة»).حدثني أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني).وفي القصة رقم أربع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسبعين ،يقول حدث القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي في كتابه قال:حدثني الصولي، مع أن الصولي توفي سنة ثلاثمائة وخمس وثلاثين.

وهناك أخطاء في المستجاد وقد تكون أخطاء مطبعية أو من عمل النساخ. من ذلك . جاء في الصفحة الثامنة عشره (وصر إليّ فترضيني)والأصح(فترضني).وفي الصفحة الثانية والعشرين جاء:(فقلت:مزنة!ما أتاك)والصحيح(ما أتى بك).وفي الصفحة الثامنة والعشرين (ارتابت لذلك ، فشقت جيبها)والمفروض:(فارتابت بذلك).

وجاء في الصفحة الأربعين(إلى أن رأيت أوائل عسكره مقبل من مصر)والصواب(مقبلاً)و(مقبلة)على الحالية.

وفي الصفحة السادسة والأربعين(ليلزمه من زمامك ما يؤدي به)والأصح(من ذمامك).وفي الصفحة السادسة والخمسين جاء(ما اسماها وما كناها)؟،والصواب(ما أسماؤهما وما كناهما).

وفي الصفحة الرابعة والسبعين(كان ابراهيم ابن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالري)والصواب(بالحضرة)وكذلك الحال في قوله في الصفحة الخامسة والسبعين(ولما دخل المأمون الري)والصواب:(الحضرة).

وفي الصفحة خمس وأربعين ومائة (قل لجاريتك تغني لنا صوتاً)والصواب(تغن)

وفي الصفحة تسع وسبعين ومائة(إن أهلي علموا بموضعك فتوقوا فيما أنفذوه إليك)والصحيح (فتنوقوا)من التنوق وهو مقلوب التأنق،ومقتضى الحال لا يجيز غير ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب التنوخي:

إن التنوخي من كتاب القرن الرابع الهجري، كما أشرنا من قبل ، وفي هذا العصر تنوعت موضوعات الكتابة وتعددت،فاختلفت الأساليب تبعاً لذلك ، علي الرغم من وجود صفات مشتركة بين أساليب بعض الكتاب.

وكتب التنوخي التي احتوتها الدراسة، كتب أدبية، وقد نبه المؤلف في مقدمة كتبه علي طريقته في التأليف .فبالنسبة لكتاب (نشوار المحاضرة)يقول:(فأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سالفاً، مختلطاً بما سمعته آنفاً، من غير أن أجعله أبواباً مبوبة، ولا أصنفه أنواعاً مرتبة)[١].ومن هذا يتبين لنا ، عدم اتباع التنوخي طريقة الأبواب في تصنيف كتابه وهذا خروج عما اعتاده الكتاب في هذا العصر من اعتماد التقسيم والتبويب في معظم كتبهم. أما كتاب (الفرج بعد الشدة)،فقد قسمه المؤلف أبواباً، وأعطى كل باب اسماً على شكل جمل مسجوعة.وأما كتاب«المستجاد»، فهو لم يتبع فيه تسلسلاً تاريخياً أو مادياً أو معنوياً ، وإنما أورده كيفما اتفق.

وقد برر عدم اتباعه طريقة التصنيف والتبويب بقوله:(والفصول إن رتبت على الأبواب، وجب أن توصل بما تقدم من أشباهها، وتردد في الكتب من أمثالها)[٢].وقد صرح بأن كتاب(نشوار المحاضرة)جمع فيه الأخبار التي تلقطها(من الأفواه دون الأوراق)[٣].

وينبه التنوخي ، على أن ليست الفائدة فيها التنويع، ولا المغزى التأليف، بل(لعل كثيراً مما فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل، واختلاطها أطيب في الآذان، وأخف على

على القلوب والأذهان وأوصل)[٤].

---

(١)نشوار المحاضرة،ج١،ص:١٢. (٢)المرجع السابق والصفحة.

(٣)المرجع السابق والصفحة. (٤)نشوار المحاضرة،ص:١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا النص تتضح سمة من سمات أسلوب التنوخي في بعض كتبه، وهو كتاب النشزار ، ألا وهي سمة المزج أو الخلط بين أخبار مختلفة، لا علاقة بينها ولا جامع. فهو ينتقل من الحديث عن وزير، ثم يتحدث عن عامل ثم ينتقل للحديث عن تاجر وهكذا.

وقد اعتمد المزج بين الشعر والنثر في كتبه الثلاثة ، فكانت خليطاً من الشعر والنثر، ولكنه في القسم الأخير من كتاب الفرج بعد الشدة، اقتصر على رواية بعض المقطوعات الشعرية ولم يمزجها بأخبار أو حكايات نثرية.

كذلك تناول الخلط بين مواضيع القصص، فكان فيها قصص من ثقافات الأمم الأخرى ، كالهندية والفارسية واليوناينة، وهذا يشير إلى إطلاع المؤلف على مختلف الثقافات في عصره التي ترجمت آنذاك.

وصفة المزج بين الشعر والنثر، صفة مشتركة بين التنوخي ومؤلفي عصره.أو هي سمة سادت التأليف منذ الجاحظ.

وقد إتبع التنوخي ،في معظم أخباره ، طريقة الإسناد في مستهل رواية الخبر، ولجأ أيضاً إلى صيغة الفعل المبني للمجهول في (المستجاد)مثل قيل وروي.

ومن السمات البارزه بوضوح في كتب التنوخي الثلاثة ، استعمال الحوار، في سرد الخبر أو القصة. وقد استعمله التنوخي بكثرة، وكأنما أراد التنوخي أن تعود لغة الحوار العربية ، فصيحة سليمة،فملأ بها صفحات كتبه. والحوار يجعلها تنبض بالحياة ، وهو الخيط الذي يربط هذه اللغة ببعضها .

وقد اتبع التنوخي أسلوب (الواقعية)في الكتابة، فهو يروي الأخبار كما سمعها ، أو كما هي على حقيقتها. وقد أدى به التشبث الشديد بالحقيقة ، إلى ذكر كلمات وعبارات، تخرج عن نطاق الذوق والحياء، وكان يجدر به وهو القاضي المتدين ، أن يتجنب ذلك.

إن لغة الكتابة، عند التنوخي سهلة منقادة ، وعباراته بسيطة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوية ومؤثرة. فهي تجذب القارىء إلى أن يمضي معها إلى النهاية.

وقد اعتمد التنوخي الواقعية في سرد الأخبار والحكايات، وهذا الاعتماد جعله يبتعد عن الاستعانة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات ، إلا ما جاء عفو الخاطر، وكان الغرض منه تمثيل الواقع . وقد تمر الصفحات تلو الصفحات ، فلا نعثر فيها على استعارة أو كناية، فإذا وجدناها، نراها لا تبعد عن الواقع كثيراً. مثل قوله عن رجل غني:(أي بيت مال يمشي على وجه الأرض؟ألفا ألف دينار تمشي وليس لها من يأخذها)[١].وقوله :(إنما أنت الدنيا ونحن طرق إليك)[٢].

وكذلك اعتمد التنوخي في كتابته الجمل القصيرة، ويشمل هذا جميع كتبه،وامتلاكه للغة ، مكنه من استعمال مفردات لا نستعملها في وقتنا الحاضر، مثل (شقص)وتعني القطعة من الشيء أو الأرض يقول:(وإنما أملاكنا شقص يسير من الأرض)[٣]وكلمة(جريدة) تعني قائمة أعداد أو أسماء ، وكلمة (سلامة)بمعنى سذاجة، وكلمة(فاتشه)بمعنى(أخبره) وكلمة(يسنفون البناء)أي يعنون بظاهره فقط.وكلمة (يفش الأقفال)أي يكسرها أو يفتحها و(كانت لا تليق شيئاً)أي لا تمسك، و(وتأثلت حالي)أي تحسنت وقويت و(يصححها)أي يقوم بسدادها ،و(تكشف بأدائها)أي افتقر، (واعتقدت به ضيعة)أي(اشتريت)،وبلغ الرجل(السكاك)أي (عنان السماء)و(وقام للناس)أي أفلس وغير ذلك كثير.

ولم يتعرض التنوخي لأفكار فلسفية أو منطقية، رغم أن عصره كان عصر الإنتاج الذهبي لمختلف العلوم ، وعلى الرغم مما ذكر عن ميله للاعتزال ، وذلك بقوله عن أحد الأشخاص(وكان من أصحابنا في المذهبين، يعني الفقه مذهب أبي حنيفة،وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد)[٤]،وقوله(كان اسماعيل الصفار البصري،أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة)[٥].

(١)نشوار المحاضرة،ج١،ص:٣١. (٢)الفرج بعد الشدة،ج١،ص:١٦٩.

(٣)نشوار المحاضرة،ج١ص:٦٥. (٤)نشوار المحاضرة،ج١،ص:٩٥.

(٥)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك لم يتعرض للجدل والمجادلات في قصصه،ولذا ، فقد آثر السهولة والوضوح، مع بقاء الرصانة والجزالة في معظم كتابته. وهو يعطي لكل معنى يقصده، اللفظ الدال عليه.

إن كثيراً من أخبار التنوخي وقصصه، إنما هي ترجمة لحوادث شعبية قد تتكرر في كل زمن ، وإنما أضفى عليها من مقدرته البلاغية وقوته التعبيرية ما جعلها في مصاف الحكايات الراقية والأدب الراقي وما جعلها تستأثر باهتمام القارىء.ولكنه في الرسائل إلى الرؤساء، نراه يتأنق في ألفاظه وعباراته بحيث يرتفع إلى مرتبة الجاحظ وابن المقفع.

والتنوخي عندما يصف حالة ما ، أو موقفاً ما، يعطيه حقه من الوصف والإيضاح ، دون تهويل أو مبالغة ، وقد مر معنا نماذج من ذلك ، ونضيف لها نماذج أخرى.يقول التنوخي عن عاملين للمتوكل في الأهواز:(وكانا يتوازيان في المرتبة السلطانية ، فلا يذهبالقاضي إلى الرخجي إلا بعد أن يجيئه ،ويتشاحان على التعظيم ، فلا يذهب .وترد كتب الخليفة إليهما بخطاب واحد. وتولدت من ذلك عداوة بينهما، فكان الرخجي يكتب في القاضي إلى المتوكل فلا يلتفت إلى كتبه، لعظم محله عند المتوكل، ويبلغ ذلك القاضي، فيقل الحفل به ويظهر الزيادة في التعاظم عليه)[١].

في هذه الفقرة وصف لنا التنوخي منحى تفكير كل من الرجلين ، وتعالي أحدهما على الآخر بالعبارة البسيطة المعبرة.

وكذلك قوله:(كان أبو الحسن ، علي بن عيسى، شديد الإعظام لصناعة الكتابة، شحيحاً على محله منها، غير مسامح لشيء يعاب به مهما صغر فيها.)[٢].

وكان التنوخي يدقق في اختيار ألفاظه وليس سهلاً، أن نحل لفظاً مكان لفظ، فقد كان ينتقي ألفاظه لتناسب الموضوع والفكرة ، ونجدالإبهام

(١)النشوار ،ج٢،ص:١٢.

(٢)النشوار ،ج٢،ص:٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقع في الجملة كما في الجملة التالية التي أخطأ النساخ بها:(وإنما يلحق الآن الضرر من المعارف، ومن يقع عليه اسم الإخوان، وذلك أنهم يطالبون في المودة بما لا يفعلون مثله ، فإن أسدى إليهم إحساناً، عرف طبعه فهي العداوة الثقيلة)[١].ففي الجملة الأخيرة يقع الإبهام ، حيث أن النساخ لا شك أبدلوا هذه الكلمات بالكلمات الأصلية.ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد الكلمة المناسبة للاستبدال إذا شاء من شاء ذلك، ولكنها ستبدو ونافرة في موضعها لأنها ليست بقلم المؤلف.

والاستطراد عند التنوخي من الأمور الظاهرة ،في كتابته . فهو ينتقل من خبر إلى خبر، أو من قصة إلى قصة ، دون أن يجمع بينهما جامع أو رابط، وقد جرّه هذا إلى سرد كثير من الأخبار التي لا قيمة لها. ولعل هذه الفوضى المتعمدة في التأليف ، كانت نتيجة سيطرة القلق والخوف من التقلبات السياسية التي كانت سائدة .

ويغلب على الظن ،أن التنوخي اطلع على مجموعة قصص ألف ليلة وليلة،وعلى قصص الأسمار التي انتشرت في ذلك الوقت ، وقد يكون اطلع على كتب باللغة الفارسية، فهو قد صرح في النشوار بأنه كان يعرف الفارسية، حيث يقول عن عضد الدولة أنه كان يخاطب أحد جلسائه بالفارسية،وهو يظن أن التنوخي لا يعرفها. يقول التنوخي:(فقال له بالفارسية:وعنده أنني لا أعرفها:هؤلاء البغداديون مفتونون، ومفسدون،ومتسوقون)[٢].

كذلك لا بد ان التنوخي كان مطلعاً على كثير من المؤلفات الأدبية وغيرها لأنه صرح في المقدمة(أنها ما سبقت إلى كتب مثله)[٣].

فإذا كان التنوخي قد اطلع على ألف ليلة وليلة ، وما امتزج فيه من قصص الخيال بالواقع ، والشعر بالنثر، وما تعرضه الحكايات عن المجتمع

---

(١)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:٢٥٣.

(٢)نشوار المحاضرة،ج٤،ص:٩٧.

(٣)نشوار المحاضرة،ص:١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسي بجميع فئاته، مما أوحى له بالكتابة على نمطه، ولكن بقصص من الواقع التاريخي والاجتماعي، مما تداولته الألسنه ، ودار في المجالس فيكون قد اتخذ من الرقم سبيلاً لاستزادة الأخبار، فجاءت أخباره بما يزيد عن الرقم ألف ، ونحن نلاحظ التعداد لديه في كتاب «المستجاد»مما يعزز هذا القول.بل إن هناك قصصاً مروية في النشوار والمستجاد والفرج بعد الشدة ومذكورة أيضاً في مجموعة ألف ليلة وليلة.

ومما يعزز الظن بأن التنوخي قصد الكثرة والاستزادة،أن«الفرج بعد الشدة»احتوى كثيراً من القصص المتشابهة.ومن أراد أن يتعزى عن مصيبة أو محنة لا يحتاج إلى مئات القصص والأخبار لذلك.

ومن كان قوي الإيمان ،حسبه قصص الأنبياء والرسل، وما ابتلوا به وما امتحنوا به ، ولكنه فضل التكرار والزيادة ليضمن الرواج والانتشار.وقد تجنب التنوخي في كتبه، إظهار أية عواطف، أو انفعالات أو تقديم أي تعليق ، إلا فيما ندر، فكان ناقلاً للقصة أو الخبر فحسب،وترك للقارىء ، أن يقدح ذهنه، فيما عسى أن يستفيده من الخبر أوالقصة كما صرح في مقدمة الجزء الثاني (إنها تتضمن من شريف الفوائد وطريف المآثر كل لون ، وتجمع كل لون من الحكم الجديدة والأمثال المفيدة، والرسائل البليغة)[١].

وهو وإن كان قصده من جمعها، هو ما اعتبره(من تغير الطبائع واستحالة الصنائع، وموت الرجال، وقلة الأموال، وفقد الكمال، في أكثر الاحوال، وعدم الراغب في الحفظ ، لليسير من اللفظ،ففضلاً عن الكثير، وتواطىء الجمهور على هذه الأمور، في هذا الزمان الصعب، الكثير النوب،القاطع بمحنه عن الأدب)[٢].إلا أنه يصرح في جزء تال(بأنها تصلح لمن قد فرغ من أكثر العلوم وأشتهى قراءة ما يدله على أخلاق أهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وأن يقايس بين ما نحن فيه وما مضى)[٣].ولهذا فإن كتب التنوخي تمثل مرحلة تطور في تأليف الكتب العربية .فقد أصبحت كتب القصص والأسمار مستقلة بمحتواها، ولم تعد مبثوثة في ثنايا الكتب.

(١)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:٧.

(٢)المرجع السابق،ص:٨.

(٣)نشوار المحاضرة،ج٣،ص:٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن ما طرأ على المجتمع من تطور وتغير قد فاجأ التنوخي، ورفض عقله الاعتراف به، فلجأ إلى التعليل السابق .ولا شك أن العصر اتسم بالمبالغة في بعض الأشياء ، وظهر فيه الميل الشديد للتمتع باللذات من طعام وشراب وغناء، وظهر فيه الميل للخيال والنزعة الأسطورية في رواية بعض الحكايات ، وقد انتقلت إلى كتب التنوخي عندما سجلها كما سمعها،وربما وجد أن كتب الأسمار ، وكتب الليالي لم تستوعب كل أنماط القصص التي كانت تروى.

ومن سمات التطور الذي طرأ على اللغة آنذاك، أن اللغة الفصحى لم تعد لغة الحوار والتخاطب الوحيدة، بل نشأت لغة حوار جديدة محرفة عن اللغة الفصحى ، وهي ما أصبح يعرف باللغة العامية. وقد سجل التنوخي في كتبه بعض هذه الكلمات التي شاع استعمالها ، وما تزال مستعملة مثل كلمة(إيش)،وكلمة(برًا)،(اطلع برًا)،وكلمة(ستي)و(قرص الهواء)و(أعدم بقية عقلي).

ومن مظاهر التطور آنذاك ، ما طرأ على اللغة من إدخال كلمات فارسية ويونانية،ذكرها التنوخي في كتبه .مثل جامة، وفرانق، وروزا،وجهبذ،وسفاتج، وروشن،وفالوذج ولوزينج.ومن الكلمات اليونانية بطرك واسطرلاب.

إن كتب التنوخي في المقام الأول ،كتب «أدب شعبي، حتى ما جاءفيها مما يتعلق بالخلفاء والوزراء ، إنما وقع بينهم وبين أحد أفراد الشعب.واحتوت كتب التنوخي على عدد كبير من القصص التي تكشف عن أحوال الشعب العربي منذ جاهليته وحتى وقته.

إن تأليف الكتب على هذا النمط ، كان سمة من سمات عصر التنوخي وما قبله، وقد رأينا ، كتب الجاحظ وكتاب العقد الفريد، وكتاب الأغاني، وكلها مملوءة بالأخبار والحكايات ، بل إن بعضاً من القصص والأخبار، التي وردت في. كتب التنوخي، قد وردت في تلك الكتب، فهي أخبار من التراث الشعبي، الذي يتناقله الخاصة والعامة، بل إن كتاب ألف ليلة وليلة يحتوي على قصص قد رواها التنوخي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تفرد التنوخي جاء من اقتصاره على رواية القصص وبعض الأشعار غير المشهورة في كتبه، وعدم تعرضه لمباحث منطقية أو فلسفية أو لغوية أو أدبية أو نحوية.

ومن السمات الواضحة في كتب التنوخي ، أنه إذا تأنق في كتابته وتعمد التنقيح والصنعة ، يكثر من استعمال الحال ولقد جاء كتاب(الفرج بعد الشدة)في اتساعه وأدعيته ، ليؤكد تعلق عامة الناس بتأثير الكلمة السحري، ويعزز اعتقادهم فيها وتصورهم لإمكانية الخروج من العسر إلى اليسر بفضلها.

وتكشف كتب التنوخي عن كثير من المعتقدات الشعبية التي كانت سائدة، وما يزال بعضها كذلك ، وقد تنوع أسلوب التنوخي في عرض هذه المعتقدات وتقديمها .فهو أحياناً يقدمها كعبارات منفردة كما في أقوال الصوفية، منها:(المعرفة بالله، دليل لا ضيعة معه، والعمل الصالح، زاد لا يخاف معه طول السفر)[١].

أو يقدمها كخبر ضمن سرد القصة كالتالي (فقلت له:زودني شيئاً ، فأعطاني فصاً عليه نقش كأنه طلسم، وقال إذا اغتممت فانظر إلى هذا، فإن غمك يزول)[٢].وقد يخص الخبر كله بالكلام عن هذا المعتقد أو ذاك ، كما في كلامه عن الرقى والاعتقاد بتأثير العين والحسد، والاعتقاد بتأثير الطلاسم . وقد يورد الخبر، وهو منكر له ، كالذي قدمه عن القائلين بالتناسخ يقول عن أحدهم:(فوجدته، وبين يديه سنور سوداء ، وهو يمسحها، ويحك بين عينيها ، ورأسها،وعينها تدمع ،كما جرت العادة في السنانير بذلك ، وهو يبكي بكاء شديداً ، فقلت له :لم تبكي؟.فقال:ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها؟ هذه أمي ولاشك، وإنما تبكي من رؤيتها حسرة لي. فقلت له:

---

(١)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:١٤٤.

(٢)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفتفهم أنت عنها صياحها؟

فقال :لا

فقلت له:فأنت إذن الممسوخ وهي الإنسان)[١]

أما الاعتقاد بالمنامات ، فقد أفرد له باباً خاصاً في الفرج بعد الشدة ، وهو الباب السادس ،وقدم فيه عدداً من القصص التي اختلفت في الطول، لكنها جميعاً لبست من نسج قلم التنوخي، ثوباً بهياً من حسن الصياغة والتأليف.

أما عن الاعتقاد بالنجوم، فقد أورد قصصاً عن ذلك ، فصّل فيها بعضاً من أعمالهم ، ولشدة اقتناعه بهذا الاعتقاد ، فقد أورد قصة واقعية لوالده.فقد أخبر أن والده حوّل مولد نفسه في السنة التي مات فيها. وقد استعمل التنوخي تعبيرات المنجمين كقوله(سنة قطع)(وتحويل)يقول:(ثم قال له أبي :دعني من هذا،بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر، لسبع بقين من الشهر، فإنه ساعة قطع عندهم)[٢]ويقول التنوخي بعد ذلك:(فلما كان في ذلك اليوم ، العصر بعيته مات،كما قال)[٣].

وقد أفرد قصة طويلة للأعتقاد بوجود أشباح في الخرائب والأماكن القديمة الخالية.

وقد يقدم لنا المعتقد من خلال طرفة أو نادرة ، كما قدم عن الاعتقاد بالتوجس والخوف من نعيب الغراب والتشاؤم من ذلك .وهناك كثير من التجارب الشعبية، أو الخبرة الشعبية التي قدمت من خلال قصة قصيرة ووصف طريف كالذي قدمه عن بعض أنواع الطب الشعبي.

وقد أشار إلى بعض الأعياد الشعبية ، والاحتفالات الشعبية من خلال الشعر من ذلك :الشعر الذي قدمه لشاعرة تدعى عائدة الجهنية وقد هجت وزيراً بقولها:

---

(١)نشوار المحاضرة،ج٨،ص:٧٠.

(٢)،(٣)نشوار المحاضرة،ج٢،ص:٣٢٩-٣٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاورني الكرخي لما دنا ال　　نيروز والسن له ضاحكة

فقال ما نهدي لسلطاننا　　من خير ما الكف له مالكه

قلت له كل الهدايا سوى　　مشورتي ضائعة هالكة

أهدله نفسك حتى إذا　　أشعل ناراً كنت دوباركة

ويفسرالتنوخي دوباركة بقوله:(الدوباركه:كلمة أعجمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان، يخلونها أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها،ويخرجونها في زي حسن، من فاخر الثياب والحلي، ويحلونها كما يفعل بالعرائس ، وتخفق بين يديها الطبول والرموز وتشعل النيران)[١].

وقد يشير التنوخي إلى اعتقادات المذاهب الأخرى التي ظهرت، في نهايه حديثه عن قصة ما كما حدّث عن القرامطه. وقد يتكلم عن ذلك من بداية القصة والخبر إلى نهايته ، أي يفرد لها خبراً مستقلاً.

وقد أورد التنوخي خبرين طويلين عن اعتقادات المزدكية التي تنادي بالتحلل الخلقي واستحلال المحارم، وربما أفاض في الحديث فيها لفظاعة الفعل وقبحه وسوئه.

وفي الأمثال الشعبية، نجد التنوخي يقتصر على ذكر المثل أو القول دون توسع كما في قوله:(العرب تقول :صبرك على أذى من تعرف، خير لك من استحداث مالا تعرف)[٢].وقوله:(في العافية طعم كل شيء،وفي الرزق نصر كل شيء)[٣].

وقد يتحدث التنوخي عن بعض الأعمال الخارقة، التي كان يقوم بها بعض الأشخاص ، فيصف الفعل بدقة، كالذي يسير على باب حديد محمى وهو حافي، أو من يغرف من الزيت وهو يغلي،أو من يضع شمعة مشتعلة في فمه.

وقد يستطرد التنوخي في سرد الخبر، فيستغرق عدة صفحات ،

(١)النشوار ،ج٢،ص:٢٢٣.　　(٢)النشوار،ج٥،ص:٢٣٩.

(٣)النشوار،ج٨،ص:٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يختصر، فلا يتجاوز بضعة أسطر، وهذه تشترك فيها كتب التنوخي جميعاً ،وكذلك الأشعار، فقد تتجاوز عشرات الأبيات ، وقد تقتصر على البيت الواحد والبيتين، وهذه من سمات كتاب العصر أيضاً

وليس أدل على عظمة التنوخي كثرة من نقل عنه وأخذ من الأقدمين والمحدثين.فمن القدماء ،أبو حيان التوحيدي، وياقوت الحموي وهلال بن المحسن الصابي، وعبد الرحمن بن الجوزي، وأحمد بن محمد المعروف بمسكويه،ومحمد بن هلال الصابي، والحسن بن عبد الله صاحب كتاب (آثار الأول في ترتيب الدول) ومحمد بن الحسن النواجي، وعلي بن محمد بن حجة الحموي، وابن أبي أصيبعة، ويوسف بن تغري بردي الأتابكي.ومن المحدثين، ممن استعان بكتب التنوخي : عبد العزيز الدوري،وصلاح الدين المنجد، وابراهيم سلمان الكردي وأسعد ذبيان ،وشوقي ضيف ،وتوفيق سلطان اليوزبكي،وصباح الشيخلي،ومحمد أحمد عبد المولى، ومن المستشرقين آدم متز ويعقوب ليسنر .

وأود أن أشير إلى ملاحظة ، أوردها الدكتور زكي مبارك في (كتابه)«النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، وهي أن التنوخي قال في مقدمة كتابه(نشوار المحاضرة)هذه العبارة(واختلاطها في الآذان أطيب وأدخل،وأخف على القلوب من الأذان وأوصل).

يقول الدكتور زكي مبارك:(ليس من المقبول أن يقال(أخف من الأذان)، إذ ليس من سلامة الذوق، أن يدعي المرء أن كلامه أخف على القلوب من كلمة(الله أكبر)، وهي الكلمة الباقية على مر الزمان)[١]وأحسب أن الغلط وقع، إما من المستشرق الذي طبع الكتاب، أو من النساخ الذي حرفوا الكلمة فطبعت كما قرئت.إذ لا يعقل أن يعمد التنوخي، إلى مثل هذا القول، والجرأة على كلام الله، وهو القاضي المؤمن ، العامل بأحكام الدين.

والجملة في الطبعة الحديثة المحققة كما يلي:(وأخف على القلوب والأذهان و أوصل)[٢].وأود أن أشير أيضاً إلى أن بعض الأخبار التي في الأجزاء التي جمعها المحقق عبود الشالجي ، من بطون الكتب ،

(١)النثر الفني في القرن الرابع-بيرت-لبنان-،ج١،ص:٣٩٨.

(٢)نشوار المحاضرة،ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

تناول هذا البحث(المحسن بن علي التنوخي)ككاتب من كتاب القرن الرابع الهجري، وتحدث عن الأحوال السياسية في عصره، وعن الأحوال الثقافيةو والمعرفة، وقدم دراسة تحليلية لآثاره.

وقد بُدىء البحث بالحديث عن الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري، وتبين لنا كيف تزعزعت الخلافة، وساد الاضطراب الحياة في العراق.وتقسمت أراضي الخلافة الإسلامية إلى دول صغيرة. وانتقلت السلطة من الخليفة إلى البويهيين.وكانوا يميلون للتشيع ظاهراً، ولكنهم كانوا يقدمون مصلحتهم السياسية على معتقداتهم الدينية.

وكان منصب الوزير هاماً في الدولة ، وكان كثير من الوزراء ، من كبار الكتاب في هذا العصر، كابن العميد والصاحب بن عباد.

وقد أشار البحث ،إلى اتساع البحث المعرفي، وتنوع موضوعات الكتابة .فقد كتب الكتاب والمؤلفون في شتى أنواع المعرفة ، من علوم وأدب وتاريخ وطب وتنجيم وفقه ودين إلى غير ذلك مما هو معروف من الموضوعات.

وكان من مظاهر التنوع المعرفي ورفده، عقد المجالس الأدبية، والحلقات العلمية للمناظرة، حيث يجتمع كبار العلماء والكتاب في بلاط الملوك والحكام أو في المساجد.

وكذلك كان من مظاهره، إنشاء المكتبات في المدن والولايات،وحرص الخلفاء والحكام على جمع الكتب، وتقديمها لمحبي القراءة والاطلاع.

وقد بينت الدراسة ، أن القاضي المحسن التنوخي، ولد ونشأ في هذا الجو العلمي المعرفي الواسع، ونهل من ثقافة العصر،و فكان متقناً لعلوم العربية.

وقد بدأ حياته قاضياً ، وبلغ مكانة عظيمة، خولته أن يصبح نديماً لعضدالدولة البويهي.وقد تعرض في حياته لمحن،منها، ما تعرض له من قبل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عضد الدولة البويهي ،عندما عزله عن القضاء ، ولكنه عاد إليه بعد وفاته.

وقد ألف التنوخي كتبه هذه ، بعد تعرضه لهذه المحن .وقد بينت الدراسة،أن التنوخي، كان كاتباً قديراً ، ومؤلفاً فريداً،وقد أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته، وإن كانت قليلة العدد، لأنها شملت الحديث عن مختلف جوانب الحياة في المجتمع العباسي بأسلوب أدبي رشيق، وتحدثت عن الحياة السياسية والاجتماعية، وكانت وثيقة شعبية عن عادات الناس وبيئتهم واتجاهاتهم.

وصورت الإنسان في تقلباته العاطفية والانفعالية، أياً كان موقعه.

وبينت الدراسة، أن كتب التنوخي تحوي أخباراً عن مختلف أنواع الناس من خلفاء وحكام وشعراء وأدباء ووزراء وقواد وتجار وغيرهم من أصحاب المهن والحرف.بل إن التنوخي لم يترك صاحب مهنة إلا وقدم عن فئته أخباراً.

وتبين من البحث أن التنوخي لم يخرج عن سمات عصره الفنية كثيراً، وتفرد عنها، بمقدرته الكبيرة على تصوير الأحوال الإنسانية والأوضاع المعيشية بلغة راقية وأسلوب جزل وجمال في السرد والأداء.

فكتاب النشوار يحوي مقدمة طويلة ، بيّن فيها المؤلف السبب الذي دعاه لتأليف.كتابه على نمط رسمه، يخالف ما كان يتبعه كتاب عصره من تبويب وتصنيف. وجعل مادة كتابه أخباراً وقصصاً وأشعاراً انفرد هو بتقديمها في مؤلف لأول مرة. وقدم لنا من خلالها معلومات ثمينة عن أحوال مجتمعه.قدم عن الناس في لهوهم وجدهم، ومزحهم وسرورهم وحزنهم ،وغضبهم ورضاهم. وقدم لنا شعراً لشعراء مختلفين معروفين وغير معروفين.وكتاب (الفرج بعد الشدة)قصد المؤلف من تأليفه ، التخفيف عمن أصيب بمحنة أو شدة، وقد اعتمد في تأليفه التبويب والتصنيف .وضمنه قصصاً وحكايات من كتب اطلع عليها.

وقد سجل التنوخي، كل ذلك بقلمه، الذي أبقاها خالدة على مر الأيام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كتاب(المستجاد)تبين لنا أن المؤلف لم يقصد الكرم المادي فقط بل الكرم المعنوي،أو كرم النفوس والخصال.وتبين لنا أن بعض الكرم لم يكن لتبذير المال والإسراف في العطاء ولم يكن للاشتهار، بل كان تقديراً للكلام المعبر،الكلام البليغ، الكلام الذي تميل إليه القلوب ،وتتيه به العقول. لقد كتب التنوخي تعظيماً للغة العربية لأنه يريدها ان تعود سليمة كما بدأت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصادر

-ابراهيم بن محمد الاصطخري

المسالك والممالك،ليدن،١٩٦٧.

-ابراهيم بن محمد البيهقي

المحاسن والمساوىء ،دار صادر،بيروت،لبنان، ١٣٩٠هـ ،١٩٧٠ م.

-أحمد بن رسته

الأعلاق النفيسة،ليدن،١٩٨١.

-أحمد بن عبد ربه

العقد الفريد،تحقيق الدكتور مفيد محمد قمحية ،الطبعة الثالثة دار بيروت، لبنان،١٤٠٧ هـ١٩٨٧م

-أحمد بن عبد الله القلقشندي

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت،١٩٦٤.

-أحمد بن علي الخطيب البغدادي

تاريخ بغداد، دارالفكر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧

-أحمد بن علي العسقلاني

لسان الميزان،الطبعة الثانية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت-١٩٧١م،١٣٩٠هـ

أحمد بن علي القلقشندي

صبح الأعشى في صناعة الإنشا،شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين الطبعة الإولى ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،١٤٠٧هـ١٩٨٧م

-أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة،بيروت ، لبنان. ١٩٦٥م

-أحمد بن محمد بن خلكان

وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت ، لبنان. ١٩٧١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-أحمد بن محمد المعروف بابن مسكوية

تجارب الأمم ، تصحيح هـ.ف آمدروز، مصور عن مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، ١٩١٤م،١٣٣٢هـ

-أحمد بن محمد المقرى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس،دار صادر ،بيروت،١٣٨٨،١٩٦٨م

-أحمد بن مصطفي المعروف بطاش كبرى زاده

مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور-دار الكتب الحديثة،مصر،١٩٦٨م

-الحسن بن عبد الله

آثار الأول في ترتيب الدول، بولاق، مصر،١٢٩٥هـ

-الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء

رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان ١٩٧٢م

-خليل بن ايبك الصفدي

الوافي بالوفيات باعتناء س.ديد رينغ،الطبعة الثانية دار النشر فرانز شتاينر،فسبادن،١١٤١هـ،١٩٩١م.

-الرشيد بن الزبير

الذخائر والتحف، الكويت،١٩٥٩

-سعيد بن البطريق

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق،بيروت،١٩٠٩م

-عبد الحي بن العماد الحنبلي

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان، ١٩٨٠م

-عبد الرحمن السيوطي

تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى ، دار القلم، بيروت، لبنان،١٤٠٦هـ،١٩٨٦م

-عبد الرحمن ابن علي الجوزي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠.

٢-أخبار الحمقى والمغفلين، الطبعة الخامسة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة،بيروت،١٤٠٣هـ١٩٨٣م

-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

مقدمة ابن خلدون، الطبعة الثالثة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد دار نهضة مصر، القاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م

-عبد القادر محمد ابن أبي الوفا

الجواهر المضية في طبقات الحنفية،الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية،حيدر آباد،١٣٣٢هـ

-عبد الله بن أسعد اليافعي

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،١٣٣٢هـ

-عبد الملك بن محمد الثعالبي

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الدكتور مفيد محمد قمحية،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٠٣هـ١٩٨٣م

-علي بن أحمد بن حزم

جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،١٤٠٣هـ١٩٨٣م

-علي بن الحسين المسعودي

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ت.ط. لا يوجد.

-علي بن محمد المعروف بابن الأثير

الكامل في التاريخ، تحقيق د.محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧هـ١٩٨٧م

-علي بن محمد بن حجة الحموي

ثمرات الأوراق، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية دار الجيل، بيروت،١٤٠٧هـ١٩٨٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-علي بن محمد أبو حيان التوحيدي

الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٤٤م.

-علي بن محمد الشابشتي

الديارات تحقيق جورجيس عواد، الطبعة الثانية، مطبعة دار المعارف، بغداد،١٣٨٦هـ،١٩٦٦م

-عمر السعيد

العيون والحدائق في أخبار الحقائق، المؤلف مجهول تحقيق عمر السعيد القسم الأول، دمشق،١٩٧٢م

-عمرو بن بحر الجاحظ

١-البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد،١٣٨١هـ،١٩٦١م

٢-التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت،،١٩٧٠م

-قاسم بن قطلوبغا

تاج التراجم في طبقات الحنفية، بغداد،العراق، ١٩٦٢

-المحسن بن علي التنوخي

١-نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت،١٣٩١هـ،١٩٧١م

٢-الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ،١٩٧٨م

٣-المستجاد في فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، دمشق ١٩٧٠م

-محمد المعروف دياب الإتليدي

إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس - مصرت. ط. لا يوجد

-محمد بن أحمد البيروني

١-الجماهر في معرفة الجواهر، الطبعة الأولى ، مطبعة دارئرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،١٣٥٥هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-الآثار الباقية عن القرون الخالية لا يبزج،١٩٢٣م

-محمد بن أحمد الخوارزمي

مفاتيح العلوم ، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ ١٩٨١م

-محمد بن أحمد الذهبي

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م

-محمد بن أحمد الفارابي

إحصاء العلوم، تحقيق د.أمين عثمان، دار الفكر العربي مصر، ١٩٤٨م

-محمد بن أحمد المقدسي

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم-الطبعة الثانية، ليدن،١٩٦٧

-محمد ابن اسحق ابن النديم

الفهرست، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨.

-محمد بن جرير الطبري

تاريخ الرسل والملوك،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

-محمد بن الحسن النواجي

حلبة الكميت في الأدب والنوادر، مطبعة إدارة الوطن ،القاهرة ١٢٩٩هـ

-محمد بن الحسين الروذراوري

ذيل تجارب الأمم ، مصور عن طبعة شركة التمدن الصناعية ١٣٣٤هـ،١٩١٦م

-محمد بن شاكر الكتبي

عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، وزارة الإعلام، بغداد،١٣٩٧هـ،١٩٧٧م

-محمد بن عبد الملك الهمذاني

تكملة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،الطبعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالثة، دار المعارف ،القاهرة. ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م

-محمد علي بن حوقل

صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت،١٩٧٩م

-محمد بن علي بن طباطبا

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،دار صادربيروت، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م

-محمد بن الهلال الصابي

الهفوات النادرة، تحقيق الدكتور صالح الأشتر، الطبعة الأولى ،مجمع اللغة العربية،دمشق،١٣٨٧هـ،١٩٦٧

-محمد بن يحيى الصولي

أخبار الراضي بالله والمتقي لله، باعتناء .ج.هيورث دن، الطبعةالثانية، دار المسيرة، بيروت،١٩٧٩م،١٣٩٩هـ

-الهلال بن المحسن الصابي

١-الوزراء،تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٥٨م

٢-رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني بغداد، ١٣٨٣هـ،١٩٦٤م

-ياقوت الحموي

معجم الأدباء، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي مصر،١٩٣٧م

-يوسف بن تغزي بردي

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٥٢هـ،١٩٣٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع الحديثة

-أحمد الشايب

أصول النقد الأدبي،الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة القاهرة، ١٩٧٣هـ

-أحمد محمدالشحاذ

الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة،الطبعة الثانية ،بغداد، العراق

-أحمد محمد الساداتي

تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٥٧م

-آدم متز

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، الطبعة الرابعة، بيروت،١٣٨٧هـ١٩٦٧م.

-إدوارد جرانفل براون

تاريخ الأدب في إيران، ترجمة د.ابراهيم الشواربي، مطبعة السعادة القاهرة،١٣٧٣هـ،١٩٥٤م.

-ف.بارتولد

تاريخ الحضارة الإسلامية،ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الثالثة،دار المعارف، مصر.

-برنارد لويس

العرب في التاريخ، ترجمة نبيه فارس ومحمود زايد، الطبعة الأولى دار العلم للملايين، بيروت،١٩٥٤م.

بول هير نادي

ما هو النقد، الطبعة الأولى ،بغداد،١٩٨٩م

-تقي الدين عارف الدوري

عصر إمرة الأمراء،الطبعة الأولى ، بغداد، ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م

-د.توفيق سلطان اليوزبكي

مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية، الطبعة الأولى ،دار آفاق عربية ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بغداد،١٩٨٨.

-جراهام هاف

الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد،١٩٨٥م

-جورج فضلو الحوراني

العرب والملاحة في المحيط الهندي ترجمة د. السيد يعقوب بكر،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

-جوزيف ميشيل شريم

دليل الدراسات الأسلوبية ، الطبعة الأولى ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،١٤٠٤هـ،١٩٨٤م.

-حمدان الكبيسي

عصر الخليفة المقتدر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،العراق، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

-داوود سلوم

النقد الأدبي، مكتبة الأندلس، بغداد،١٩٦٨

-دومينيك وجانين سورديل

الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة حسن رينة، الطبعة الأولى ، دار الحقيقة ،بيروت،،١٩٨٠م.

-ت.ج.دي بور

تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده،الطبعة الرابعة،القاهرة،١٣٧٧هـ،١٩٥٧م

-د.زكي مبارك

النثر الفني في القرن الرابع، دار ، الجيل، بيروت ت.ط لايوجد.

-سمير عبده

التحليل النفسي لروائع الأدب العالمي-الطبعة الأولى، دار النصر، بيروت،١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-د.سهير القلماوي

ألف ليلة وليلة، دار المعارف، مصر ،١٩٦٦م.

-د.شوقي ضيف

١-العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف ، مصر ١٩٧٥م.

٢-الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الرابعة، دار المعارف ،مصر ١٩٦٥م.

-د.صالح أحمد العلي

١-خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٢-بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥

٣-التنظيمات الاجتماعية في البصرة، الطبعة الثانية، بيروت،١٩٦٩.

-د.طارق فتحي سلطان

مقدمة في الحركة العلمية العربية في المشرق الإسلامي،وزارة الثقافة والإعلام ،بغداد،١٩٨٩م.

-د.طه حسين

من حديث الشعر والنثر،الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف ،مصر ١٩٧٥م.

-عباس خضر

الواقعية في الأدب، بغداد، ١٣٨٦هـ١٩٦٧م.

-د.عبد الحميد يونس

الحكاية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة.

-د.عبد الرحمن ياغي

في النقد النظري،الدار العربية،عمان ،١٩٨٤م

-عبد العزيز الدوري.

١-النظم الإسلامية ،بيت الحكمة ،بغداد، ١٩٨٨م

٢-تاريخ العراق الاقتصادي، الطبعة الثانية ،دار المشرق ،بيروت، ١٩٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

—د.علي عبد الواحد العمرو

أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول،الطبعة الأولى القاهرة،١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م.

-غوستاف لوبون

حضارة الهند، ترجمة عادل زعيتر ،الطبعة الأولى ،دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ،١٩٤٥م.

-فيليب حتى وادوار جرجي وجبرائيل جبور

تاريخ العرب، الطبعة الرابعة، مطابع الغندور ،لبنان، ١٩٦٥م.

-كارل بروكلمان.

تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الثالثة دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٦١.

-الكسندر روشكا.

الإبداع العام والخاص،ترجمة د.غسان عبد الحي، الكويت ١٩٨٩.

-كي لسترنج

بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس وجورجيس عواد، الطبعة الثانية ،مؤسسة الرسالة ،٥١٤.هـ-١٩٨٥م.

-د.محمد بركات حمدي أبو علي

١-مقدمة في دراسة البيان العربي،دار الفكر، عمان ، ١٩٨٦

٢-دراسات في البلاغة ، الطبعة الأولى، دار الفكر،عمان ١٤٠٣هـ ١٩٨٤م.

-محمد ثابت فندي وآخرون

دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس ، طهران ، ١٣٥٢هـ١٩٣٣م.

-د.محمد جمال الدين سرور

تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي، مصر ت.ط لايوجد

-د.محمد مندور

في الأدب والنقد ، الطبعة الخامسة، القاهرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-محمد نبيه حجاب

مظاهر الشعوبية في الأدب العربي،الطبعة الأولى ،مصر ،١٣٨١هـ ١٩٦١م.

-د.محمود ابراهيم

أبو حيان التوحيدي، الدار المتحدة للنشر، بيروت ت.ط لايوجد.

-د.نبيلة ابراهيم

الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب ، مصر

-يعقوب ليسنر

خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ،ترجمة صالح أحمد العلي،المجمع العلمي العراقي،١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

AL-Muhassen Iben Ali AL-Tanukhi, his Life and an Analytical Study of his Literary Work.

BY

Salwa Abdul-Fattah Darweesh

Under the Supervision of

Professor Mahmood Ibraheem

In this study which is on AL- Muhassen AL- Tanukhi, the first chapter dealt with Abbaseed caliphate in the fourth century after Hijra, and the changes that happened to it. The caliphate started to become unstable. The Turks dominated the affairs of the state and chaos prevailed.

In this century, the lands of Islamic Caliphate where divided into several small states, and only Iraq remained under the rule of the Caliphate. As a result of this unrest, the whole country,and particulary Baghdad, was destroyed, looted, convoyes were attacked and chaos took place. Then the Bowihes took over the rule of Iraq, became the rulers without caliphate, and established hereditary rule. Adud Al- Dawla tried to influence the caliph to marry his daughter, with the hope that the caliphate would turn to them from the Abbaseed. Also this century had been characterised by the enormous property confiscation practised by the rulers in order to meet the requirements of their extravagance. The minister was of high importance in the government and certain qualified ministers took office, such as Iben AL-Ameed, and AL- Sahib Iben Abbad, and AL- Hassan Iben AL - Muhalabi. Writing, and scientifc publications, in different disciplins expanded, and writers were important among the caliph's aids. Princes and regional rulers and the sultans of Boweih has writers to help them in goverment affairs and they were masters of rhetoric.

٤٤٥٣٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In this century distinguished thoughts appeared, translations and scientific publications expanded in many subjects. Public, and private libraries helped this scientific work. In this scientific atmosphere, AL- Muhassen AL- Tanukhi was born in a family that was known in science and literature. His father was well versed in many different sciences, and was a companion to the ministers.AL- Muhassen AL- Tanukhi was brought up in two wealthy atmospheres: science and knowledge. One is that of his family, and the other is of the society. He recieved his education under able scientists. At the age of twenty he worked as a judge and continued working in this capacity until his death.During his life, he was exposed to hardships which he indicated in his books. His ranch was confiscated by the minister Mohammed Iben AL- Abbass, and Adod AL- Dawla fired him from his job.

The second cahpter includes AL- Tanukhi three books, namely : Nishwar AL- Muhadara, AL- Faraj Bae'd AL- Shida, and AL- Mustajad min faelat AL-Ajwad. Nishwar AL- Muhadara is the most renouned of his books. It contains eleven volumes, with a special introduction for each. Only eight volumes are aviala-ble. Four original, and the other four were collected by the reviewer from certain books which copied from AL- Nishwar. AL- Nishwar is an all binding document of life in the fourth century in Iraq, and its neighboring countries, written in a high literary style wich the reader can detect. AL- Tanukhi mastered the language well, and he steers it with ease. we see Al- Tanukhi meeting us with his nice words in the long introduction of AL - Nishware, in which he shows that he did not organise the book in a specific style for reasons he mentioned, then he goes on to present event after event, and story after story giving us valuable information about life in his era. He did not leave a profession or handcraft but talked about its occupants. Judges had a big share of stories. As for folk stories it took a place in this book, and he showed us through it some customes of the people, their beliefs and celebra-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

tions and their struggle for sake of life. AL- Tanukhi also spoke in this book on the Abasced statemen and he showed us live pictures about their thoughts and behaviors.

As for AL- Faraj Baed AL- Shida, he composed it after the hardships he suffered, so that it can be condolence to all with a grieve. In this book he resorted to classification starting it by relating what God Almighty told in the Quran of mentioning ease after hard ship and testing . AL- Tanukhi mentioned prophets hardships. Then he mentioned people who were exposed to sufferings which God saved them from it. The book included valuable information about his era and other Arab eras, because it was not specific to a certain time. These information touched upon different aspects of life, i.e. Political, social, cultural, and economic. AL- Tanukhi showed ability in describing situations and viewpoints. He mixed poetry and prose as it was followed by other writers of his time.

The last of AL- Tanukhi's books is AL- Mustajad minfeal AL- Ajwad, in which he presented stories about generous people in Jahilya and Islam. He was not only interested in generosity, but he presented images of spiritual generosity, generosity of soles and of traits. He included clever answers to questions and they were appraised as other doings have been appraised, and the poetry mixed in it with prose.

In the third chapter Tanukhi's style in writing his three books was discussed.His style was devoid of complexity, simple in statements. To certain extent he took the characteristcs of his contemporary writers. He took from them the idea of collecting stories and writing them, but he wrote his stories in a book special for them and in high literary work.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit